بقلم
محمد صادق الموسوي الخرسان

www.haydarya.com

من
هدي الإمام علي عليه السلام
في الأخلاق الفاضلة

بقلم

محمد صادق الموسوي الخرسان

الروضة الحيدرية
٢٠٤٣٠
١١/٥/١١
M ٦٥٧٨

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

قال

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

إنَّ هذهِ القلوبَ تَملُّ كما تملُّ الأبدان،

فابتـــغوا لها طرائفَ الحِكَم

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وآله الطاهرين.

وبعد فهذه صفحات بين يدى القارئ الكريم اعرض فيها شيئاً عن شخصية الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وما قيل فيه نثراً وشعراً مما ساقته القرائح للتعبير عن الاعجاب بمواهبه المتعددة وقدراته التعبيرية البلاغية التى هيمنت على النفوس واستقطبت الاهتمام من جموع غفيرة مسلمين وغيرهم فكانت محط اهتمامهم ولذا عبروا عن ذلك بما يأتي ذكر بعضه.

كما اعرض فيها شرحاً لمجموعة من الحِكَمْ المختارة من كلامه عليه السلام مستلّة مما جاء في الجزء الأخير من كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي راعيت في عملية اختيارها و انتقائها الكلمات المختصرة ذات المفردات الموجزة ولو نسبياً ليسهل تداولها حفظاً وفهماً لعامة الفئات العمرية، الثقافية، لتكون هذه الحِكَم مصدر قوة ودعم وتوجيه في مسيرة الحياة التي كثر العثار فيها بشكل اصبح يهدد سداد الافكار وسلامة التوجهات... فكان لا بُدَّ من عرض ما ينفع بهذا الصدد لتقوم الحجة على مَنْ ينحرف ويبتعد بعد هذا عن الخط المستقيم فقد عالجت الحِكَم بشكلها العام مختلف الجوانب الحياتية التي تهم الرجال والنساء في مختلف شؤون الحياة وخصوصياتها، وقد جاءت هذه الحِكم

المختارة وغيرها على ذات الطريقة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من حيث معالجة الهموم الاجتماعية والحالات المرصودة التي يهتم المصلحون بإيجاد مختلف الوسائل لمعالجتها ومنع توسع دائرتها وانتشار اخطارها فكان أثر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في كلام الإمام عليه السلام واضحاً لأنه تلميذ مدرسة القرآن وربيب النبي الكريم (ص) وهذه مكرمة تضاف الى مكارمه عليه السلام حيث حظي بهذه العناية والرعاية المباشرة ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. ولذا كان بودي أن أعزز الحِكَمْ المختارة بما يناسبها من الآيات والأحاديث ولكن راعيت بعض المستويات المطروح من أجل تثقيفها هذا الشرح لئلا يخرج عن إطار الشرح الى مرحلة الاستدلال ولكني مع ذلك قد ذكرت في جملة من الحِكم ما يناسب من الآيات أو الروايات ولو هامشاً لئلا تفوت الفائدة على مبتغيها.

ولما كان هدفي تقديم مجموعة من الحِكَم مشروحة بمستوى يعين القارئ على التأمل والتوقف عندها لتأخذ موقعها في قلبه، عقله، تحركاته اليومية، تصرفاته، فلم أتقيد برقم معين وإنما تركت ذلك لئلا تبقى القضية مجرد تقيّد بالرقم دون الاهتمام بالمُرَقّمْ بل الامر اهم والعمر اثمن فلابد من صرف الوقت في اللازم لمثل حال الناس الحاضر الذي يفتقدون فيه أبسط المقومات المعنوية لانقطاعهم مدة عن ذلك وانشغالهم بالماديات المغرية الملهية ولذا اصطدموا مع الواقع المؤلم والمرير فكان ماكان... ومن المعلوم ان حالهم لايستقيم الا بالالتزام بخط الاسلام المتمثل فيما نقرأه من القرآن الكريم والروايات عن النبي الاعظم (ص) وأهل بيته الطاهرين وما أُثر وحُفظ عن وصي رسول الله امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ولايكفي مجرد قراءة ما لم يتبعها تطبيق وعمل اذ يكون العمل -عادة- بعد اقتناع وتصور تام وهو ماينفع لتقويم حياة الفرد ومن ثَم المجتمع.

وكان دوري هو شرح المفردات اللغوية الغامضة من خلال الاستعانة بالمصادر اللغوية المتداولة مع الاهتمام بشأن وضوح التعبير في تلكم النصوص اللغوية الشارحة ولذا قد يقع اختياري لنص من مصدر دون آخر لذلك السبب ولئلا أنقل القارئ من مبهم الى أخر كما هو الملاحظ في الكثير من المصادر او البحوث التقليدية عندما تشرح بعض المفردات اللغوية، فان المهم توضيح المفردة الغامضة وليس بالمهم -كثيراً- هوية المصدر خصوصاً بعد الاتفاق على ذات المعنى في المعاجم اللغوية العشرة المتيسرة لي وقتئذٍ، نعم تبقى ثمة مناقشات وايرادات من ذوي الاختصاص لم أجد كثير فائدة في التقيد بها لذات الهدف المبين ولا سيما وان من بعض الفئات المعروض امامها هذا الشرح بما فيه، هم طبقة انصاف المتعلمين بل واحياناً المستمعين من غير المتعلمين اساساً فكان من الضروري تأمين هذا الجانب التوضيحي لهم اهتماماً بشأنهم لانهم يكوّنون نسبة يعتد بها في المجتمع ، لها دورها في تقديم افكار الاسلام من خلال كلمات عظمائه امثال الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام).

وقد التزمت في الشرح بان ابين معنى الحكمة حسب المفهوم المتبادر اليه حفاظاً على روح النص من تأثير بعض مايطرح عليه وهو محمّل على النص غير اساسي فيه وقد لا يكون له ادنى ارتباط وانما هي استيحاءآت شخصية فإن ذلك يتعب القارئ ويبّعد عليه المسافة وقد قيل أن التبادر آية الحقيقة وعلامتها فيحسن جداً التمسك بذلك حتى لو تفاوتت الاذهان والانظار في تحديد المفهوم المتبادر اليه من الحكمة، كل ذلك ليبقى النص المعين بعيداً عن التفسير الباطني ومايسببه من إشكالات، ولو كان ثمة عذر لمن يلتزم بذاك الخط في مجالات اخرى فلا أجد عذراً لو كانت المحاولة في هذا المجال التوجيهي والتربوي الذي يعنى بشرائح من القراء والمستمعين لايهمهم سوى الاستفادة من النص المعروض كما هو، بعيداً عن الاحتمالات والاطروحات، خصوصاً وإنّا نعيش

في عصر السرعة الذي تكتفي فيه الغالبية بالمعروض السريع، الاسهل تناولاً، الاكثر تلبية للحاجة ، فلا بُدَّ من السعي في هذا الميدان المتميز بالتوضيح وتبسيط المعلومة الى حد لايصعب كثيراً ، لئلا يفسر الموقف بأنه قصور، أو عدم كفاءة، أوتحجر في طرح المفاهيم الشرعية والتعاليم الاسلامية.

فكان من آثار ذلك الالتزام ببيان المفهوم المتبادر اليه: ان اختصر الشرح في بعض الحِكَمْ مقتصراً على المعنى ومكتفياً به من دون مقدمة بينما كان المناسب في البعض الاخر تقديماً يسبق بيان المفهوم المتبادر اليه وعادة ما تكون مادة التقديم معلومةً أكيدةً بحيث لا تكون عائقاً عن الربط مع موضوع الحكمة. فهذا عذري في تعدد أساليب العرض لأني أحسب أن جملة وافرة منها تتسم بعنصر التشويق وكأنه حديث ثنائي، توصلاً لأستجلاء الحقيقة من خلال كلامه عليه السلام.

وقد كان شرح بعض الحِكَمْ يستدعي توقفاً عند بعض النقاط وتعزيزها بشواهد قرآنية وروائية وقصصية أحياناً خصوصاً وأن ذكر القصص يشد بعض القراء ولكني اكتفيت بالاستشهاد في بعض الموارد بما ورد في الكتاب العزيز والسنة النبوية عن النبي الاعظم وأهل بيته عليهم السلام مما ورد في صحاح المسلمين وكتبهم الحديثية المعتمدة، فإن خير الكلام كلام ربنا تبارك وتعالى ومن بعد ذلك حديث الصادق الأمين وسائر أوصيائه الأمناء على وحي الله تعالى. ليتعود هذا البعض من القراء أن لايقتصر على الشواهد القصصية ليستعين بها على فهم النصوص وهذا يصلح جواباً لمن اقترح عليّ تعزيز الاستشهاد بالروايات بما يناسب من رواياتٍ تأخذ طابع القصة.

كما قد كان شرح بعض الحِكَمْ يستدعي التقسيم الى عدة أقسام ونقاط تسهيلاً لادراك دقائقها وما ينبغي الإلمام به من خلال مناسبة موضوع

الحكمة. وبعد هذه المقدمة اتضح أن هذه الصفحات المعروضة تتألف من فصلين:

الفصل الأول يصلح لأن يكون تمهيداً لما بعده إذ يدور الحديث فيه عن تاريخ نهج البلاغة، وجامعِهِ، ومَنْ كان كلامُهُ مادةَ نهجِ البلاغة وهو الإمام علي (عليه السلام).

والفصل الثاني وفيه بعض الحِكَمْ مشروحة بالطريقة السالفة الذكر.

وأخيراً فان هذا الجهد محاولة أرجو لها من الله تعالى النجاح وأن تكون مصدر إضاءة لِمن يريد السير على خط الاسلام القويم وما يحققه للانسان من طموحات وآمال قصرت عن تحقيقها الماديات مع تطورها وتقدمها في ذلك المجال.

كما أحمد الله على إنجاز هذا العمل سائلاً منه تبارك وتعالى القبول والتوفيق وإدامة النفع.

كما أستميح عذراً سيدي ومولاي وجدي أمير المؤمنين عليه السلام لو تجاوزت وحاولت شرح كلامه الشريف إلا أنها محاولة مبررة بما سبق شرحه وتبيانه لأكون قد ساهمت في تقديم ما يمكن في عملية أنقاذ بعض الناس مما هم فيه من الانهماك في جوانب بعيدة عمّا خُلِقوا لأجله المتمثل بقوله تعالى ﴿**وما خلقت الجن والانس الاّليعبدون**﴾ الذاريات آية(٥٦) .

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيد أنبيائه ورسله محمد وآله الطاهرين.

محمد صادق الموسوي الخرسان

١٦شهر رمضان المبارك / ١٤١٨ هـ

النجف الأشرف

الفصل الأول

ملامح عن :

❁ تأريخ نهج البلاغـة

❁ ومؤلفِـهِ

❁ ومَنْ كان كلامُهُ مادةَ نهج البلاغـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد فهذه فرصةُ لقاءٍ تتجدد مع القارىء الكريم في رحاب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكلماته الحَكَمِيّة لنتفيأ ظلال دوحة البلاغة والحكمة ونجتني ثماراً شهية ينفعنا التزود بها في رحلتنا عبر مسار الحياة العامة سواء الفردية أو الاجتماعية، ونقوّم من خلالها إسلوبنا في المعايشة لسائر الافراد مما يكسبنا الود والوئام والصفاء والوفاء وكل خصال الخير التي نشعر –اليوم– بمزيد الحاجة اليها فقد طغت وتحكمت معاني الشر وما يمثله من سلبيات في الحياة حتى باتت تلك الخصال الطيبة صعبة الحصول والمنال ، وغير متيسر التوفر عليها والتخلق بها، فإنّ المحيط العام مفتقر اليها ومتطلّع نحوها فقد تفشى كثيراً التفسخ والانحلال واصبح الانحراف عن خط الاسلام امراً مألوفاً فلا يملك أحد ان يغيرّ من ذلك شيئا ولو ملك الجرأة وصارح بالحقيقة فلا يُصغى اليه ولا يُلتفت الى توجيهه على اساسٍ من التقدم والحريه ومماشاة الحضارة الموهومة ...

فهي فرصة لنا معا للتعرف على معالم الحضارة لدى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ونظرته للمستقبل، وتعاليمه لمحبيه ومتّبعيه أياً كان اتجاههم الفكري، لان الاسلام دين المحبة والتعاون ومكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وبث القيم الانسانية الاصيلة لدى الاخرين مهما كانوا.. فنجد ان الاسلام يؤكد هذا دائماً ويحرص على ترسيخه في النفوس... ويتمثل ذلك بما حوته

السُنّةُ النبوية وروايات آل البيت عليهم السلام ، وكان من ذلك: المأثور من كلام الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وما وصلنا منه واسعف الحظُ بالاطلاع عليه ينقسم الى عدة اقسام:-

الخطب، الكتب والرسائل، الحِكَمْ والكلمات القصار، الادعية .

وما يخصنا فعلاً ان نتعرض لشرح مجموعة من حِكَمِهِ عليه السلام وكلماته القصار في مجال التثقيف الاجتماعي وتربية الانسان على مختلف المستويات وبمختلف الاساليب، وحيث أنني رجعت الى الجزء الأخير من كتاب نهج البلاغة.

فلا بُدَّ أولاً من معرفة شيء من تاريخ نهج البلاغة الذي يمثّل مجموعة وافية من كلامه عليه السلام.

ان (نهج البلاغة) هو مجموعٌ من كلام الإمام اختاره الشريف الرضي حسبما صرح به في المقدمة فقال:

(فإني كنت في عنفوان السن، وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم: حداني عليه غرضٌ ذكرته في صدر الكتاب وجعلته أمام الكلام. وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً عليه السلام. وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الايام و كنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابواباً وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحِكَمْ والامثال والادآب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة. فاستحسن جماعة من الاصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المتقدم ذكره مُعجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك ان ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب.

علماً ان ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب إذ كان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها. ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا. لان كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي، فأجبتهم الى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر. واعتمدت به ان أبيّن من عظيم قدر امير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدائرة والفضائل الجمة وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر و الشاذ الشارد. واما كلامه فهو من البحر الذي لايساجل والجم الذي لا يحافل، وأردت ان يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع)[1]

فعلمنا من خلال مقدمته هذه ان (نهج البلاغة) هو من جمعِهِ وتأليفِهِ وليس من جمع الامام عليه السلام نعم هو من كلام الامام عليه السلام لكنه ليس من تأليفه كما يظن الكثير وقد تساءل -فعلاً- البعض عن وجود، ومكان نسخة الاصل التي بخط الامام عليه السلام.

والشريف رحمه الله (يلتقط كلام امير المؤمنين عليه السلام التقاطاً ولايَقْفُو مع الكلام المتوالي لان غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لاغير ولو أتى بخطبِهِ كلها على وجهها لكانت اضعاف كتابه الذي جمعه)[2].

(١) مقدمة نهج البلاغة ص١١ -١٢.
(٢) شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج١ص٢٧٣، ج٢ص١٥٣ .

وقد وجد هذا الكلام في مصادر تاريخية قديمه قبل الشريف الرضي مثل الكافي للشيخ الكليني المتوفى سنة ٣٢٨هـ والتوحيد للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ وتحف العقول للحسن بن شعبة الحراني من علماء المائة الثالثة والعقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٧هـ وتاريخ الطبري المتوفى سنة ٢١٠هـ وغيرها[1] مما يدلل على صحة النسبة وعدم كونه من وضع الشريف وجعله ، مع أنه أجّل وأرفع من ذلك، ووثاقته معلومة بما يشهد بورعه وتقواه وترّفعه عن النسبة الباطلة.

مع أن الباحث يجد في بطون أمهات الكتب الشئ الكثير من كلامه عليه السلام، وقد بلغت المصادر وبعضها قبل سنة ٤٠٠هـ وهي سنة صدور النهج -مئة وأربعة عشر مصدرا[2]-، بل أن بعض كلامه عليه السلام كالخطبة الشقشقية وجد (في كتبٍ صُنِّفَتْ قبل أن يُخلق الرضي بمأتي سنة -بل- قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي)[3] .

كما يجد الباحث أن الشريف رحمه الله يذكر -احياناً- مصدره كالبيان والتبين للجاحظ وتاريخ الطبري والجمل للواقدي وغيرها مما يبلغ الخمسة عشر مصدراً[4] مما يبعِّد احتمال الوضع و(أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النَفَس وهذا الاسلوب)[5] . وعلى أي حال فقد وَصَلَنا نهج البلاغة محفوظاً متسلسلاً بالاجازة المنتهية الى جامعه مما يؤكد النسبة والصدور، وبذلك حفظ لنا -جزاه الله كل خير- ثروةً فكرية كانت موزعة في بطون المصادر -ولا

---

(١) ما هو نهج البلاغة ص٤٦-٤٧.

(٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج١ ص٢٩ ٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١ ص٦٩ /ج١ ص٢٠٥.

(٤) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج١ص٤١-٤٢.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١ ص٦٩ /ج١ ص٢٠٥.

يزال البعض منها- معرضة للضياع فقد أنعش بها الفكر الانساني بما فيها من اطروحات اصلاحية وتربوية... طرحها الإمام علي (عليه السلام) بما يفتخر به بنو الانسان مهما اختلفت مذاهبهم ، و أما الملامح التي وعدْت بها عن شخصية الشريف الرضي فيكاد أن يكون من السهل الممتنع خصوصاً في هذه العجالة وبما يلائم طبيعة البحث...

فأما السهولة فبأعتبار توفر المصادر الباحثة عن حياته، الفاحصة عن جوانب الإبداع فيها وما يستحق الدراسة والبحث وقد قُدِّمت الاطروحات الأكاديمية وغيرها في ذلك بما يجعل التوفر على ترجمته أمراً ميسوراً لكثرة ما أُعدّ لهذا الغرض، كما أن من أسباب سهولة الحديث إمكانية التعبير وصياغة العبارة والحمد لله ولكن مع ذلك ما أن يبدأ الباحث بتجميع المعلومات فيقرأ ويقرأ ويفكر ويدوِّن حتى يجد نفسه أمام شخصية ملؤها الفخر والافتخار، والعزة والاعتزاز، والنبل والسؤدد، والوفاء والعفّة، والإباء وعلو الهمة، والشهامة والشجاعة، والشمم والشعور بالأصالة وكرم الأصل والمحتد، وطيب الأرومة والمنبت، حتى تكوّنت شخصيةً فذةً قلَّ نظيرها وعزَّ مثيلها، يصعب إيفاءها حقها، وتأديتها استحقاقها.

وما أحسب أني مبالغ في وصفه بل أجدني مقصراً في أداء حقه عبر هذه السطور فإنه يستحق أن يُفرد بالدراسة..، فلقد حفظ للمسلمين بل للإنسانية تراثاً ضخماً كان مبثوثاً بل مبعثراً في الثنايا والزوايا ، وما ندري فلعله لولا جهود الشريف الرضي في الاختيار والجمع لضاعت تلك الثروة العلوية ولما وصلت للاجيال كما وصلت إليهم بهذه الصورة البهية المؤطرة بإطار (نهج البلاغة) فإنه رحمه الله وإنْ شدَّه الأسلوب البياني والأداء البلاغي، وأخَذَهُ حُسنُ ذلك وجودته، إلا أنه بوّب ذلك أبواباً فكانت: الخطب، الكتب والرسائل، الكلمات القصار أو الحِكَمْ.

فقد صنّف ما اختاره وفق ما يناسبه من تلك الأبواب ليجد الباحث بغيته في مظانها وقد صدر لوحده من دون كثير شرح في ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء باختلاف الطبعات فجاء والحمد لله مجموعة رائعة تحكي صورة بديعة لحُسن التصوير وبليغ الأداء ومتانة السبك وبراعة الوصول للمراد وسهولة التعبير عن المقاصد بالطرق السهلة السلسة التي تلتئم مع أساليب التعبير العربي وما عُرف به من رصانة ودقة في جانب، وسلاسة ورقة في جانب آخر... بل وبقيت تلك الطرق المعبِّرة عن المقاصد متلائمة مع سائر الأساليب في بقية العصور التالية لذلك العصر بل وفي سائر البيئات والثقافات فقد جذب كلام الإمام علي عليه السلام –من خلال نهج البلاغة– كلَّ مَنْ قرأه وأمعن فيه وتأمله وأنصفه، ولم يتحيز، ولم يجانب الحق والواقع.

وقد سبق التنويه عن بعض ذلك عند الحديث حول نهج البلاغة فلا أُطيل.

اسمه ونسبه:

فهو من جهة الأب: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن إبراهيم المجاب بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وهو من جهة الأم: محمد بن فاطمة بنت الحسين (أو الحسن) الناصر الصغير بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير الاطروش صاحب الديلم بن الحسن ابن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فهو سليل الدوحة المحمدية، المتفرع من غصن الإمام موسى بن جعفر، بعدما أينعت به أُرومة علي وفاطمة، وقد طاب منبته وزكا.

الدعاء لك ووكلت الإخبارَ عنك الى علم الناس بك، وما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جَحْدُ مناقبه ولا كتمان فضائله فقد علمتَ أنه أستولى بنو أميةَ على سلطان الاسلام في شرق الارض وغربها وأجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعايب والمثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعّدوا مادِحِيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع ذكراً حتى حظروا أن يسمى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك الاّ رفعة وسموّاً، وكان كالمسك كلمّا سُتِر أنتشر عَرْفه وكلما كُتِمَ تضوّع نَشْرُه، وكالشمس لا تُستَر بالراح وكضوء النهار أن حُجبت عنه عين واحده أدركته عيون كثيرة، وما أقول في رجل تُعْزَى إليه كلُّ فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كلُّ طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عُذْرِها وسابق مضمارها ومُجلّي حَلْبتِها، كلُّ مَنْ بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله أقتفى، وعلى مثاله أحتذى)[1] ثم أنه يدلل على ذلك فيبين نسبة العلوم والفضائل والطوائف اليه ثم يستطرد فيقول: (أحبَّ كلُّ واحد أن يتكثر به ووَدَّ كلُّ أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه... وتحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصوّرُ ملوك الفرنج والروم صورتَه في بِيَعِها وبيوت عباداتها حاملاً سيفه مشمراً لحربه، و تصوِّر ملوكُ الترك والديلم صورته على أسيافها: كان على سيف عضد الدولة بن بُوَيْه، وسيف أبيه ركن الدولة صورتُه، وكان على سيف إلب أرسلان وأبنه ملكشاه صورته كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر)[2].

وقد قال(الاستاذ فؤاد أفرام البستاني أستاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف ببيروت في كتابه "علي بن أبي طالب":

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١ص٥-٦/ج١ ص١٦-١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١ ص٩/ج١ ص٢٨-٢٩.

(لعلي بن أبي طالب شخصية جذّابة حامت حولها أقلام الرواة والمؤرخين، واجتهدت في فهمها عقول النقاد والمفكرين، واهتدت بهديها ميول الزُهّاد والسالكين، وسار تحت لوائها الجم الغفير من المتأدبين و لم تكن الآراء المختلفة والنظريات المتباينة والمجادلات العديدة حوله على كرور الأيام إلا لتزيد الرجل سمواً، وعقليته بروزاً. فمَنْ هذا الرجل العظيم ؟ وما هي قيمة رجل الأدب هذا ؟ كان كبير القلب، شديد الإخلاص، قوي الإيمان، يذوب غيرةً في سبيل الدين الجديد... الحكمة عند علي بن أبي طالب وافرة المعنى، جميلة المبنى، يأخذها عقليةً لا لون لها ولا رسم فتمر في مخيلته فإذا هي صورة جميلة تترجرج فيها الحياة.

فهو حكيم قبل كل شيء، حكيم في جميع مواعظه وخطبه)[١] .

فهذه نماذج شعرية ونثرية من صور الاعجاب والتقدير الصادرة من شخصيات أنشدّت إليه لما لمست فيه ما افتقدته عند غيره، ولما تجسدت فيه من مقومات النجاح مما جعلته مُصلحاً عاماً وليس حكراً على مذهب أوفئة بل يستنير بتعاليمه الجميع ويتربى بتوجيهاته الكل وقد أجمع المسلمون على فضله وعلمه وأنّ (مَنْ أقتدى في دينه بعليّ بن ابي طالب فقد أهتدى... ومَنْ اتخذ علياً إماماً لدينه فقد أستمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه)[٢] وأنه (ما قاتل علياً أحدٌ الاّ وعلي أولى بالحق منه)[٣] .وقد ورد في تفسير قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدِّموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فان الله غفور رحيم﴾[١] أنه (قال عليّ رضي

(١) يلاحظ كتاب الراعي والرعية ص٣٢-٣٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج٦ ص٢٠٥-٢٠٧/ط٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١ ص٢٥٦/ج٣ ص١٠٢.

(١) سورة المجادلة الآية ١٢.

ا لله عنه هذه آية من كتاب ا لله ما عمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم. وسألت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عشر مسائل فأجابني عنها. قلت يا رسول ا لله ما الوفاء ؟ قال: التوحيد وشهادة أن لااله الاّ ا لله، قلت: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك با لله، قلت: وما الحق؟ قال الاسلام والقرآن والولاية إذا انتهت اليك...)[٢] .

ولم يحدثنا التاريخ عن انسان استجمع كل هذه الصفات أو أُستكملت فيه هذه الكمالات والمميزات، بل نقرأه يحدثنا عن احتياج الغير اليه ورجوعهم الى منهله، فيسجل لنا وقائع في أيام الخلفاء الثلاث من قبله لم يهتدوا الى الجواب الصحيح أو الحل المناسب فيها فلجأوا اليه عليه السلام فاسعفهم به وقد قال له الخليفة الأول: (بخ بخ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن)[٣] .

واشتهر عن الخليفة الثاني (لولا علي لهلك عمر)[٤] أو (أعوذ با لله من كل معضلة ليس لها أبو حسن)[٥] .

وتستوقفنا اشارة مضيئة في تأريخ حياته وسجل صفاته عليه السلام وهي لا تقبل المراوغة في القبول والاذعان بل تستلزم الجزم إما بالقبول أو

(٢) تفسير النسفي ج٤ ص٢٣٥.

(٣) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٤٥ .

(٤) نفس المصدر السابق ص٣٩. ونحوه في تأويل الحديث لابن قتيبة ص١١٠. وتذكرة ابن الجوزي وغيرها من المصادر المذكورة في كتاب الغدير ج٦ ص١٠٢/ص١١٠.

(٥) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١١٠ / دار الكتاب العربي - بيروت.

الرفض ألا وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق)[١] .

وفي رواية اخرى (لا يحبك إلا مؤمن تقي ولا يبغضك إلا فاجر ردي)[٢].

وفي رواية أم سلمة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحب علياً منافقٌ ولا يبغضه مؤمن)[٣] .

مما يحتم علينا التأمل والتمهل والتوقف لما في هذه الميزة من دلالة عميقة تدل على مدى علاقته بالله واتصاله الوثيق به، ولم تُذكر هذه ولا نحوها في مناقب غيره مهما بلغ شأوه وجهاده في الاسلام فنستخلص من ذلك تفرده بهذه المنزلة والمكانة السامية .

ومما يجده المتأمل في سيرة الامام وتأريخه انه اعطى الدليل القاطع والبرهان الواضح على تقدمه وفضله وعظيم منزلته وعلمه لكل انسان بما يسعه فهمه وبما تدركه حواسه الباطنية والظاهرية.

فالمتكلم المنطيق والخطيب المفوه ينصت اليه مبهوراً وهو عليه السلام يهدر بذلك الكلام الفصيح والبيان الممتع سواء منه الخطبة الطويلة او الكلمة المقتضبه.

وقد اعجب (نرسيسيان) -رئيس كُتّاب القنصلية البريطانية في بغداد وهو من الأرمن- (بحسن التسجيع وكيف يجري الروي كالماء السلسال على

---

(١) النصائح الكافية لمحمد بن عقيل العلوي الشافعي ص٨٢، ونحوه في شرح النهج مج١ ص٣٦٤ / ج٤ ص٨٣، وبلفظ آخر روي في مسند أحمد بن حنبل وكنز العمال. والرياض النضرة. لاحظ كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج٢ ص١٩٧-٢٠٠ ط النجف.

(٢) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٢٣٤.

(٣) جامع الترمذي ج٤ ص٣٢٧ .

لسان الامام عليه السلام) [١] حتى قال (ولو كان يرقى هذا الخطيب العظيم منبر الكوفة في عصرنا هذا لرأيتم مسجدها على سعته يتموج بقبعات الأفرنج للاستقاء من بحر علمه الزاخر)[٢].

ويقول (المستر كرينكو الانكليزي أستاذ الاداب العربية في كلية عليكره الهندية عندما اجتمع الأساتذة والأدباء حوله في حفلة وسألوه عن إعجاز القرآن، أجابهم: (إن للقرآن أخاً صغيراً يسمى نهج البلاغة فهل في إمكان أحد أن يأتي بمثل هذا الأخ الصغير؟ حتى يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير، وإمكان أن يأتي أحد بمثله؟)[٣].

ويقول ابن رشد (أن في كلام علي من عجائب البلاغة وثواقب الحِكَمْ ما لايوجد في الكلام)[٤].

ويقول ابن ابي الحديد المعتزلي (وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء وعن(في خ) كلامه قيل:دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة ، قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلع ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباته: حفظت من الخطابة كنزاً لايزيده الإنفاق الا سعة وكثرة، حفظت مئة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب... وحسبك أنه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشْر مما دُوّن له وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين وفي غيره من كتبه)[٥].

---

(١)،(٢) ما هو نهج البلاغة ص٧.

(٣) المعجزة الخالدة ص٢٩ - ٣٠.

(٤) تحت راية الحق للسبيتي ص٤٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي مج١ص٨/ ج١ ص٢٤-٢٥.

ويقول الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لسنة ١٨٩٩م (وليس في أهل هذه اللغة الا قائل بأن كلام الامام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه(ص) وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني)[١].

ويقول بولس سلامة (ينظر اليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء ويتطلع اليه الكاتب الالمعي فيأتم ببيانه.. أما الخطيب فحسبه أن يقف في السفح ويرفع الرأس الى هذا الطود الشامخ لتنهلّ عليه الايات من عَلُ، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسخ قواعده أبو الحسن إذ دفعها الى أبي الاسود الدؤلي فقال: أنح هذا النحو. وكان علم النحو)[٢].

ويقول محي الدين الخياط[٣]: (لأن فاخرَ اليونان بديمستينوس والرومان بشيشرون والافرنسيون بفولتير والانكليز بملتون والايطاليون بدانتي فنحن نشمخ بأنفنا بالامام العظيم والعربي الصميم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رب الفصاحة والبلاغة... وهو أعلم الصحابه بلا أستثناء وأفصحهم بلا مراء وأقضاهم بلا شبهة وأشجعهم بلا ريب وأشرفهم حسباً وأقربهم من النبي نسباً وأذودهم عنه بالسيف والسنان وأدراهم بالبنان والبيان)[٤].

فهذا حال المتكلم المنطيق والخطيب المفّوه وكذلك الفارس الشجاع يترسمه ويتمثل خطاه فإنه (لم تظل السماء أشجع من ابن أبي طالب، فعلي ذلك الساعد الاجدل أعتمد الاسلام يوم كان وليداً، فعلي هو بطل: بدر و خيبر والخندق وحنين و وادي الرمل والطائف واليمن، وهو المنتصر في صفين ويوم

---

(١) مقدمة نهج البلاغة ص٦.

(٢) مقدمة ملحمة عيد الغدير ص٢٧.

(٣) شاعر أديب ولد في صيداء، له تعليق على شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده -الاعلام للزركلي ج٨ ص٦٧ بتصرف.

(٤) السبيق في كتابه تحت راية الحق ص٤٥.

الجمل والنهروان والدافع عن الرسول يوم أحد وقيدوم السرايا ولواء المغازي)[1].

وكذلك يقتدي به الناسك المتعبد ويردد مناجاته وأدعيته.

وكذلك يحتذي حذوه الحاكم العادل ويسير بسيرته ويلمّ بوقائعه اليومية لينهج نهجاً قوياً في تسييس حكومته.

ويأتي دور الانسان البسيط غير المتعلم ولاالمتكلم ولاالفارس ولا الحاكم بل حتى ولا المتعبد فتجده ينشدّ اليه ويُعجب به ويُعبر عن ذلك الحب والولاء الفطري بوسائل متعددة وكُلّ حسب طريقته الخاصة...

هذه صفحات مشرقه منصفه مما سجله التأريخ، لكن نقرأ صفحات أخرى سجلها التاريخ وحفظ فيها: أن أعداءه حاولوا طمس معالمه فلم يزده ذلك الا وضوحاً وشهرة وتفننوا في ذلك فيقول: (محفن أبن أبى محفن لمعاوية- متملقاً- جئتك من عند أعيى الناس، قال له:ويحك! كيف يكون أعيى الناس فو الله ما سنّ الفصاحة لقريش غيرهُ)[2].

أو ترى لايدري أنه كذلك؟! ولكنه أسلوب من أساليب الحملة المضادة للإمام عليه السلام، ثم لَتُطالِعُنا شهادة مبطنة ظاهرها لايتفق مع باطنها (لله أنت لولا دُعابة فيك أما والله لئن وَلِّيتَهُم لتحملنّهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء)[3] ، ويردّ الامام عليه السلام على هذا التضليل ومحاولة صرف الانظار عنه بقوله: (عجباً لابن النابغة يزعم لاهل الشام أن فيّ دعابة وأني أمرؤ تلعابة أعافس وأمارس ، لقد قال باطلاً ونطق آثماً ، أما وشر القول الكذب انه ليقول

---

(١) مقدمة ملحمة عيد الغدير ص٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي مج١ ص٨/ج١ ص٢٤-٢٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي مج١ ص٦٢/ ج١ ص١٨٦.

فيكذب... أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الأخرة)[١].

ثم تستمر الحملة الظالمة الآثمة فكان منها:

أن (كتب معاوية نسخة واحدة الى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة يلعنون علياً ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهل بيته)[٢].

وكان منها أن (كتب معاوية الى عمّاله في جميع الآفاق أن لايجيزوا لأحد من شيعة علي شهادة)[٣].

ومنها أن (انظروا مَنْ قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الديوان وأسقطوا عطائه ورزقه... ومَنْ أتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به وأهدموا داره)[٤]. ويمر عبد الله بن عباس (بقوم ينالون من علي ويسبونه -فيقول لهم-: أيكم الساب لله؟ فقالوا نعوذ بالله أن نسّب الله، فقال: أيكم السّاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا: أمّا هذه فنعم، قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول مَنْ سّبني فقد سّب الله ومَنْ سّب علي ابن أبي طالب فقد سّبني)[٥].

ويتسائل معاوية -مستغرباً- من سعد بن أبي وقاص فيقول له: (مامنعك أن تسّب أبا تراب؟ فقال: أمّا ماذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسّبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب اليّ من حمر النِعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول له:... أما ترضى أن

---

(١) نهج البلاغة ج١ ص١٤٧ بشرح محمد عبده، ويستحسن للقارئ الكريم مراجعة ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه مج٢ ص١١٥/ج٦ ص٣٢٨-٣٣٠ ليتضح له واقع الحال.

(٢)،(٣)،(٤) النصائح الكافية لمحمد ابن عقيل العلوي الشافعي ص٨٧-٨٨.

(٥) النصائح الكافية ص٩٢ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٨٣.

تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر لأعطينّ الراية رجلا يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويُحبّه الله ورسولُهُ. قال فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً فأُتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي)[1]

وبعد استعراض هذه النماذج نجد أنهم (سبّوه على المنابر وهو سيّد المنابر إطلاقاً. فعظُمَ وصغروا ولم يسبّهم بكلمة فأزداد عظماً وأزدادوا هم صغراً، لقد أحبّ الحق فأبغضه أصحاب الباطل ونقموا عليه)[2]، ويتضح جلياً الدافع وراء هذه الحملة بكل أساليبها وفصولها والتي لو وجهّوا بعضها لخدمة الاسلام والمسلمين لكانوا بأحسن حال ولكنها أحقاد بدرية وخيبرية وحنينية وما تلاها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه عليه السلام ما كانت لتأخذه في الله لومة لائم بل اتجه بكله نحو طريق الحق وتحمّل المصاعب والمتاعب لنعرف بعد ذلك أن (حياته حياة عظيم من عظماء البشرية أنبتته أرض عربية ولكنها ما أستأثرت به، وفجّر ينابيع مواهبه الاسلامُ ولكنه ما كان للاسلام وحده)[3] بل شمل بعنايته ورعايته الجميع لأنه دائماً كان يفكر بهم، ويهتم لهم، ويهم عليهم ومن أجلهم لو أنحرفوا عن الطريق المستقيم، وهذه مميزات الحاكم العادل الذي لايترك للمحسوبيات القومية أو المذهبية أو السياسية طريقاً الى نفسه. بل يعامل الجميع بروحٍ واحدة ومقياس واحد ألا وهو إنصاف المظلوم ونصرته، والحد من الظلم وسطوة الظالمين فكأنه بهذا علّم الاجيال دروساً تربوية في التعايش ليتوحدوا في خط الله ويسيروا على طريق

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ ورواه الترمذي فيجامعه ج٤ ص٣٢٩ ٣٣٠ ورواه أيضا الخوارزمي الحنفي في المناقب ص٥٩ ورواه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص٨٥.

(٢) في خطى علي ص٣٨٦.

(٣) مقدمة ميخائيل نعيمه لكتاب الامام علي صوت العدالة لجورج جرداق ص٢٠ ط٢.

الله ويحقق الجميع الغاية المنشودة المتمثلة في قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون﴾[(١)] لنجد بعد ثلاثة عشر قرناً مَنْ يعي هذه الدروس فيستفيد منها ويدعو غيره اليها فيقول (إني وأنا أسير "في خطى علي" أدعو جميع أخوتي المسيحيين الى الاقبال على "نهج البلاغة" يقرأونه بإمعان وعمق ليتبينوا فيه تلك الخيوط الروحية المشعّة التي تشدّ المسيحي الى المسلم لأنهما كليهما مؤمنان يعرفان إيماناً من كتاب الله فلكل مؤمن أن يعمل وفق ما أوصى به دينه، وفي مثل هذه الحال يلتقي جميع المؤمنين في المحبة وفي الله)[(٢)]، ولنجد أيضاً مَنْ يدرس هكذا شخصية فيخلص الى (أن أقوال علي وأفعاله لتثبت أنه كان بصيراً بالامور وأبعادها، نافذ الفكر حتى الاعماق، عالماً بنفسية البشر وبما طُبعوا عليه، ذا عقل ملمّ بالشؤون الخاصة والعامة باطنها وظاهرها، حكيماً، لا يطأ إلاّ الأرض الصلبة الصمّاء، وذا منطق سديد أنفذ الى قلب السامع من سهم شديد، وفي نهج البلاغة خطب وكتب كثيرة تثبت صحة مانقول. وأن بعض هذه الخطب والكتب لتصلح أن تكون نماذج للحكّام – حكّام الامس واليوم والغد– يرجعون اليها ليتبينوا فيها المبادئ العامة والخطوط الكبرى في سياسة الدولة وإدارة شؤونها وشؤون المواطنين)[(٣)] ويستمر في تحليله ونظرته لشخصية الامام عليه السلام من خلال نهج البلاغة فيكتشف أن (له في نهج البلاغة أمثالٌ بَلَغَ عليٌ قمة المستوى الانساني فما هو بعربي يتحدث الى عرب ولا بمسلم يحدّث مسلمين، انما هو مفكر مؤمن يخاطب البشر، جميع البشر منذ كان في الارض بشر يحملون الى أن يقرّر الله مصائر خلائقه، ولا عجب فعلي قرآن ناطق، عاش القرآن في قلبه وأجراه على لسانه هدى ورحمة للعالمين)[(٤)]

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) في خطى علي ص٣٤١-٣٤٢.

(٣) (٤) في خطى علي ص٢٤٤-٢٧٥

وليجد إنه عليه السلام بهذا المأثور عنه من الكلام قد (أتحف العربية بسِفْرٍ لايفوقه بلاغةً إلا القرآن الكريم ولا عجب في ذلك فهذا تنزيل من ا لله، وذاك من صنع الإنسان وما اقترب أمرؤ من ا لله حرفاً وروحاً كإقتراب عليّ منه في "نهج بلاغتِهِ")[١] وحقاً ان علياً اقترب من ا لله وفنى فيه حتى قال (لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)[٢] فهل يعجب متعجب، أو يستكثر مستكثر هذا العطاء عليه ؟

حقاً إنه مدعاة للافتخار والاعتزاز والاقتداء وترسم الخطى ولكن كما قال الاستاذ سليمان كتاني (يا سيدي إنهم بدل أن يختلفوا اليك اختلفوا فيك؟! فمنهم من فقدوك وما وجدوك.. ومنهم من فقدوك ثم وجدوك.. ومنهم من وجدوك ثم فقدوك.. إنه لعجب عجاب!!)[٣] وأيضاً كما قال الاستاذ جبران خليل جبران (فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم فمَن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة ومَنْ خاصمه كان من أبناء الجاهلية)[٤] .

وهذا مِن بعض الضيم والهضم الاجتماعي للإمام وما يتحلى به فان صور الظلم والتجاوز عليه كثيرة ولكنه بقي مع ذلك محط انظار العالمين ومعقد آمالهم في الاصلاح والانقاذ ويبقى علي بإفكاره، بمبادئه، بمواقفه، بمآثره، بتضحياته، بزهده في المناصب، بسعي الدنيا إليه ورفضه لها حتى قال (يادنيا يا دنيا إليك عني، أَبيّ تعرضت أم إليّ تشوقتِ هيهات غرّي غيري لا حاجة لي

---

(١) في خطى علي. ص٣٢٢.

(٢) قرة العيون للفيض الكاشاني ص٣٢٣ ، ونحوه في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة مج٢ ص٢٤٩= ج٧ ص٢٥٤، وأيضاً ج١٠ ص١٤٢.

(٣) الإمام علي نبراس ومتراس ص٥١ ط٢.

(٤) ملحمة عيد الغدير لبولس سلامة ص٢٢.

فيك قد طلقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها فعيشك قصير، وخَطَرُك يسير وأمَلُكِ حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبُعْدِ السفر وعظيم المورد)[1] .

وتصعب هذه المصارحة وتثقل على طلاب الدنيا فيحولون الاتجاه ويحاولون صرف الأنظار والتعتيم من حول الإمام عليه السلام بما أُتوا من قوة وعُدّة... وحين يُتسائل : هل أثّر هذا عند الإمام علي أو فيه أو عليه أو قلّل من عظمته؟ فيجيب الشاعر السّماوي[2] بقوله:

وهذا عليّ والاهازيج باسمه تشق ... الفضا النائي فهاتوا معاويا
أعيدوا ابن هند إن وجدتم رفاته ... رفاتاً وإلا فانشروها مخازياً[3]

وحقاً إنها مخازٍ . لأن الواقف (على قبر معاوية) يجده كما قال الشاعر محمد مجذوب[4] :

كتلٌ من التُرْبِ المهين بخربةٍ ... سكر الذباب بها فراح يعربد
خفيت معالمها على زوارها ... فكأنّها في مجهل لا يقصد

بينما الواقف (على ضريح علي) يجده مقصد الزائرين وكعبة الوافدين وملاذ المستجيرين ذلك لأن:

تلك العظام اعزّ ربك قدرها ... فتكاد لولا خوف ربك تُعبد
أبداً تباكُرها الوفود يحثّها ... من كل صوب شوقها المتوقد

ولنفسح الطريق أمام الباحثين ليبحثوا وليتأملوا، ولنبعد عنهم المؤثرات الجانبية ليخلص حكمهم من شوائب التأثر النفسي والانشداد العاطفي ليقولوا كلمتهم وليسمعها الجيل الصاعد من شباب المستقبل لئلا ينجرفوا وراء وسائل

---

(١) نهج البلاغة ج٤ ص١٦ بشرح الشيخ محمد عبده.

(٢) المرحوم الشيخ عبد الحميد السماوي المتوفى سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٣) ديوان السّماوي ص٢٨١ ط١/دار الاندلس بيروت سنة ١٣٩١هـ.

(٤) مقدمة النصائح الكافية للسيد محمد رضا الخرسان ص١١.

التضليل الاعلامي التي كُرست لهم، وصُنعت -خصيصاً- لاستقطابهم، فأُبدلوا بالابطال المسلمين ثمة أشخاص لا يُعرف لهم ماضٍ، وإن عُرف فهو غير مستحق لكل هذا الاعجاب والانقياد لأنه لا يعدو كونه ماضياً لإنسان أو إنسانة سلك مختلف الطرق لإجل الوصول الى غايته، بينما يطالعنا في هذا الجانب: الماضي المشرق والمشّرف لإنسان ولد في الكعبة في بيت الله الحرام ومات في محرابه في جامع الكوفة، ربّاه في صغره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم آخاه واستوزره ثم استخلفه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (انّ أخي ووزيري وخير مَنْ أخلفه بعدي عليّ بن أبي طالب)[1].

وهذا مثال لواحد من أولئك الابطال المسلمين مما يحتّم علينا الالتحاق بركبه والاهتداء بهديه ليتزن سلوكنا ويحسن تعاملنا ولنعرف أننا مسؤولون عن مهام، مكلّفون بواجبات لم نُترك بلا رعاية حتى نسمح للآخرين بالمتاجرة بنا: بأخلاقنا، بعبادتنا، بحل مشاكلنا، بإختراق أفكارنا. لأن من أهم ما يُعرِّض الإنسان الى الخطر هو شعوره بالفراغ النفسي والخواء الفكري، فلا يجد من نفسه الثبات على أرض صلبة ليستطيع من خلال الاعتماد عليها مواجهة العاديات والمخاطر ومكافحة الأوبئة الفكرية ومناهضة الآراء المنحرفة التي تدخلت في أغلب تفاصيل الحياة. وعندها تتدهور الحالة النفسية وتخرب البنية الداخلية للإنسان فيبدو مهزوز الشخصية يستجيب بلا مناقشة، وعندئذ لا تصعب السيطرة عليه ويسهل الالتفاف من حوله ليقع فريسة، وهذا ما احتاط له الإمام عليه السلام بقوله (ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا)[2]. وهذا إجراء حكيم لحفظ أفكار الطليعة من

(١) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٦٢.

(٢) نهج البلاغة ج٤ ص١١٠، بشرح الشيخ محمد عبده.

شباب المستقبل. فألزم بالتعلم وبإزائه التعليم لأنّ ذلك الوسيلة الوحيدة في التحصين الفكري والحماية لأخلاقهم.

ومن هذا المنطلق التقينا في رحاب الإمام عليّ عليه السلام لنهتدي بسيرته ونلتزم طريقته، ولو استهدينا الأدلاء لأرشدونا إليه.

ألا نسمع الحسن البصري وهو يقول: (كانت له السابقة والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة. إنَّ علياً كان في أمره عَلياً رحم الله علياً وصلى عليه... والله أنه آل محمد كلهم)(١).

ونسمع الاستاذ جورج جرداق وهو يقول: (فإذا هو الإمام في الأدب وسرّه البلاغة، كما هو الإمام في ما أثبت من حقوق وفي ما علّم وهدى! وآيته في ذلك (نهج البلاغة) الذي يقوم في أسس البلاغة العربية في ما يلي القرآن من أسس، وتتصل به أساليب العرب في نحو ثلاثة عشر قرناً فتبني على بنائه وتقتبس منه ويحيى جيّدها في نطاقٍ من بيانه الساحر، أما البيان فقد وَصَلَ عليٌّ سابِقَهُ بلاحقه فضم روائع البيان الجاهلي الصافي المتحد بالفطرة السليمة إتحاداً مباشراً الى البيان الإسلامي الصافي المهذب المتحد بالفطرة السليمة والمنطق القوي إتحاداً لا يجوز فيه فصل العناصر بعضها عن بعض فكان له من بلاغة الجاهلية، ومن سحر البيان النبوي ما حدا بعض الى أن يقول في كلامه أنه (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)، ولا غرو في ذلك، فقد تهيئت لعليّ جميع الوسائل التي تعّده لهذا المكان بين أهل البلاغة فقد نشأ في المحيط الذي تسلم فيه الفطرة وتصفو...)(٢)، ولنسمع الاستاذ بولس سلامة وهو يقول: (إن العروبة المتيقظة اليوم في صدور ابنائها من المغرب الأقصى الى آخر جزيرة العرب لأحوج ما

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد مج١ ص٣٦٩ - ج٤ ص٩٦.

(٢) الإمام علي صوت العدالة ج٣ ص١٨٤.

يكون الى التمثل بأبطالها الغابرين وهم كثيرون على أنهم لم يجتمع لواحد منهم ما اجتمع لعليٍّ من بطولة وعلم وصلاح، ولم يقم في وجه الظالمين أشجع من الحسين فقد عاش الأب للحق وجرّد سيفه للدفاع عنه منذ يوم بدر، واستشهد الابنُ في سبيل الحرية يوم كربلاء ولا غرو فالأول ربيب محمد والثاني فلذة منه)[١].

ولنسمع الاستاذ نصري سلهب وهو يقول: (ومهما جلنا في "نهج البلاغة" فلن يسعنا أن نورد إلا نقطة من بحر، أو زهرة من مرج يموج بالازهار، غير أن علياً نفعنا الله بعلمه وتقواه لا يمكن فهمه والنزول الى أعماق قلبه وفكره إلا من خلال "نهج البلاغة".. ولا تحسبنّ "نهج البلاغة" سِفر سياسة وإدارة وإيمان فحسب، ولا مجموعة مواعظ في شؤن الحياة وشجونها فحسب، ولا هو كتاب حِكَم وعِبَر فحسب، هو ذلك وأكثر من ذلك بكثير.. وخير سبيل الى النهج قراءته فإليه ادعو قارئي واثقاً من أني أدعوه الى ما فيه خيره ونفعه وصلاحه.

إن النهج لمدرسة ليست بحاجة الى معلم فالمعلم الكبير يهيمن على كل صفحة من صفحاته بل روحه تخيم فوق كل كلمة من كلماته!)[٢].

ولنقرأ لابن أبي الحديد المعتزلي عندما عَقّبَ على خطبة الإمام عليه السلام التي تتضمن ما للملائكة من المزايا، ويوم البعث والموت، قال بعدها: (مَنْ أراد أن يتعلم الفصاحة والبلاغة ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض فليتأمل هذه الخطبة فإنَّ نسبتها الى كل فصيح من الكلام عدا كلام الله ورسوله نسبة الكواكب المنيرة الفلكية الى الحجارة المظلمة الأرضية... فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به ولياً من أوليائه، فما أبلغ نصرته له،

---

(١) ملحمة عيد الغدير ص٢٤.

(٢) في خطى عليّ ص٢٧٤ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

تارة بيده وسيفه وتارة بلسانه ونطقه وتارة بقلبه وفكره، إن قيل جهادٌ وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل وعظٌ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين، وإن قيل فقهٌ وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وإن قيل عدلٌ وتوحيد فهو إمام أهل العدل والموحدين،

وليس على الله بمستنكرٍ　　ان يجمع العالم في واحد[١]

وقال في معرض تعقيبه على خطبة أخرى للإمام عليه السلام تتضمن التوحيد: (واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الألهية ما عُرفت إلا من كلام هذا الرجل وان كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً ولا كانوا يتصورونه ولو تصوروه لذكروه. وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام)[٢].

ولنلتزم نصيحة الأدلاء -وهم غير متهمين بجنوح أو انحياز إليه- ولنقرأ كلام الإمام فنتوقف عند كلماته لنفهمها في حياتنا ليعطينا ذلك مناعة قوية ضد الافكار المسمومة المبثوثة مرئياً أو مقروءاً أو مسموعاً.

وفي نهاية هذا اللقاء في رحاب الإمام عليّ عليه السلام ونهج بلاغته أحسب أني قد وفّيت بحق الصحبة للقارئ الكريم فعرضت أمامه صوراً مما سجله التاريخ عن شخصية الإمام وعن المأثور من كلامه مع الإشارة الى محاولات التعتيم ليتنبه لذلك وإن كان واقع الحال كما قال الإمام الشافعي (أنكر أعداؤه فضلَهُ حسداً وطمعاً ، وكَتَمَ أحباؤه فضلَهُ خوفاً وفَرَقاً وفاض ما بين هذين ما طبّق الخافقين)[٣] وحقاً أنه كذلك فإن الدارس لشخصيته، والمتأمل

---

(١) شرح نهج البلاغة مج٢ ص٢٣٠-٢٣١ = ج٧ ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة مج٢ ص١٢٠ = ج٦ ص٣٤٦.

(٣) تحت راية الحق ص٤٤.

فيها لا يملك نفسه إلا أن ينطق بالحق وذلـك في سبيل الحـق ولأن الحـق ينطق منصفاً وعنيداً - كما قيل - .

فإلى الاقتداء والاهتداء به عليه السلام مـن خـلال الفصـل القـادم ومـا اخترته من كلماته الحكميّة القصار، وشرحها الموجز بما يوضـح المقصـود ادعـو القارئ الكريم إذ أتمثله عليه السـلام وهـو يدعونـا برفـق لتصحيـح مسيرتنا في الحياة وتنظيمها وفق مفاهيم ومُثُل ترقى بنا نحو مدارج الخير والفلاح والسداد فإلى هناك ومن الله التوفيق.

الفصل الثاني

أضواء على المختار

مِن

حِكَمْ الإمام علي عليه السلام

﴿حرف الألف﴾

١- قال عليه السلام :

اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم.

الدعوة الى مراقبة الله تعالى دائماً وفي جميع الحالات وخصوصاً تلك التي يظن العبد ان الله تعالى غير مطلع عليه، فانه سبحانه محيط بنا ومطلع علينا وقد اودع كلَّ واحدٍ منا ما يسجل عليه اعماله فلا يمكن للعاصي ان ينكر معصيته او يزوّر في كيفيتها بما ينجي به نفسه، وبموجب هذه الشهادة يصدر الحكم بالادانة.

٢- قال عليه السلام :

أحبب حبيبك هَوْناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هَوْناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

الدعوة الى التوازن في العلاقات الاجتماعية، والاعتدال في الحب والبغض ، اذ من البعيد استقرار علاقة فرد بآخر على وتيرة واحدة وإنما تتعرض الى حالات من المودة الصميمة او التشنج والتوتر الى حد النقيض من طبيعة الحالة السابقة، فلو تعامل كل فرد مع صاحبه بمقياس يحافظ فيه وبموجبه على العاطفة لتكون الحياة مبنية على مزيج من العقل والعاطفة، وعندها لاتصعب المعالجة ، ويستحسن أن يكون أساس الحب والبغض مبنياً على ركيزة الحب أو البغض في الله و لله لأنَ ذلك أضمن في ديمومة العلاقة وأبعد، اذ من الواضح جداً أنها لو ارتكزت على المصالح والاطماع المادية الصرفة لتبخرت ولتلاشت بانتهاء تلك المصالح والاطماع.

٣- قال (عليه السلام) :

احذروا نِفار النّعم[١] فما كل شاردٍ بمردود.

الدعوة الى التأدب والمعاملة الحسنة مع ما يتفضل به الله تعالى على عباده، والانتفاع من ذلك بما يديم هذه النعم لا بما يسبب زوالها، ونِعم الله كثيرة ولها مستويان مادي ومعنوي.

أما المستوى المادي فيتمثل بمثل الرزق والعافية والصحة وكثرة الانتاج وطول العمر....

وأما المستوى المعنوي فيتمثل بمثل الامان والذكاء والوجاهة الاجتماعية وعدم الابتلاء ببلاء الغير...

وقد لايقّدر الكثير من العباد بعض هذه النِعم فلا يعطيها حقها من الشكر[٢] مع انه بالشكر تدوم النعم -كما قيل- .ويحسن التنبيه الى ان هذا

---

(١) النّعم جمع النعمة وهي لغةً : الصنيعة والمنة، ما أنعم به عليك من رزق وغيره، المسَّرة، الحالة التي يستلذها الانسان. المنجد ص٨٢١ مادة (نعم).

(٢) مما أتّفق عليه أن الشكر أمر مستحسن بحكم العقل فانه يحكم بوجوب شكر المنعم ويحث عليه العقلاء دائماً، ويقضي بقبح تركه، وأيضاً قد ورد في الكتاب العزيز ما يحث عليه كما في قوله تعالى:

﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ سورة البقرة/الآية:١٥٢.

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله﴾ سورة البقرة /الآية ١٧٢.

﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله ﴾ سورة النحل/الآية ١١٤.

(فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له)سورة العنكبوت الآية ١٧.

(كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور)سورة سبأ الآية ١٥.

(فخذ ما آتيناك وكن من الشاكرين)سورة الاعراف الآية ١٤٤.

(بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)سورة الزمر الآية٦٦.

(ومَنْ شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم)سورة النمل الآية ٤٠.

(واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم)سورة ابرهيم الآية ٧.

(ان أشكر لي ولوالديك اليّ المصير)سورة لقمان الآية ١٤.

وقد ورد في الروايات الشريفة ان (من الفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله لايشكر الله من لايشكر الناس) الوسائل ج١١ ص٥٤٢، وروي عن الامام عليّ بن الحسين عليه السلام (ان الله يحب كل

لايؤثر على مقدرات الله سبحانه وتعالى لعباده ولكنه يؤثر سلبياً في عدم التوسعة والزيادة لأنه اذا احسن العبد جوار نِعم الله وعاملها معاملة لائقة فانه اضمن لدوامها، والمعاملة الحسنة اللائقة تختلف باختلاف النعم فقد يكون

قلب حزين ويحب كل عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى لعبدٍ من عبيده يوم القيامة أشكرتَ فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يارب، فيقول: لم تشكرني اذ لم تشكره، ثم قال أشكركم لله أشكركم للناس) أصول الكافي ج٢ ص٩٩، باب الشكر ح٣.

وروي عن الامام الباقر عليه السلام قال: (من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة.وتلا ابو جعفر عليه السلام واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) الوسائل ج١١ص٥٥٣.

وروى ايضاً عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله انه كان (عند عائشة ليلتها، فقالت: يارسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال يا عائشة الا أكون عبداً شكوراً...) أصول الكافي ج٢ ص٩٥.باب الشكر ح٦.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام (قال: مكتوب في التوراة: أشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك فانه لازوال للنعماء اذا شكرت، ولا بقاء لها اذا كُفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغِيَر -اي التغير-) الوسائل ج١١ ص٢٤٨.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (يقول: أحسنوا جوار نعم الله واحذروا أن تنتقل عنكم الى غيركم، أما انها لم تنتقل عن احدٍ قط فكادت ترجع عليه، قال:وكان عليّ عليه السلام يقول قلّما أدبر شيء فأقبل). الوسائل ج١١ ص٥٥١.

وروي عنه عليه السلام ايضاً انه قال: (ما كثر مال أحد قط الاكثرت الحجة لله تعالى عليه فان قدرتم تدفعونها عن انفسكم فافعلوا -فقيل له- يابن رسول الله بماذا ؟ فقال: بقضاء حوائج اخوانكم من اموالكم....واشكروا من أنعم عليكم وانعموا على من شكركم فانكم اذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة ومن اخوانكم المناصحة، ثم تلا:لئن شكرتم لأزيدنكم) الوسائل ج١١ ص٥٥٣.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (قال: ان الله مَنَّ على قومٍ بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة) الوسائل ج١١ ص٥٤٢.

وروي عن الامام الرضا عليه السلام (يقول: مَنْ لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّوجلّ) الوسائل ج١١ ص٥٤٢.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (يقول: مَنْ حمد الله على النعمة فقد شكر وكان الحمد أفضل [من]تلك النعمة) أصول الكافي ج٢ ص٩٦ باب الشكر ح١٣.

بتوجيه هذه الطاقة نحو الخير، وقد يكون بصرف المبالغ في سبيل الخير، وقد يكون
بصرف العمر في الخير، ....

وقد روي انه (دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة فرأى كسرة كاد يطئها فأخذها فأكلها وقال: يا حُميراء أكرمي جوار نعمة الله عليك فانها لم تنفر عن قوم فكادت تعود اليهم)(1) وهذا يدلنا على اسلوب آخر من أساليب التعامل اللائق مع النِعَمْ التي يغدقها الله تعالى على عباده، كما انه يؤكد مضمون الحكمة أيضاً فان الحديث النبوي والحكمة العلوية يؤكدان على ان النعمة لو سُلبت من أحد فمن المحتمل عدم عودها مرة أخرى.

٤- قال (عليه السلام):

أحذر أن يراك الله عند معصيته، ويفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، واذا قويت فاقوَ على طاعة الله، واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله.

الدعوة الى مراقبة الله تعالى وطاعته والتحذير من عمل المعاصي.

والحث على عمل الطاعات والتخويف من الاتيان بالمعاصي، وهذه امور من المهم جداً ان يستحضرها كل فرد في حياته فيلزمه امتثال اوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه عزّ وجلّ لأنه مطّلع على عباده ولا يمكن لأحد أن يخفي عنه شيئاً. وينبغي ايضاً ان يستعد كل فرد ويتوجه بعزيمة صادقه نحو الاعمال الصالحة، وان يبتعد ابتعاداً بالمرة وينصرف انصرافاً نفسانياً عن الاعمال القبيحة التي نهى الله عنها لأنه قد اختبر عباده بهاتين الخصلتين فمَنْ وجده في سبيل الخير أمّده بعونه وتوفيقه وافاض عليه نِعَمَهُ ظاهرة وباطنة، ومن انحرف

(1) المحاسن/ص٣٧٤ ط النجف.

عن هذا الطريق وسلك طريقاً معوجة فيخذله تعالى ويرفع عنه يد العناية فيكون ممن خسر الدنيا والأخرة ومصيره النار، ومن هنا نعرف محاولة الامام عليه السلام لحفظ الفرد المؤمن من مصائد الشيطان وشراك الباطل المترصد لكثرة ما يستهوي ويستميل في هذا العصر وخصوصاً تلك العناوين البرّاقة الجذّابة التي لاينكشف ما وراءها بسهولة لكل أحد، وهنا يكمن الخطر ويشتد لزوم الحذر فإنّ الفتنة تسري بيننا بما لاتترك مجالا للتفكير والاختيار فينبغي أن يختار الفرد طريقه ويحدّد هدفه لئلا تتجاذبه الأهواء المضلة وليسد منافذ الشيطان اليه ولايترك له سبيلاً الى نفسه. ومما يؤسف له أن تخلو ساحة الحق ممن ينبغي أن لايغادرها بينما يُلاحظ امتلاء موقف الباطل وتحشّد أتباعه لأسباب تساعد على إضعاف قوته وتخريب عقيدته والحط من مقدساته ورموزه، فنسأله تعالى الى أن يرشد امر الجميع ويهديهم سواء السبيل.

٥- قال عليه السلام :

أحسنوا في عقب(١) غيركم تُحْفَظُوا في عقبكم.

الدعوة الى الاحسان والتعامل الطيب بما يضمن تعاملاً مماثلاً في الحياة وبعد الوفاة لان مما يهم كل فرد ويناضل من دونه هو أن يعيش هو ومَنْ يتعلق به بأمن وسلام، ومما يوفر ذلك ويؤمّن حصوله وديمومته هو التعامل الطيب، وتختلف صور الاحسان والتعامل الطيب، باختلاف الافراد المعاملين والمتعامَل معهم وبأختلاف الزمان والمكان وسائر المقاييس الاعتبارية الأخرى لأن من المحسوس والمعايش للكثير أن معاملة الناس لفرد معين تتسم بطابع خاص ما دام هو في الحياة فإذا غاب تبدلت المعاملة، ولما كان الطمأنينة والعيش بسلام مما ينشده كل أحد فلا بُدَّ من الأبتداء بالاحسان لِيُضْمَنْ التبادل.

---

(١) العَقِب لغة...الولد، ولد الولد المنجد ص٥١٨ مادة (عقب).

٦- قال (عليه السلام) :

أحصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

الدعوة الى ترك الحقد ونبذ ما يكنّه الانسان من دخائل السوء على أخيه الأنسان، وأحسنُ طريق لذلك أن ينسى الفرد كل ما يُذكّره بِشَرٍ وما يؤجج نار الضغينة.

لأن على الانسان أن يبدأ الأخرين بالأحسان والفضل ليساعدهم على مبادلته اياه وإلاّ لو تصّلب كلُ واحد ولم يتقدم خطوة نحو الخير لأتسعت الفجوة وكثرت الأحقاد والثارات ولما استقام حال الناس وتعقّدت المشاكل البسيطة التي قلّما يخلو مجتمع منها مهما كان مستواه الثقافي أو الاقتصادي.

وعليه،لا بُدَّ من التغاضي ليتعلم الآخرون درساً عملياً لأنه أبلغ في الأداء وأرسخ في الاذهان بينما رفع الشعارات وترديد النظريات الاصلاحية لا صعوبة فيه لأنه قد يصدر أحياناً من الذين لايؤمنون بتلك الافكار. وعندئذ لايكون أيُّ فرقٍ بين صاحب الرسالة في الحياة وغيره، فلا بُدَّ من الالتزام بجانب التسامح وحب الخير.

٧- قال (عليه السلام) :

أذا أحتشم[1] المؤمن أخاه فقد فارقه.

الدعوة الى الانفتاح في العلاقة الاخوية المبنية على اساس الايمان، والمحاطة بالتوازن وعدم الأنفلات وكسر الحاجز،بل من خلال إبداء النصيحة وحب الخير والتصافي ومحض المودة وحفظ الآداب العامة والوفاء.بما يهيأ جواً ملائما للكلمة الحرة والرأي الصائب.بما يخدم الطرف الآخر ويقّوم اعوجاجه

(١) احتشم: أي انقبض عنه، وترد أحياناً بمعنى الاغضاب بأن يسمعه ما يكرهه فيؤذيه. يلاحظ لسان العرب مج١ ص٦٤٥ مادة (حشم)، والمنجد ص١٣١ مادة (حشم).

ويدفع عنه السوء ويوصل اليه الخير، لتكون النتيجة الوصول الى التكامل المنشود.

والاّ اذا سكت واغضى الفرد عما يراه من اعوجاج في سلوك أخيه المؤمن فقد أنسلخ من أخوّته وتخلى عنها و لم يرعَ أصول ذلك وما يستوجبه من حقوق والتزامات عليه.

كما يمكن تفسير الحكمة بطرح آخر وهو: الدعوة الى عدم التجاوز والتفريط في حقوق الأخوّة الإيمانية لأنه إذا أزعج الإنسان أخاه المؤمن فيعني ذلك أنه غير ملتزم بحدود الأخوّة وما تفرضه من آداب والتزامات وادناها أن يتجنب حالات الإيذاء.

٨- قال عليه السلام :

اذا أرذَلَ[١] الله عبداً حَظَرَ[٢] عليه العلمَ.

الدعوة الى تقدير العلم وأهله فإنه منحة الله تعالى لعباده وهي تدل على العناية والاكرام فإنَّ غير اللائق فكرياً لتحمل العلم -بما فيه من مسؤوليات وامتيازات- لايستحق العلم ولايناله بل يبقى جاهلاً لان العلم يوجب على متعلمه-مهما بلغ-اموراً وقضايا إن لم يلتزم بها صار العلم مصدر إدانة له، إذ قد ضيّع ما أعطاه الله و لم يعمل على وفق المطلوب فيُعاقب بالحرمان، هذا وقد تشاء الحكمة الألهية أن يُحْرَمْ شخص مّا من نعمة العلم فيبقى جاهلاً لايعرف شيئاً لأنه غير مناسب وذلك لسوء تصرفه وهو أمرٌ يختلف باختلاف الأشخاص ولكن الجامع المشترك هو: العمل بما لأيرضي الله تعالى مهما كانت درجته

---

(١) أرذَلَ بمعنى جعله رذيلاً وهو (الدُّون الخسيس أو الردئ من كل شيئ) لاحظ القاموس ج٣ ص٣٨٤.

(٢) حَظَرَ: منع. لاحظ القاموس ج٢ ص١١.

ونسبته، ويبقى الامر موكولاً الى حكمة الله تعالى التي لاندركها لقصور عقولنا البشرية.

٩- قال (عليه السلام):

إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

الدعوة الى التأمل والتريث في الجواب عن أيِّ شئ يُسئل عنه الانسان، وأنْ لا يستعجل ولايرتجل الجواب بل عليه أن يختار الكلمات المناسبة فلا يربك السامع بحشد من الكلمات لا كثير فائدة منها لأن ذلك يورطه في مطبّات لم يكن قد حسب لها فيضطر للإعادة والتكرار. أو يدخل في متاهات الجدل والمغالطة لاثبات صوابه والتغلب على المقابل، ولذلك مضاعفات سلبية:

أولا: يمنع نفسه من الزيادة فإنه مادام جاهلاً أمكن الغير تعليمه وأما إن أبدى علمه بكل شئ منع الغير من ذلك،ويكون ضعيف الجانب لأنه لم يتوفر على معلومات غيره بل بقي جامداً على معلوماته التي لاتخلو من الأخطاء والأغلاط -غالباً-.

ثانياً: يتورط في الكذب اذ يوجد الكثير ممن يتفادى تسجيل حالة الفشل عليه فيجترئ على الكذب مع علمه بحرمته.أو يتورط في بهتان غيره بما وقع هو فيه تخلصاً من حالة الاحراج فينسب القول بذلك الى مَنْ لم يتفوه به.

ثالثاً: يُتعِبُ نفسه ويخسر جهده ويضيع عليه وقته بينما لو وازن بين السؤال وتأدية الجواب لكان أنفع.

وعلاج مثل ذلك كله أنه إذا سئل أحدٌ: فَكَّرَ جيداً في السؤال ونوعه ثم يفكر في الجواب المناسب وطريقة تأديته لأن الذهن يحتوي على معلومات كثيرة جداً لايمكنه الأستفادة منها -في مقام الجواب- إن لم يلجأ الى التنظيم والتبويب وطريقة العرض لهذا المخزون الفكري. وإلاّ فيتكلم بما هو بعيد عن

جوّ السؤال وذلك من علامات الارتجال والاستعجال وعدم التدبر في طرح المعلومة في المحل المناسب. فلابدّ من التوقي من حالات الفشل والاحراج واللف والدوران في الجواب بالتأمل والتريث واختيار المناسب ليحصل على الجواب الصواب. كما أنه يمكن استفادة تنبيه الحكمة لأمر يحدث بين بعض الطبقات ولدى بعض الأفراد وذلك بأنْ يبادر للجواب أكثر من شخص فيقع السائل في مشتبك من الأجوبة وقد يخفى عليه الصحيح منها فيزداد حيرة.

اذن على الإنسان أن يلحظ هذا الأمر جيداً من زاويتين:

الأولى: ما يقتضيه الأدب واللياقة في التصرف مع مَنْ طُرح عليه السؤال.

الأخرى: لأنه يربك الوضع على السائل فلا يخرج بنتيجة مرضية.

١٠- قال عليه السلام:

إذا أملقتم[1] فتاجروا الله بالصدقة.

الدعوة الى استعمال علاج نافع في حالات الحرج الاقتصادي الذي يتعرض له كل أحد إلاّ مَنْ شاء الله وذلك بأن يتفقد هذا الفقير أخاه الفقير الآخر ولو لم يكن من أهل دينه- ما لم يكن في تفقده تقوية لغير المسلم -لأنه بهذا التفقد مهما كان حجمه سيضمن به توسعة رزقه من الله تعالى الذي يحث على إشاعة الخير لاسعاف المحرومين ومعاونة الاخوان لأنه ما من فقير إلاّ ويوجد مَنْ هو أشد منه فقراً فإذا تفقد الفقير ذاك الافقر، وهذا الافقر ذلك الافقر منه وهكذا كلٌ حسب طاقته وكلٌ حسب موقعه فحتماً ستتاح للجميع فرصة الحياة وتمشية الأمور وتجاوز الأزمات.

---

(١) أملَقَ: أفتقر. لاحظ القاموس ج٣ ص٢٨٤ .

ولو تأملنا شرائح المجتمع المختلفة وعرفنا تعدد الطبقات وتعدد المهن والحِرَف وموارد الكسب ومصادر الأرتزاق لوجدنا أن الصدقة أنجع دواء وأحسن حل لمشكلة الفقر التي لايمكن أن ياتي أيٌّ نظام عالمي أو اقتصادي أوسياسي... بحلولٍ أو لوائح للّحد أو القضاء على هذه الظاهرة التي وجدت لعدة أسباب منها أختبار صبر الفقير والتزامه الديني... ومنها اختبار تعاطف افراد المجتمع ومعرفة درجة التكامل الاجتماعي لدى كل فرد... ومنها ومنها...مما يشّكل تركيبة مجتمع كامل، لأنه وبحسب القوانين الطبيعية المعتادة لايمكن أن تتكافأ الطبقات وإلاّ لما صارت طبقات.

وبغض النظر عن هذا التحليل الذي يتفاوت الأقتناع به من فرد لآخر لأنه يمثل مستوى تفكير معين إلاّ أن القرآن الكريم حثّ على التصدق كثيراً وبمختلف المناسبات وهو﴿من لدن حكيم خبير﴾[١].

فمنها قوله تعالى ﴿ففدية من صيامٍ أو صَدَقةٍ أو نُسُك﴾[٢].

وقوله تعالى ﴿وان تَصَدَّقُوا خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون﴾[٣].

وقوله تعالى ﴿لاخير في كثير من نجواهم إلاّ مَنْ أمَرَ بصدقةٍ أو معروف أو إصلاح بين الناس ومَنْ يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾[٤].

وقوله تعالى ﴿ألَمْ يَعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأنَّ الله هو التواب الرحيم﴾[٥].

وقوله تعالى﴿إنَّ الله يجزي المتصدّقين﴾[٦].

---

(١) سورة هود.آية (١).

(٢) سورة البقرة.آية (١٩٦).(٢٨٠).

(٣) سورة البقرة. آية (٢٨٠).

(٤) سورة النساء.آية (١١٤).

(٥) سورة التوبة.آية(١٠٤).

(٦) سورة يوسف.آية(٨٨).

قوله تعالى ﴿إن المصّدِّقين والمصّدّقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يُضاعف لهم ولهم أجرٌ كريم﴾[1].

وغيرها من الآيات المباركة.

وقد روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الائمة عليهم السلام الشئ الكثير[2] من الحث والتأكيد وسائر شؤونها مما يؤكد القناعة بضرورة الألتزام واللجوء اليها وسيأتي ما يتعلق بموضوع الصدقة في كلام الامام عليه السلام.

١١- قال عليه السلام:

إذا تمَّ العقلُ نَقَصَ الكلام.

قد عُرِّف العقل بعدة تعريفات فمنها :-

إنّ (العَقْلُ ... جوهر مجّرد يُدرك الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة.

العقل: ما يُعقل به حقائق الاشياء، قيل محله الرأس، وقيل محله القلب.

العقل:جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير اليها كل أحد بقوله (أنا)... وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل).

---

(١) سورة الحديد،آية(١٨).

(٢) يلاحظ كتاب وسائل الشيعة ج٦ من ص٢٥٥ الى ص٣٣٦. وكتاب صحيح البخاري ج٢ من ص١٢٨الى ص١٣٦.

العقل: (نور روحاني به تدرك النفس ما لاتدركه بالحواس)[١]

فالعقل ميزان، من خلال توازن كفتيه يعرف الانسان صحة أوخطأ ماحواليه من أسس ومبادئ في الحياة، وكذلك يعرف به التعادل الصحيح بين الاشياء المتاح له استخدامها والتنعم بها.ومما أنعم الله تعالى به على الانسان قدرته على ابراز مطالبه وإظهار افكاره من خلال "الكلام"فانه قد يُستخدم ويكون نعمة تُوصل الى المراد بأقصر الطرق ولكن اذا أساء المتكلم استخدامه فتَرِدْ عليه مجموعة ضخمة من القضايا السلبية استجرّها الى نفسه إذ لم يقيّد لسانه ولم يلحظ بيانه فيواجه مصاعب عديدة يصعب عليه التخلص منها في كثير من الحالات. فالحث على موازنة الكلام جيداً لأنه ما لم ينطق الانسان كان حراً، واما اذا تفوه أسَرَتْه كلمتُهُ فإن كان سعيد الحظ كان إساره مريحاً وإلاّ فيبقى يدفع ضريبة ذلك من سُمعته، امواله، حياته... وكلنا نحافظ على ذلك. اذن يلزمنا مراعاة اطراف الكلام وآثاره وتبعاته... وعندئذ يُضمن – غالباً – عدم المساءلة والمساءة.

١٢ – قال (عليه السلام) :

إذا حُيّت بتحية فحَيِّ بأحسن منها، وإذا أُسديت[٢] اليك يدٌ[٣] فكافئها بما يُرْبي[٤] عليها، والفضل مع ذلك للبادئ.

---

(١) تعريفات الجرجاني ص٨٧. ويلاحظ ايضاً معجم المصطلحات العلمية والفنية. اعداد وتصنيف يوسف خياط. المجلد الرابع من مجلدات لسان العرب ص٤٥٥ ص٤٥٦ ط دار لسان العرب بيروت. ويلاحظ أيضاً المنجد ص٥٢٠ مادة (عقل).

(٢) أسدى اليه: أحسن.

(٣) اليد تستعمل مجازاً بمعنى النعمة.

(٤) أي يزيد.

الدعوة الى حفظ المعروف وعرفان الجميل، وعدم التنكر لـمَنْ بدأ بالفضل مهما اختلفت المستويات لكلا الطرفين أرتقت أم تدنّت. إذ لا بُدَّ من المكافأة والمجازاة وإلاّ لأنحرف المسلم عن الخط الصحيح و لم يطّبق التعاليم الاسلامية التي حرص المرشدون على ترسيخها وتركيزها في الاذهان تحسباً للمستقبل وما يحمله من مشاكل التمرد وتناسي الاصول الصحيحة للحياة الكريمة. فإنّ الاعداء يتربصون الفرصة وينتظرونها لينشروا أفكارهم المشبوهة التي تساعد على الانحلال والتحلل وأنَّ هذه الالتزامات انما هي مجرد قيود للفرد لاتتماشى والتقدم العصري. كل ذلك يخالف الفكرة الصحيحة التي فطر الله الناسَ عليها... ويساعد على تقوّض الاسس المتينة لبنيان المجتمع الاسلامي فيتفكك بناء الاسرة والعائلة اذ لا ارتباط يربطهم ولا أواصر تشدّهم ولا أخلاق تحدّهم... فيفعلون ما يشاؤن ولكن سرعان ما يواجهون الواقع فيصطدمون أشد اصطدام، وتخيب الآمال لأن النزعة الصحيحة لازالت تعيش في داخله وإن كبَتَها بمظاهر خدّاعة تنأى عنها وتبتعد فعندئذ يطلب العون ولامعين، ويَنشد المساعدة ولامساعد لأنه تخلى... فَوَيل بالمثل. أما مَنْ يلتزم درب هذه الحكمة فيضمن -الى حد كبير- عدم التخلي عنه من الآخرين في مواقف الحاجة ومواطن النجدة لأن الناس ينقطعون -غالباً- عمّنْ لايتواصل معهم كما دلّت التجربة عليه وهي أكبر شاهد.

فالامام عليه السلام يؤكد على المجازاة بالأحسن ولو على صعيد تبادل التحية وهي السلام ويمكن التوسع في تحديد مفهوم السلام(١) وانها: كل ما يقوم مقامه مما تختلف فيه الاعراف والمجتمعات ولو بالاشارة أو الانحناءة أو

(١) قال الراغب الاصفهاني في المفردات ص ١٤٠ (وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة أو سبب الحياة إما في الدنيا وإما في الآخرة).

بعض الكلمات المقتضبة... فاذا بادر شخص الى احدها ينبغي الرد عليه بالاحسن.

ويضيف عليه السلام ايضاً أنَّ مَنْ أحسن بشئ -مهما كان- ينبغي جزاؤه بما يزيد ويرتفع مستواه عن ذلك وفي ذلك دعم وتشجيع على المعايشة السِلْمِيّة التي ينشدها الجميع لأنهم يعيشون في ظلها مطمئنين مكرمين. ومع افتقادها يبدأ القلق والخوف من المستقبل الذي يُفْقِدُ الحياة طعَمها.

وأخيراً يؤكد(ع) أنَّ الفضل وطيّب الذِكر لِمَنْ ابتدأ وبَادَرَ صاحبَهُ لأن هذه المبادرة تؤشر عن وجود بذرة صالحة طيّبة تنزع نحو الخير والصفاء والمودة للآخرين.

١٣- قال (عليه السلام):

إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

الدعوة الى العفو عند المقدرة والتسامح، وترغيب الى اشاعة الوئام والائتلاف، وان ذلك كله يقوم على ركيزة نبذ الاحقاد وعدم متابعة الاهواء خصوصاً وان الظفر بالعدو أو مطلق الخصم له سيطرة على منافذ التفكير فلا يرى الظافر إلاّ نفسه ولا يسمع إلاّ نداء العاطفة، وأنَّ: هذه ساعة طالما طلبتَّها وتمنيتَها فلا تفوّتها وانتصر منه وتغلّب عليه كما تغلّب عليك... كل ذلك ينبغي تركه الى الوراء والتقدم بكل ثقة الى التصافي والتسامح والتغافل عن الادانة مهما عظمت، وبخلاف ذلك يحدث العكس فقد ينتصر عليه حالاً لكنه يندم دائماً لأنّ في هذه الحالات يتدخل الهوى ويحاول التحكم، وهنا يعرف الانسان نفسه، ومدى تطبيقه للمُثل، وسيطرته على نفسه، وأيضاً يستطيع الآخرون تقييمه من خلالها لأنها حالات حرجة صعبة.

ولايفهم من هذا التشجيع الاستسلام والاستخذاء بل العكس تماماً لأن لحظة الانتصار والظفر مما يتمناها كل مظلوم أو مضطهد ولكن ليعرف أنه لم يحصل عليها إلاّ بفضل الله سبحانه فلينشغل بشكره وذكره عما تحدثه نفسه من حالات الغطرسة والتعالي واظهار الشماتة والتنكيل والتبكيت... وبهذا يكسب رضا الله ويحمي نفسه من النار لو اعتدى عليه بما لم يفعله معه فيكون تجاوزاً وظلماً. ويحميها أيضاً من متابعة الهوى الغلاّب فيكون بطلاً في نظر العقلاء لأنه صَرَعَ هواه و لم يصرعه هواه وقد سَيْطر عليه و لم يسيطر عليه هواه.

١٤- قال عليه السلام:

إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا[١] أقصاها بقلة الشكر.

الدعوة الى الشكر وحُسن المعاملة مع ما ينعم به الله سبحانه على عباده لأن ذلك متواصل بفضله ومنّه إلاّ أن قلة الشكر فضلاً عن انعدامه يؤثر سلبياً في انعدام النعمة وتحجيمها بما يتناسب وذاك العبد، لأنَّ الله تكفل برزق كل المخلوقات، لكن مَن يُحسن التعامل في الأخذ ويكون أليق من غيره يُزاد ويُغدَق عليه عرفاناً بحسن تعامله.

وهذه النقطة الوحيدة التي يتفاوت فيها كل المخلوقين مما ندركه بحواسّنا وما لاندرك، الانسان والحيوان والنبات والجماد، فكلٌ يعبّر عن شكره بطريقتِهِ الخاصة وبذلك يتفاوتون مما يتيح الفرصة للازدياد وقد قال تعالى﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[٢] بما يوضح لنا ميزان التعامل في أستحقاق العلاوات-كما يقولون-.

---

(١) تنفروا: تبعدوا.

(٢) سورة ابراهيم. آية (٧).

نعم رزقه مضمون لكن زيادتَهُ مشروطةٌ بالشكر وإدامتِهِ لأنه قد تشاء الحكمة الإلهية أختبار عبد معين من خلال زيادة النعمة فاذا لم يتعامل معها بالمناسب سُحبت منه تدريجياً حتى يشعر بتقصيره. وهذا الاسلوب من أنجح الاساليب لتقدير النعمة من المِنعم والمنعَم عليه.

١٥–قال (عليه السلام):

إذا هبْتَ[١] أمراً فَقَعْ[٢] فيه، فإنَّ شدة توقّيه[٣] أعظم مما تخاف منه.

الدعوة الى زيادة الثقة بالنفس، وترك التردد الذي يؤدي الى عدم الاستقرار، واهتزاز الشخصية مما يؤثر على إتخاذ القرار لأنه ينبغي للانسان أن يحسب النتائج ويتوقع للمستقبل لئلا يُفجأ بشئ لم يستعد له، ثم ينفّذ ويعمل لأنه جاء أمراً مدروساً مخططاً له، ولابد ألاّ تثنيه احتمالات الفشل وتوقعات الخيبة وعدم النجاح وتحسبات الندم والملامة، فان كثيراً من هذه الحالات تهزم الانسان من الداخل ويكون اتكالياً فلا يتعود الاعتماد على نفسه بل يبقى خاملاً يريد من الآخرين حل مشاكله والقيام بواجباته وأدواره.وسيتحول بالتالي الى احباط نفسي لايشعر الفرد لنفسه أية قيمة يمكنه الركون –من خلالها– الى ما يقرره. وهذا هو المحذور الذي حذّر منه الامام عليه السلام بقوله فإن شدة توقّيه أعظم مما تخاف منه،لما يستجره من تأثير سلبي على شخصية الانسان.

---

(١) أي خفْت شيئاً.

(٢) (الفاء) جواب إذا ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط و(قع) فعل أمر من الوقوع.

(٣) [illegible]

١٦ –قال عليه السلام :

اذكروا إنقطاع اللّذات وبقاء التبعات[1].

الدعوة الى موازنة تصرفات الانسان وأن يفكر ويتأمل جيداً فيما ينوي القيام به من أعمال ممنوعة شرعاً أوعرفاً أو قانوناً بكل ما لها من لوازم تترتب على ذلك العنوان.

لأنَّ خلاف ذلك يجعل الانسان في وضع حرج وأمام مساءلة ومحاسبة عن تصرفاته الشخصية، بينما لو توازن في تصرفاته و لم يتجاوز الحدود المرسومة بحدود دائرته كانسان، مسلم، ملتزم، متحضر، مثقف، محافظ على سمعته الاجتماعية... فاذا لم يتجاوز- كان آمناً من هذه المساءلة.

ولذا فالامام عليه السلام يهتف لكل مَنْ يُقْدِمْ على عمل غير لائق: ان يحسب للامر حسابه ولاينساق وراء غضبه، شهوته، رغبته، مصلحته الشخصية، مراهنته...لانه لا تراجع بعد الآن لالتصاق التهمه والتبِعَة به مهما كان عنوانه الاجتماعي أو محاولاته لسد الافواه. والسّر في هذا الشياع رغم التكتم هو تجرؤه على حُرُماتٍ لم يكن مأذوناً له بها فكان جزاؤه الفضيحة وشياع الامر بالشكل الذي لايخدمه في كثير من الحالات والمجالات.

ومن هذه الدعوة نعرف مدى حرص الامام عليه السلام على صيانة المؤمن وحفظه عن كل ما يشينه فاستعمل معه اسلوباً يُقِرُ به كل عاقل ويتجنب تبعاته كل انسان يلتزم بمبادئ.

ولأجل ان نكون امام الواقع علينا ان نفكر ونحسب المردود والمكسب من أي عمل محظور نقوم به، ثم نقارنه مع المردود السلبي من جرائه كالمساءلة الإلهية، أو القانونية، أو الاجتماعية... لنعرف الناتج بأنفسنا.

(١) جمع التبعة: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر إلاّ أنّ استعماله في الشر اكثر.يقال "لهذا الفعل تبعة" أي لحوق شرٍ وضرر. المنجد ص٥٩.مادة (تبع).

١٧ –قال (عليه السلام):

أُزجُرْ المسيئ بثواب المحسن.

الدعوة الى التعـوّد على إشاعة الاحسان والمداومة على فعل الخير وتعميم سُبُلِهِ وطرقه وموارد الانتفاع به لكل أحد لمايتضمن هذا التصرف من كسبٍ للمعتدي لأنه سيرتدع عن عمله عندما يقابله خصمه بالاحسان ولو لمرات متعددة حتى يُؤَثر فيه عمل الاحسان وفعل الخير لانه بالتالي يؤثر ولو نسبياً.

وأيضاً فيه كسب للصديق لأنه عمل يحبّه ويرضاه مما يجعله أكثر تمسكاً وتآخياً واحتراماً وهذه امور ينشدها الجميع أو الغالبية في صداقاتهم لينتفعوا من ورائها مادياً أو معنوياً.

وأما على خلافه فالخسارة الفادحة حتمية لأنه موقف حساس تتغلب فيه العاطفة والعصبية والمنافع والاطماع. فلا بُـدَّ من أن نبقي الطريق مع الله سالكة لأننا ننتفع من خلالِهِ كثيرا.

والالتزام بهذه الدعوة يحقق مكاسب مربحة على صعيد الحياة الاجتماعية لمن يهمه اصلاح المجتمع وتقليل فرص الفساد والتخريب فيه ومنه. وبالطبع الامام عليه السلام في مقدمة المهتمين بذلك ولنكن معه في هذه الخطوة الرائدة.

١٨-قال عليه السلام :

أزرى[١] بنفسه مَنْ أستشعر[٢] الطمع، ورضي بالذل مَنْ كشف عن ضُرّه، وهانت عليه نفسه مَنْ أمَّرَ عليها لسانه.

يحّذر عليه السلام من عدة أمور :

١-**الطمع** وهو الحرص على الشيء فإنَّ مَنْ تكن عادته في الحياة الحرص على تحصيل كل شيء وَاجَهَ في سبيل ذلك المهانة والمقت لأن ذلك لايلائم الآخرين فيُزجر ويُحتقر. والسبب في ذلك عدم سيطرة الانسان على رغباته. فينبغي ان يتعود المسلم القناعة والاكتفاء بالميسور والسعي وراء المفقود فيكافح ويحصل عليه بطبيعة الحال وهو أمر مستساغ جداً لأنه مقتضى الطموح. والمعروف لدى كل عاقل أن الكرامة والمحافظة على الرصيد الاجتماعي أثمن من كل شيء ولذا نلاحظ الدفاع عن ذلك حتى بالنفس والمال العزيز. فهو أمرٌ غريزيٌ فلا بُدَّ أن لايضيعه الانسان نتيجة حرصه على تحصيل ملذة أو مراد.

ويحذر عليه السلام من:-

٢-**الكشف عن الضر** الذي هو الشدة والضيق وسوء الحال كما هو معروف لأن ذلك يؤدي الى الامتهان من قبل الآخرين لاطلاعهم على واقع الحال مما لايجعله في الدرجة الاولى في الترتيب الاجتماعي سواء كان المكشوف عنه الضر في البدن أم في المال. فإن الانسان عموماً وبحسب طبيعته (يطغى) وينسى نفسه وأن من الممكن جداً أنْ يصاب بمثل ذلك فيعمد الى التشفي ان كان حاقداً أو تحديث الغير ممن لأيرغب باطلاعهم -عادة- لأن ذلك من الاسرار

---

(١) أتي عابها ووضع من حقها.

(٢) أستشعر: لبس الشعار وهو ما يلبس تحت الثياب على الجسد مباشرة. لاحظ المنجد ص٣٩١ مادة شعر (بتصرف).

الشخصية فاللازم عدم كشف الضر، والصبر على البلوى مع السير في طريق حلِّها بالسُبُل الصحيحة لأن الانسان في الدنيا يُمتحن ليظهر جوهره ويتبين معدنه فيُعرف حاله، لانقسام الناس -عادة- الى جيّد ورديء، مؤمن وغير مؤمن، صبور وجزوع، مَنْ يتجاوز العقبات بسهولة ومَنْ يتوقف عند أول عَقَبة، ...إذاً نحن بحاجة الى اكتشاف المواهب وكشف الحقائق لنتعامل مع كلٍ وفق المناسب واللائق لئلا يضيع حق احدٍ.

ويُحذر عليه السلام من :-

٣-اللسان الذي هو آلة النطق والذوق والبلع أو تناول الغذاء[١].فلما كان هو آلة النطق ولاطريق للنطق واصدار الاصوات المفهومة إلاّ من خلاله فكانت المخاوف منه والمحاذير مجتمعة من جرّائه لئلا يفلت عن وثاقه ويكون المحذور. وهذا المحذور يتشكل باشكال مختلفة باختلاف الاشخاص والحالات الزمانية والمكانية.

ولذا قد ورد الحث الاكيد الكثير على ضبطه وتقييده بضابطة:مراقبة الله تعالى ومراعاة الآخرين وإلاّ فيؤدي بصاحبه الى أصعب المواقف وأحرج الحالات.

فلذا نجد أنه عليه السلام يؤكد أنَّ مَنْ يترك لسانه ينطق بما جرى عليه وبما اشتهى فنفسه عليه هيّنة غير محترمة وإلاّ لانعكس ذلك الاحترام والصون على تصرفاته.

---

(١) المنجد ص٧٢١. مادة (لسن).

١٩- قال عليه السلام :

إزهد في الدنيا يُبَصِّرْكَ الله عوراتِها ولاتغفل فلستَ بمغفول عنك.

الدعوة الى الحذر وأخذ الاحتياطات اللازمة لخطرٍ يحدق بالانسان -مهما كان- فينبغي التيقظ والعمل دائماً على مدافعته لئلا يأخذ فرصته في التمكن من الانسان والاستيلاء عليه... وذلك هو الاغترار بالدنيا والوثوق بوعودها وزخرفها وما تزينه من ملاّذ وبهارج تخطف الابصار بل القلوب أيضا، ولايقتصر ذلك على مجال أو وسيلة بل يغترّ كلٌّ بحسب توجهه فلا ينجو إلاّ مَنْ اعتصم با لله فعصمه وحماه منها لانها مزلقة تؤدي الى الهاوية.. ولايُعلم لها منتهى أو غاية فالمدى بعيد حتى يخرج الانسان عن طاعة الله، وحتى يندم حيث لاينفع فيتركه الشيطان وشأنه يوم لاينفعه تركُه، فهو لم يتركه في الوقت الذي يمكنه التدارك... ولم يخلّصه كما كان يغريه في الدنيا...

ولذا يشعر الانسان بالندم والذلة والانكسار والفشل خصوصاً اذا رأى مَنْ اعتصم با لله فعصمه ويرى نجاته فيعضُّ اصبعه من الندم وما هو بنافعِهِ. لأن الآخرة دار جزاء ولاعمل والدنيا دار عمل، ولاجزاء.

والمتأمل في دعوته عليه السلام هذه يجده يدلّه على أمرٍ خفي وهو: أنّ الزاهد في الدنيا والتارك لها والمعرِض والمتجافي منها وحامل راية السلبية ومعلن الحرب ضدها[1] يجد عورات وعيوباً ومفاسد ومساوئ ومخازي... مما لم يكن يتوقع فيحمد الله تعالى أنْ نجّاه وأبعده عن ذلك كله. وما ذلك إلا بمتابعة

---

(١) بما انها مجرد لّذات ومتابعة الهوى، وإلاّ فيمكن للعامل أن ينعم ويستفيد فيها لنفسه ولآخرته بلا تقديم خسائر تذكر وذلك لأنه اتبع برنامجاً أعدّه له الله ورسوله والذين آمنوا، فنجى وجاوز الازمة بسلام. وقد نقل المفسّر الرازي عن سعيد بن جبير أنه قال: (الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك الى طلب رضوان وطلب الآخرة فنعم الوسيلة). يلاحظ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ ص٢٣٤ ونقلها عنه في تفسير الكاشف ج٧ ص٢٥٢.

النظام الصحيح للحياة الفضلى التي أرادها الاسلام للمسلمين، ولأنه عرف أنه مراقَب مرصود لايُغفل عنه فلا يمكن التستر لأن المراقِب مطّلع على السرائر.

وهذه الحالة تجعل من الانسان، انساناً تقياً ورعاً مبتعداً عن الحرام والشبهات وهو ما يسعى لتحصيله العاقل بشتى الطرق ومختلف الوسائل لأنه الطريق المُرضي والمَرضي.

٢٠- قال (عليه السلام):

الاستغناء عن العذر أعزّ من الصدق به.

التنبيه الى امر يكثر استعماله في المجتمع وهو كثرة الاعتذار مع ان الفرصة كانت مواتيه لأن لايحتاج الانسان الى ذلك بل يبقى عزيزاً كريماً لايشعر بحاجته الى تصليح شئ تجاوز فيه

ولو تنبه الانسان لذلك و وعى هذه الفكرة جيداً فسيساعد- حتماً- على تقليص حالاتٍ سلبية عديدة في المجتمع من حواليه: خلف الوعد، عدم الصدق، الاحتيال، التجاوز على حق الغير، الأعتداء وعدم احترام الغير، عدم الأمانة...

مما يكثر حدوثها في مختلف المجتمعات إلاّ ما قلَّ حتى عُدنا نستغرب له لو سمعنا بأنّ انساناً في مجتمع مّا يلتزم بمواعيده أو لايتجاوز على حق غيره أو يصدق في تعامله أو لايحتال أو أو مما تفتقده بعض المجتمعات ولا نتجاوز لو قلنا منها المجتمع الاسلامي. وللأسف. فاننا محصنون حيث بُرمجت حياتنا العملية -خصوصاً- ببرنامج دقيق يضمن لكل الاطراف حقوقها المعنوية والمادية ولكن... حدثت بعض التراجعات نتيجة الانشداد، والاعجاب، والاصغاء الى مَنْ لايستحق كل ذلك فآمنوا بوعود كلامية وهمية وتركوا ضمانات فعلية حقيقية ، ألا يسمعوا هؤلاء قوله تعالى ﴿وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم

ماءً غدقاً﴾(١) وهم يرون بعقولهم وعيونهم صدق وعده تعالى انه ﴿لايخلف الميعاد﴾(٢) لأن كل ما حول الانسان يؤكد هذه الحقيقة.

فيرى الانسان المسلم ماذا حلّ ويحل بالكافر والمنحرف عن طريق الله تعالى .

كما يرى الانسان الكافر ماذا يتم ويحصل للمسلم الذي حسُن اسلامه بل ومَنْ لم يحسن، لأن نِعَم الله تعالى، ودفع الله تعالى، وتدبيره، وتسديده، وتهيئته، كل ذلك مما يعجز عنه عقل عاقل بل وغيره من وسائل العصر الحديث الموصوفة بالدقة. وذلك لأمر بسيط جداً لأنه ترك سرّ ذلك إليه لا يعلمه غيره مهما كان فإننا نشاهد ونسمع ونقرأ عن اختراعات متطورة سواء في بناء البشرية أم في تدميرها إلاّ أننا علمنا في ذات الوقت عجز المخترعين عن إيجاد سر الحياة وعن اعطاء حالة تشابه في مفعولها الروح لأن ذلك مما اختص الله تعالى به. وهذا كله يدل على عظمته وقدرته مما يدعو الى الإيمان بالله وعدم الإبتعاد عنه.

فالمقصود من هذه الحكمة دعوة الإنسان الى أن يستغني عن العذر والاعتذار بالالتزام وعدم التفريط لكي يبقى في موقع الرفعة ليحافظ على عزته. وهو أمرٌ يحرص على تحقيقه كل عاقل.

---

(١) سورة الجن، آية (١٦).

(٢) سورة آل عمران، آية (٩).

٢١- قال عليه السلام :

إستنزلوا الرزق بالصدقة.

الدعوة الى امر اجتماعي بالغ الأهمية حيث يكفل حاجة شريحة ليست بالقليلة في اغلب المجتمعات وذلك هو الصدقة، وطبيعي ان تستفيد منها شريحة الفقراء والمعوزين.

والصَدَقة: عطية يُراد بها المثوبة لا المكرمة(١). وبتعبير آخر: ما يخرجه الأنسان من ماله على وجه القربة(٢).

فاذا عرفنا أنَّ الصدقة تعطى طلباً للأجر والثواب وتقرباً لله تعالى فسنعرف أمرين :

الأول: انْ لايصاحبها استعلاء وامتنان على المدفوع له لأن الدفع كان لأجل فائدة ينتظرها الانسان وهي توسعة الرزق، وحالةُ الاستعلاء تنافي ذلك – تماماً- بل يلزم التواضع وعدم اشعار الآخذ بكل ما فيه حساسية بحيث تخجله ويحس بوضعه المتدني إزاء غيره فتُحْدِث له عقدة يسعى للتخلص منها ولا نضمن صحة الطريق الذي يسلكه للتخلص، فقد يستولي على أموال الغير بدون وجه صحيح كالسرقة والأحتيال والقتل والغش و.. و... فنخسر بذلك عنصراً صالحاً -بحسب طبيعته- ضاع منّا بسبب حب الأنا والتسلط الذي يجر الإنسان الى مواقف غير محمودة.

الثاني: أن الله تعالى الذي يجزي فلا نتوقع الشكر المكافئ من الآخذ وإنما كان الدفع توقعاً لزيادة الرزق، فإذا عرفنا اننا الرابحون قبل الآخذ فسيزداد العطاء ونسيطر -نسبياً- على حاجة الفقراء وهذا أمر يحرص عليه الإمام عليه السلام بل كل المصلحين بمختلف مراتبهم لأنه يسد ثغرة كبيرة من الصعب

---

(١) المنجد ص٤٢٠ .مادة (صدق).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٧٨.

السيطرة عليها لولا (الصدقة) وفي المقابل يضمن عليه السلام للدافع المتصدق زيادة الرزق وسعته وهذا ما يسعى اليه الجميع لأن شغلهم في الحياة الدنيا توسيع مصادر التموين وتكثير الربح فقد هيأ الإمام عليه السلام ذلك ببدل بسيط حيث ان الدافع إنما يدفع القليل -مهما كثر- إزاء عطاء الله تعالى، أذن فالرابح هو المتصدق أكثر من الآخذ الفقير.

فاذا توفرنا على هذين الأمرين كان من الممكن ان تسخو نفوسنا بالدفع لننتشل شريحة كبيرة في المجتمع من واقع الفقر ولنساعدهم على تكوين وضع مناسب فيتساوى الجميع في العمل وإن لم يتساووا في الرزق لأن ذلك بتقدير الحكيم الخبير.

وعندئذ نضمن عدم الفتنة بكل اشكالها: السرقة، القتل، الأحتيال والتزوير، أكل أموال الغير بلا وجه شرعي... فإن كل واحدة من هذه ونحوها كفيل باسقاط الأنسان في الهاوية وتعريضه للمساءلة الالهية وهذا ما نتعوذ منه.

٢٢-قال عليه السلام:

أشد الذنوب ما استهان به صاحبه.

التنبيه على أمر كثيراً ما يصدر من عامة الناس ولا يقدّرون عواقبه السيئة، وذلك هو الاستهانة بالذنب فان الإنسان قد يذنب لأن المعصومين من البشر معدودون وهم:الأنبياء، والأئمة الأثني عشر مضافاً الى الصديقة فاطمة الزهراء عليهم السلام ومَنْ عداهم فمعّرض للخطأ وارتكاب الذنب.

فاذا صدر منه ذلك فان تاب منه واستغفر فتشمله رحمة الله تعالى ويسعه عفوه ومغفرته أما اذا استهان ولم يعتبره ذنباً يستحق الاستغفار لأنه لم يدرك أنه تجاوزٌ وتقصيرٌ ينبغي التراجع عنه وعدم الأصرار عليه، على اساس ان

غيره يذنب ما هو أكبر من هذا وما هو أشد ونحو ذلك من المقايسات التي ورد النهي عنها لأن كل ذنب -مهما صغر- كبيرٌ ازاء الخالق تعالى لأنه انعم على الانسان بالوجود وبما يستفيد منه في الحياة من حيوان أو نبات أو جماد فلا يناسب ان يقابل ذلك بالجحود والتضييع وعدم المبالاة لأن ذلك مما يسبب -حتماً- الحرمان والضياع وهو ما يخشاه كل عاقل.

اذن علينا ان نَعِي هذا التحذير جيداً فنستغفر من ذنوبنا ولا نصر عليها وكأنها أمر نعتز به، إنما ذلك من تسويلات وتصويرات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء.

وإنّا نعلم جميعاً ان كل تجاوز ومخالفة يُعاقب عليه في القوانين السماوية أو الوضعية إلاّ ان يستسمح، بعدما يشعر الإنسان بسوء عمله فتعطى له فرصة تصحيح خطئه لكن ذلك على نطاق محدود مثل: الجاهل الذي لايعلم بالتشريع ولم يسعه التعلم بحكم طبيعة وضعه الاجتماعي أو الجغرافي وهو ما يسمى بـ(القاصر) ومَنْ عداه فيترك الأمر لتقدير المقنن والمشرِّع فان رأى أنَّ من المصلحة والحكمة العفو عنه، عفا عنه ليكسبه لصف المبدأ الذي يتخذه ويدعو اليه، وإلاّ فيطبق عليه القانون بحذافيره ليرتدع هو وغيره.

والذنْب لغة: الجُرم[1]، ويستعمل في كل فعل يُستوخم عقباه اعتباراً بذَنَب الشئ ولهذا يسمى الذَنْبُ تَبِعَةً اعتباراً لما يحصل من عاقبته[2].

ومن هذا التعريف اللغوي نعرف ان الذنب حالة تأخر تحصل عند الانسان ولا يشعر بذلك الكثير اذ ذَنَبُ الحيوان يكون في مؤخرة جسده كما هو معروف وقد أُخِذَ الذَنْبُ من ذلك كما عرفنا فيما تقدم ولا أحسب ان عاقلاً أيةً كانت ثقافته يرضى بأن يكون بهذه الحالة التي تعتبر جُرماً يعرضه

---

(١) المنجد ص٢٣٩.مادة (ذنب).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص١٨١.

للمسائلة والمحاسبة كما تعتبر مؤشراً على تأخره في مستوى تفكيره وعمله، لأن الله تعالى عندما خلق الأنسان أختار له أحسن مستوى إذ جعله عاقلاً فاذا لم يحافظ على ميزان عقله الصحيح نعرف أنه متأخر عن هذا المستوى المتقدم.

اذن فنخلص الى لزوم الحذر من الوقوع في الذنب واذا ما حصل ذلك فيلزم الاعتراف والاستغفار وعدم الأصرار عليه لأنه يشكّل حالة سلبية.

٢٣ – قال عليه السلام:

إضاعةُ الفرصةِ غصةٌ.

التنبيه لأمر يهم كل أحد لأننا نتسابق في مضمار الحياة لتحقيق الأهداف والأماني والغايات وربما يتجاوز البعض فيحاول ويسعى لتحقيق ما لا رخصة فيه، كل ذلك تحقيقاً للذات.

لكن قد تفوت على الإنسان مجالات لتحقيق الذات والإبداع كثيرة وكان هو من اسباب الفوات فالإمام عليه السلام يرّكز على هذا الشأن حتى لا يبقى الأنسان متخلفاً عن ركب الحضارة والتقدم أو عن مسار أقرانه ثم يندب حظه، أو ان هذا هو (المقسوم) له من الله تعالى.

نعم كل أحد له (مقسوم) لكن الله تعالى لم يلجئنا الى عمل أو اختيار أي شئ مهما كان بل ترك الأمر واضحاً جلياً لنختار وفق قناعتنا ورغبتنا بلا مؤثر خارجي لعلمه تعالى بوجود شريحة اجتماعية تحمّل نتائج فشلها في الحياة وعدم تحقيق الأهداف: الآخرينَ،ولو بأنْ يتظاهروا بالتسليم لأمر الله تعالى مع أنه فسح المجال وهيأ السُبل للجميع ولم يختص أحداً بفرصة على حساب غيره بل أعطى كلاً حسب كفائته وانسجامه مع الحالة الصحيحة التي تدعم مسيرة الحياة.

فعلينا جميعاً أن نتهيأ لما نريد وذلك ببذل الجهد المطلوب لتحقيق المراد وإعداد السُبل الكفيلة بأنجاز الغرض. لئلا نكون مقصرين وتفوتنا فرص الحياة فتبقى غصة ذلك مدى العمر، كما علينا أن نحسن استخدام العقل الذي وهبنا تعالى لنضمن الحصول على أفضل النتائج.

٢٤- قال (عليه السلام):

أعتصموا[١] بالذمم[٢] في أوتادها[٣].

يبين عليه السلام في هذه الحكمة أمراً يحتاجه غالب الناس. فإن الإنسان محتاج الى سند وقوة وضمان يرتكز عليه عند الحاجة وكانت هذه الأمور كثيرة شائعة في زمنه ولم تقل أهميتها في زمننا إلاّ نسبياً للتفكك الأسري الحاصل في بعض المجتمعات خصوصاً المتمدنة والمنشغفة بحب التطور السريع المفاجئ والتي تحسب كلَّ دعوة الى التروي والتمهل وأداً لفكرتهم وعرقلة لخطواتهم.

وهذه الحاجة تحتم على الفرد أو المجتمع أن يتكتل ويجتمع مع الآخرين. وهؤلاء -الآخرين- ليسوا على نسق واحد ولا نسج متماسك فقد يلتجأ الإنسان الى مَنْ لا عهد عنده ولا صدق ولا وفاء ولا إيمان بكل هذه المبادئ فيخسر نفسه لأنه أما أن يفشل في محاولته أو يؤثر ذاك الطرف عليه، وفي كلتا الحالتين يترك الأمر ثقلاً على نفسيته وتوجهه الفكري.

---

(١) أعتصم من الشر والمكروه: التجأ وأمتنع. المنجد ص٥١٠. مادة (عصم).

(٢) الذمم جمع الذِمَّة: الأمان والعهد. الضمان.. ويقال انت في ذمة الله اي في كنفه وجواره. المنجد ص٢٣٧. مادة (ذم).

(٣) أوتاد جمع الوَتَد :ما رُزَّ اي ثُبِّتَ- في الحائط او الارض من خشب ونحوه.المنجد ص٨٨٥.مادة(وتد).

فهي دعوة الى اختيار الجهة المناسبة ليكون الإستناد الى ركن وثيق ومأوى أمين، وذلك محافظة على الأخلاق الصحيحة والمبادئ الراسخة في النفوس لئلا تتأثر بالاحتكاك خصوصاً إذا أخذنا بنظر الإعتبار ما يفرضه الإلتجاء والتعاهد من تبعية فكرية، ثقافية، سياسية، اجتماعية، وحتى اقتصادية فيكون المعاهِد المعتصم تحت الشعاع لا يستطيع التغيير أو التغير. فنخسر المبادئ الصحيحة وهذا أمر صعب جداً لأنه يؤدي الى انهيار في الأخلاق مما يعني التنازل وعدم الأهمية لما نشأنا عليه من أخلاق صحيحة طيبة.

وغالباً ما يحتاج الى التعاهد الغريبُ، قليلُ العُدة والعدد، ضعيفُ الجانب وإنْ كثر عدده أو عُدته، فإذا لم تلاحق هؤلاء التعاليمُ الإسلامية فيعني ذلك ضياعهم خصوصاً وأنهم يعانون من أزمات نفسية تجعلهم مهزوزي الشخصية قليلي الإرادة فينصاعون لما يفرض عليهم من شروط فيكون المقابل للحماية -احياناً- هو التخلي عن الأخلاق والمبادئ وهو أمر خطير جداً يُخشى من عواقبه الوخيمة على المسلمين كافة فينبغي حُسن الاختيار والاعتصام بأهل الصدق والأمانة والوفاء لو دعت الحاجة الملحة بحكم الظروف الى ذلك الاختيار.

٢٥- قال (عليه السلام):

الإعجاب يمنع من الأزدياد.

الإعجاب مشتق من العُجْب وهو لغة: الزهو، الكِبْر. والزهو: الفخر، التيه والكِبْر، الظلم[١]، وبحصول أحد هذين الأمرين يقصر الإنسان عن تحقيق المزيد من الطموحات وعن تعديل مستواه الانتاجي والاجتماعي لأنه تصوَّر في

---

(١) المنجد ص٤٨٨، ص٣١٠. مادة (عجب) و (زها).

حالة معينة أنه حقق ما لم يحققه غيره مما يعني التقدم فهو غير محتاج الى المواصلة والعطاء.

وهنا يكمن الخطر لأن روح التقاعس متى سرت في جسد الإنسان سوف تُثنِيه عن تقديم الأفضل أو البحث عن الأفضل لظنه أن ما أنجزه هو الأفضل فلا داعي لإستكشاف غيره.

ولما كانت مسئو لية تنظيم دور الإنسان في الحياة من المسئو ليات المنوطة بالقادة المصلحين الموجهين، نجد أن الإمام عليه السلام يشير الى أهمية الطموح والتطور والمواصلة وبذل الوسع في إيجاد المزيد وعدم الاقتصار على المنجزات السابقة.

فيريد أن يجعل حالة تسابق مشروع وشريف لدى الأفراد إذ كثيراً ما يندفع الفرد الى الإنتاج إنْ شعر بمساواة غيره له فيحاول التقدم، وأيضاً يندفع إنْ وجد التشجيع سواء المعنوي أو المادي.

واعتقد أن هذه المتابعة من الإمام عليه السلام تعتبر دافعاً ومحفزاً نحو الأمام ليتطور وضعنا ومِن ثَمَّ الوضع المحيط بنا فننجح في خلق جوّ حماسي منتج، مثمر، يتقدم فيه البعض على البعض الآخر بمقدار ما ينجزه وبما يرفد به غيره من خدمات تُحَسّن وضع المواطنين له.

ولعل مما يشير الى هذا التسابق والجو للحماس ما ورّد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من النصوص التي تؤكد على هذا المعنى ضمن إطار قضيتها الخاصة.

فمثلاً قوله تعالى ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1] الذي يثير في الإنسان حالة الارتقاء والسمو بنفسه وسلوكه واختياراته وانفعالاته ضمن حالة التقوى التي يهتم بها الكثير بل الغالب إلاّ أنها متفاوتة الدرجات فكلٌّ بمقدار

---

(١) سورة الحجرات، آية (١٣).

جهده وما يتوفر عليه من عوامل ضبط النفس -بمفهومها العام الشامل لمصاديق متعددة متكثرة- يحصل على درجة مناسبة.

ومثلاً ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم أهلي)(١) الذي يحفز نحو حالة تسعد وترضي كل الأطراف وتبعث على ارتياح النفوس لأن الإنسان المسؤول عن إدارة البيت إنْ سعى لمعاملة عياله -سواء الزوجة أو الأولاد ذكوراً وإناثاً أو غيرهم مما يعاشر- معاملة طيبة حسنة سيحصل على مبادلة مرضية -إلا ما شذ وندر من المبتلين بأهل سوء- وإذا حققنا هذا العامل المهم في حياة الرجل ضمنّا حالات تقدمٍ في مسيرة الحياة كثيرة، لإستقراره النفسي وإرتياحه العائلي فيكافح من إجل تحقيق الأفضل وهذا هو الهدف. أذن تلتقي كل التوجيهات الإصلاحية ضمن خط تحسين الإنتاج وتقديم الأفضل.

ونحو هذين المثالين غيرهما أيضاً مما يكون حاثاً على كيفية معيّنة تتكفل بجانب من جوانب الحياة الاجتماعية سواء الفردية أو العائلية.

ومما ينبغي فهمه ان العُجبَ يختلف عن العَجَب فأن العَجَبَ: (إنفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه أو استطرافه أو إنكاره ما يَرِدُ عليه)(٢) فهو أمر طبيعي، بينما العُجب أمرٌ مذموم لأنه يُعوّد الإنسان على ما لا ينفعه بل يحّجمه ولا ينمّيه وهو مع ذلك يخسّره الكثير من الاصدقاء أو الانتاج.

فلذا ينبغي للإنسان العاقل إذا دخله شيء من العُجب
أن يتعوذ بالله تعالى من شر الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء.
ويواظب على ذكر الله تعالى.

---

(١) وسائل الشيعة ج١٤ ص١٢٢. أقول: يمكن قراءة الحديث بصيغتين، الأولى: المتقدمة. والأخرى: خيّركم خيّرُكم لأهلِهِ وأنا خيّركم لأهلي. فلاحظ.

(٢) المنجد ص٤٨٨ مادة (عجب).

ويتذكر اعمال ومنجزات غيره ليعرف أنه سوف يكون كغيره. وأهم شيء في معالجة داء العُجب أن يتواضع للغير لتتعادل لديه الكفّتان: كفة الإعجاب بالنفس، وكفة استصغار المنجزات وأنها بجنب عظمة الله تعالى وما خلقه شيء ضئيل.

فالدعوة إذن الى الجد والاجتهاد ومواصلة الإنتاج لأنّ حالة الرضا عمّا أنجز مع التكاسل عن أداء المزيد تؤثر في خفض معدل الإنتاج ونوعيته وهو ما يضر كافة مرافق الحياة، لأن كل فرد في المجتمع هو عضو مساعد على تنمية روح الحياة والتفاعل فتعمر الارض وتدوم الحياة.

٢٦- قال (عليه السلام) :

أعجز الناس مَنْ عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه مَنْ ضَيّعَ مَنْ ظفر به منهم.

الدعوة الى المحافظة على العلاقة القائمة بين أفراد المجتمع والتي تسمى (الصداقة) وهو معنى له مدلوله الخاص المشتق من الصدق. الصدق في المشاعر، الصدق في المعاشرة، الصدق في المواساة، الصدق في الارتباط...

لأن الإنسان قد يقيم علاقة مع انسان آخر لكنها لا تعدو أكثر من كونها تعارف تم بين اثنين يؤطره وجود المصلحة وهي في ذات الوقت عمود العلاقة ولذا نرى كثيراً ما تفشل علاقات اجتماعية كانوا يبالغون في وصفها بالاخوّة والصداقة الحميمة والحب و.. و... إلاّ أنها أول ما تعرضت لحالة اختبار فشلت و لم تقف صامدة بوجه المصالح لتجعل العلاقة وما تحتمه من وفاء وإخلاص وتضحية فوق كل مصلحة. ولعل من اسباب ذلك هو الإنخداع وعدم الانتقاء المناسب للاصدقاء.

فهي دعوة لأمرين يحتاجهما المجتمع كثيراً لأنهما يساعدان على تكميل نواة المجتمع الصالح، إذ بدونهما يعوزه الكثير فلا يكون المجتمع متكاملاً:

الأول: الانفتاح على إقامة علاقات اجتماعية مفيدة لما في ذلك من مكاسب روحية ومادية، أخروياً ودنيوياً: فإن الانسان قد ينفتح على صديقه فيفضي بهمومه وشجونه فيشعر عندئذ براحة نفسية، وقد ينصلح بصلاح صديقه لأنه تأثر به فاستفاد معنوياً وروحياً فسمت روحه وارتفع عن الحضيض وهو مكسب مهم في تاريخ العلاقة قد يعجز عن تحقيقه الكثير وهو إذا تحقق يحوز على رضوان الله تعالى ورضاه وهو غاية ما يتمناه الإنسان المؤمن في حياته وعلاقاته. وقد ينتفع معه بشركة في عملٍ أو غير ذلك في مجالات الاستثمار والعمل فيستفيد من جراء إقامة العلاقة مادياً فيتحسن وضعه المادي والاقتصادي والاجتماعي.

الثاني: المحافظة على بقاء العلاقة وادامتها بما يضمن وجودها وتركيزها حتى تدوم المحبة والالفة لتكون قرابة وقد روي عن الإمام الباقر (ع) أن (صحبة عشرين سنة قرابة)(١) وما ذلك إلاّ لعمق العلاقة التي مرت بمختلف الظروف التي تُظهر الإنسان الصديق على واقعه ويُعرف معدنه.

فلا بد من الوفاء للاصدقاء والاخلاص معهم فلا تكون العلاقة مربوطة بالمصالح المؤقتة بل لتثمر ما هو أنفع وهو تكثير عدد الإخوان الذين يحتاجهم الإنسان بحسب طبيعته فيتكثر بإخوانه ويتعزز بهم وينتصر بهم ليشعر بالاطمئنان والراحة النفسية من هذه الناحية وهي مهمة جداً.

ومن استعمال الإمام عليه السلام كلمة (الإخوان) بدلاً من (الأصدقاء) نعرف السّر وراء الاختيار فأن الأخ هو (مَنْ جمعك وإياه صُلب أو

(١) تحف العقول ص٢١٤، ط النجف.

بطن)[1] ثـم استعمل في الصديق الـذي لا يرتبط بـه في صُلـب أو بطـن وإنمـا ربطتهما معان سامية تقيّد كـلٌّ منهمـا بهـا فـأخذت بهمـا الى حيـث الانفتـاح والانشداد والحب والوفاء فيجد في لقائه وصحبته متنفَساً من الهموم المحيطة بـه فيرتاح إليه.

٢٧- قال (عليه السلام):

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل روايـة فـإن رواة العلـم كثير ورعاته قليل.

الدعوة الى التأمل والتدبر عند نقل الأخبار وخصوصاً تلك الواردة عن النبي الأعظم (ص) وأهل بيته الكرام عليهم السلام لأن الهدف الأسمـى الـذي لا بُدَّ من السعي نحوه هو الاستفادة العملية من الأخبار لا مجرد الحفظ والترديد بل مضافاً للحفظ والترديد يكون الاستيعاب والفهم ليكون النـاقل واعيـاً لمـا ينقلـه مستفيداً منه معتبراً مما فيـه متوقفـاً عنـد المحطـات الـتي تستحق التوقـف عندهـا والتفكر فيها ليتطبع على الخير ويتأثر به في مجاله العملي.

وأما لو اكتفى النـاقل بـالحفظ والـترديد فيكـون حالـه حـال الاجهـزة الصوتية التي تحفظ الصوت وتكرره عند الطلب من دون استيعاب لأنهـا معـدَّة أساساً لهذا الغرض التوثيقـي بينمـا الإنسـان -بمـا أُعـدّ لـه مـن تـراث إسلامي ضخم- قد هُيء له أن يكون عضواً صالحاً في المجتمـع مـن خـلال تأثيره فيمـن حواليه من خلال قراءآتـه ومعلوماتـه المكتسـبة الـتي تنفعـه وتنفـع غـيره فـيرتفع المستوى الثقافي والفكري والديني للمجتمع من خلال هذه البداية البسيطة الـتي تبتني على الوعي التام لما يقرأه أو يسمعه فينقله ليتعلم تدريجياً الدقة والالتزام.

---

(1) المنجد ص٥. مادة (أخا).

ومما يساعدنا على فهم هذه الحكمة أكثر والإيمان بإهميتها وجدواها ما نعايشه في حياتنا اليومية من إخبارات الاشخاص الذين لم يتفهموا الخبر بل كان نصيبهم الترديد كالببغاء أو المسجل من دون حساب للنتائج التي يمكن أن تحدث إيجابيةً أو سلبيةً.

ومن المؤكد أنّا لا نعتمد على هؤلاء بل نترك باب الاحتمال مفتوحاً فيمكن صحة الخبر كما يمكن العكس بينما لو التثبت والتفهم هما الأساس لكان من السهل جداً الاعتماد على إخبارات الاشخاص لأنهم قد استوعبوا ما نقلوا ووعوه وعياً صحيحاً وعندها فلا مانع.

فلا بد أن نسعى لنكون من الرعاة للعلم والحافظين لمحتواه لأن بذلك يتحسن حال الناس ولا نكتفي بأن نكون من الرواة للعلم والناقلين لألفاظه لأن ذلك لا يغيّر كثيراً من الواقع. إذ لو كان الغرض يتم بالنقل لكان التعبير بـ(انقلوا) وليس (اعقلوا) فمن التأكيد على اعقلوا يعلم أهمية التركيز والتفهم لينشأ جيل علماء ومثقفين واعين ليتكامل الناس ويتحسن وضعهم لأن عدد العلماء دائماً أقل من غيرهم بينما عدد غيرهم أكثر فلا حاجة لتكثيرهم.

٢٨- قال عليه السلام:

إغضِ على القذى[1] وإلاّ لم ترضَ أبداً.

الدعوة الى الاغضاء والتغاضي عما يواجهه الإنسان من مواقف المواجهات التي تتشنج فيها العلاقات وبذلك يكسب الإنسان الغاضي -الذي تحلّم- الحالة فقد تجاوزها بالصبر عليها وتحمّل متاعبها النفسية -المؤلمة- ليصفو

(١) القذى لغة: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها... و(هو يغضي على القذى) أي يحتمل الذلّ والضيم ولا يشكو. لاحظ (اقرب الموارد) ج٢ ص٩٧٦.

العيش من المنغصات والمكدرات لأن الحياة بطبيعتها لا تخلو من ذلك إذ لا يجد الإنسان مَنْ يصافيه تماماً.

فلا بد من استيعاب المشاكل وامتصاصها وأن لا يتوقف الواحد منّا عند كل صغيرة وكبيرة وإلاّ فلا يهنأ أبداً ولا يرضى عن أحد بل ولا يرضى أحدٌ عنه لأنّ الناس يميلون الى مَنْ يتناسى الاساءة ويحاول مسايرتهم بالشكل المقبول لديهم وإلاّ لأنعزل وتحجّم اجتماعياً، وينبغي للانسان أن يحاول ذلك لكن من دون مساس بالثوابت الإسلامية والإنسانية التي يجب أن تسود ولا يصلها الاهمال والتناسي، ومن الخير أنْ لا ننسى قول النابغة الذُبياني:

ولست بمُستَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ ايُّ الرجال المهذب

فلا بد من الإغضاء، والتحمّل، والتحلّم مع القدرة على المواجهة والرد، لأنه لو خسر الإنسان فرداً وفرّط به، فليس بمعلوم إمكانية البديل المناسب، المرضي من جميع الجهات، وإلاّ لم يكن إنساناً عادياً.

٢٩- قال (ع):

أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه.

مما لا شك فيه أن عملية الترويض بمختلف اشكاله ومستوياته تثمر نتائج جيدة تنفع في مجالات عديدة، والدعوة من الإمام عليه السلام موجّهة لممارسة هذه العملية مع النفس وهو أمر يجمع بين السهولة والصعوبة.

فمن منطلق القرب فالنفس أقرب شيء الى بدن الإنسان لإحتوائه لها وإدراكه الأشياء عن طريقها فيسهل الترويض.

ومن منطلق التباين بين النفس الإنسانية والتعاليم السماوية تبدأ مرحلة الصعوبة لأن التعاليم تتضمن مجموعة من الأوامر والنواهي التي يصعب على الإنسان الاستجابة لها إلاّ بالترويض والتعويد تدريجياً لأن الفعل المستعجل تكون

ردة فعله قوية جداً على مختلف التقادير، فالتدرج ومحاولة الاقناع بالفائدة المرجوّة من العمل أمرٌ ضروري في هذه العملية، فإذا عرف الإنسان أن هذه التعاليم لمصلحته وتدور حول فائدته الدنيوية أو الآخروية، المادية، أو المعنوية، آمن بضرورة الامتثال، أو الانتهاء. ومن الضروري إيجاد وسائل دعم وتشجيع للمواصلة فكان منها هذه الحكمة منه عليه السلام ليتحفز الإنسان في إداء العمل المطلوب ولو لم يتلائم مع هواه، مادام أنه الأفضل وكلنا يسعى نحو الأفضل، فلا بُدَّ من استيعاب هذه الحكمة جيّداً لئلا يقع الإنسان في مطبّات المخالفة والمعصية على أساس أن العمل المنهي عنه من الأمور الشخصية الطبيعية فلا حق لأحدٍ في تحجيم هذه الحرية، أو أنَّ العمل المأمور به مما لا يرغب به. لأن القضية غير متروكة للاختيار بعد الالتزام بموجب الميثاق الإسلامي. ولا بُدَّ من المخالفة للاهواء الباطلة التي تبتعد بصاحبها عن طريق الحق والصراط المستقيم. وأيضاً لا بُدَّ من تحمّل المتاعب الجسمية إنتظاراً لما أعّده الله تعالى في الدنيا والآخرة من الثواب الجزيل بمختلف أشكاله.

٣٠- قال عليه السلام:

أفضل الزهد[1] إخفاء الزهد.

الزُهد من الخصال الحميدة التي ينبغي التحلي بها والاتصاف بها مهما أمكن لأنه يهيء للإنسان فرصة التوفر على حالات نفسية عالية يبحث عنها الإنسان -غالباً- لأنها تريحه من عناء الدنيا والحياة المادية المتعبة بتطورها وتقنياتها وما تستوجبه من مظاهر تثقل روح الإنسان قبل جسده وتبعده عن ساحة رضوان الله -إلا مَنْ عصم الله تعالى-.

---

(١) الزُهْد لغة: الاعراض عن الشيء إحتقاراً له، وهو من قولهم (شيء زهيد) أي قليل. لاحظ المنجد ص٣٠٨ مادة (زهد).

إذن فالإمام عليه السلام يدعو الى التحلي بهذه الخصلة الحميدة ويؤكد على أمر مهم يكتسب أهمية بالغة وهو ضرورة عدم التظاهر والتجاهر بهذا الشيء لئلا يصاب الإنسان الزاهد بداء الغرور والاعجاب الذي تقل معه فرصة المواصلة والمتابعة على نفس الخطى على أساس أنه واصلٌ الى هذه المرحلة المتقدمة فلا يلّم بذنب أو لا يضره شيء إتكالاً على الزهد فلا بُدَّ من الحذر من مصيدة الشيطان لئلا يقع الزاهد فيها لأنه بمرصد ومرقب من شياطين الجن والانس فلأنه بدأ اولى خطواته على طريق الله تعالى ويدأ فعلاً بمخالفة هواه ونفسه الأمّارة بالسوء، وهذا أمرٌ لا يروق لأعداء الله تعالى فيحاولون طرح العثرات وتكثير العراقيل فيكون العُجب والاعجاب، استكثار العمل، استقلال عمل الآخرين، عدم الاعتناء بالغير، سوء المعاملة، المجابهة الحادّة...

مما لا يتلائم مع تعريف الزهد لأن مَنْ أعرض عن الدنيا -التي هي موضوع الزهد هنا في المصطلح الأخلاقي- عليه أن يحتقر عملياً كل المغريات والصوارف الطبيعية والمصطنعة لأجل أن يتقرب من ساحة عفو الله تعالى و رحمته. ولا يكتفي برفع الشعارات لكسب الثقة مع أن الواقع بعيد و متفاوت مع الظاهر.

فالإمام عليه السلام دلّنا على افضل الطرق الموّصلة الى الاعراض عن الدنيا بأن يجاهد الإنسان نفسه واقعياً ومن منطلق الداخل والضمير قبل منطلق المظهر الخارجي، فالزاهد حق الزهد مَنْ ابتعد عن الحرام ليتوفر بعد ذلك كله على ما يؤهله للارتقاء في سلالم الكمال. إذ الأمر غير مقتصر على لبس الخشن أو أكل الخشن أو المعاملة الخشنة بل الأمر يتسم بعمق أصيل ومرتكز متجذر -أو يجب أن يتجذّر- في نفس الإنسان ليستقر في الاعماق فتنطلق التصرفات عن قناعة لا تقليد وعن وعي لا محاكاة... نعم لا يُنكر تأثير المحاكاة -أحياناً- إلاّ أن لها مرحلتها و تأثيرها المؤقت بكل تأكيد بينما يريد الإمام (ع) هنا أن نتعود

ذلك و نتصف به لنكسب الاصدقاء على طريق الله تعالى المتمثل في الدعوة الى الإسلام ومبادئه ومُثله العليا التي تحقق للانسانية ما تحلم به وتوفر لها كل وسائل التحضر والتقدم بكل أشكاله ومراحله -لكن بالشرط المذكور- أعني تجذّر الإيمان وانطلاق الفكرة من الإعماق.

٣١- قال عليه السلام :

افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فانَّ صغيره كبير وقليله كثير، ولا يقولّن أحدُكم إنَّ احداً أولى بفعل الخير مني فيكون -واللهِ- كذلك، أنَّ للخير والشر أهلاً فما تركتموه منهما كفاكموه أهلُه.

إنَّ من العوامل المؤثرة في بث الروح الحماسية للقيام بالمهمات هو: عامل التشجيع والدعم على أساس -انْ ليس أحد أحق بالأمر منك- مما يدفع نحو القيام بالمهمة مع الشعور بالأهمية والكفاءة مما يؤثر -حتماً- على تحسين الناتج.

ومن الواضح أن دعوة الإمام عليه السلام تضمنت هذا الأسلوب في الحث: فقد بيّن عليه السلام أهمية الخير وضرورة إبراز مظاهرهِ الحياتية بمختلف صنوفها. و عدم إهمال أيَّ مقدار منه مهما تضائل حجمه التقديري -الحسي- أو الاعتباري لئلا يُحْرَمْ افراد المجتمع من ذلك الخير.

ثم بيّن عليه السلام أنَّ للخير أفراداً عديدة وصوراً مختلفة لا يمكن حصرها لإتساعَ الدائرة بحسب الزمان والمكان والاشخاص. فيجب أنْ لا يُحتقر صغير الحجم من هذه الافراد لأنه كبير بمقياس أنه خير. وكذلك لا يُستهان بقليل المقدار منه لأنه كثير بمقياس أنه خير ، وقد راعى عليه السلام التناسب في المقابلة بين الصغير والكبير، وبين القليل والكثير. وهو أمر مهم من الناحية الأدبية، البيانية، الادائية.

ثم بيّن عليه السلام أنه لا ينبغي التواكل في عمل الخير بل لا بُدَّ من المبادرة والمسارعة مهما أمكن لأن ذلك فرصة يصعب تعويضها فقد لا تتاح مرة ثانية ، وان الإنسان إذا تعوّد التواكل والاكتفاء بمبادرة الآخرين فسيكونون أولى وأحق منه دائماً لأنه لم يترك الفرصة لنفسه بالعمل ولو مرة واحدة وإنما كان من المتماهلين فحتماً سيتقدم غيره ويتأخر هو، ولا يتصور الإنسان أن العمل المطلوب إنجازه إذا لم ينجزه هو تتوقف عجلة الحياة بل هناك الكثير ممن يبحث عنه ويسعى للحظوة به فيتلقف الفرصة بسرعة، وهنا قد تَحَدّثَ الإمامُ عليه السلام بشمول فأنَّ للخير أهلاً وكذلك للشر فلا بُدَّ للإنسان أن يتباعد عن الشر لئلا يكون من أهله و يترك الأمر لمن سخط الله عليه لأن المهم الاقلاع عن الشر والتقدم نحو الخير الذي هو كل فعل إيجابي لا يضر أحداً بما يكون مقصوداً -وإلا فكل فعلٍ يتصف بموافقتهِ لأحدٍ ومخالفته لآخر-.

٣٢- قال (ع) :

أقل ما يلزمكم لله أنْ لا تستعينوا بنعمِهِ على معاصيه.

الدعوة والتنبيه الى أمر مهم جداً يغفل أو يتغافل عنه كثير من العباد وهو ان الإنسان يتمتع بما أنعم الله تعالى عليه من صحة وعافية وجاه ومال وقوة ونفوذ و.. و... إلاّ أنه قد يستعملها فيما لا يرضي الله تعالى بصرف هذه النِعَمْ فيه كالمحرمات التي نهى تعالى عن اقترافها والاقتراب من حدودها وأمَرَ عزّ وجلّ بالابتعاد عنها والانزجار النفسي عن ممارستها، بينما أن الواقع يفرض مقابلة النِعَم بالتعامل المناسب من الشكر والثناء وعدم التوصل بها الى ما يغضب المنْعِم -أياً كان- وهذا شيء أساسي تفرضه قواعد الآداب الاجتماعية العامة فكيف -إذن- إذا كان المنْعِم هو خالق السموات و الارض، المحيط بكل شيء، الذي لا يعجزه شيء، الذي لا تضره معصية مَنْ عصاه كما لا تنفعه

طاعة مَنْ أطاعه وإنما المتضرر والمنتفع بالدرجة الأولى هو العبد. فالإمام عليه السلام يؤكد على هذه النقطة المهمة في استدامة الالطاف الالهية واستمرار الامدادات الربانية والتي يحتاجها كل مخلوق مهما كان حجمه أو شأنه، فلو لم نلتزم بهذه الحكمة لَحَكَمْنا على انفسنا بالحرمان وزوال النِعم فإنها تزول إذا لم تجد الجو الملائم والظرف المناسب والتعامل اللائق. فلا بُدَّ للانسان العاقل ان يُحسن التعامل مع ما يرزقه الله من متطلبات الحياة ومهمات البقاء في الدنيا من الأمور المعنوية والاعتبارية أو المادية والشأنية، فلا يقابل هذا كله بالتمادي في الطغيان والتمرد بل يلزمه -بحكم الدليل العقلي- أن يشكر ولا أقل من عدم الاستعانة بالنِعَم على ما لا يرضى به تعالى.

٣٣- قال عليه السلام:

أقيلوا ذوي المروءات[1] عثراتهم، فما يعثر عاثر إلاّ ويدُ الله بيده ترفعه.

اهتمام واضح بالمتصف بصفة المروءة وفي ذلك تشجيع وتحبيذ ودعوة لاتصافنا بها ولتكاملنا ضمن خطها لما فيها من معانٍ سامية يهتم بها الإمام عليه السلام لأنها من أهداف الإسلام.

فإذا كان الإنسان متصفاً بهذه الصفة الكريمة فالإمام عليه السلام يدعونا للصفح والغض عن خطئه ويحبّب لنا التسامح وقبول العذر -لو اعتذر- تكريماً لهذه الصفة وتعزيزاً لها في النفوس وتبياناً بأن الإنسان معرّضٌ للتجاوز والخطأ، فلا بُدَّ للآخرين أن يساعدوه -على تلافي التكرار وعدم الوقوع مرة

(١) المروءات جمع المروءة وهي لغة: النخوة، كمال الرجوليّة. المنجد ص٧٥٤ مادة (مرأ). أساس البلاغة للزمخشري ص٥٨٧. الإنسانية، مختار الصحاح ص٦٢٠، آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، أقرب الموارد ج٢ ص١١٩٦.

أخرى- بقبول العذر بل وابتغاء العذر له -لو امكن- لأن هذا الجانب الأخلاقي مهم جداً في تسيير عجلة الحياة الاجتماعية وإلاّ لتعطلت وتكثرت الحواجز والمعرقلات لأن الإنسان معرضٌ دائماً بحكم طبيعته الى التورط من خلال تصرف أو كلام،وفي الغالب يعتذر ويندم على ما صدر منه.

فحريٌّ بنا -نحن المسلمون- الاصغاء لهذه الدعوة الكريمة والامتثال والتطبيق لموادّها كي نضمن تبادل التسامح والتغاضي والصفح عنا لو بدرت أخطاء من أي فرد منّا.

وقد عبّر عليه السلام عن الاخطاء بالعثرة التي هي (السقطة، الزلة)[1] ولعل صدورها من الإنسان إنما هو لتنبيهه الى أمر يتغافل عنه -خصوصاً لو بلغ مرتبة تُوهِمُهُ بالكمال- وهو الطبيعة البشرية القائمة على صدور الخطأ قولاً أو فعلاً وأن المعصومين من الخطأ معيّنون مخصوصون ومَنْ عداهم فهم يتفاوتون في درجات الكمال فلا داعي لأن يشمخ بعضنا على البعض الآخر.

ومما هو جدير بالاهتمام أن الإنسان المسلم الملتزم المتمسك بحبل الله ورسوله وأوليائِهِ مدعوم بدعم الهي لئلا تتعرقل سيرته الحياتية، وذلك بعدة صور و أشكال إما بأن يبادر للاعتذار ، وإما بأن يرق له قلب الطرف الآخر -المعتدىٰ عليه-، وإما بالاعتراف بالخطأ فيعطيٰ فرصة التراجع، وإما بعدم الإصرار على الخطأ و الندم القلبي على ما صدر منه...، وإما بالتوبة والاستغفار أيضاً..

مما يساعد على عدم توقف الحالة أو تشنج الوضع بل تسير الأمور كجاري العادة الطبيعية، كل ذلك بتأييد الله تعالى وتسديده ومنّته وقوته فأن (اليد) بمعنى النعمة والرحمة والقدرة، فأنه تعالى ينعم عليه بتلافي الحالة ويرحمه بأن لا يصرّ على الخطأ لأنه عز وجل القادر على العباد وكل ذلك من دون

---

(١) المنجد ص٤٨٦، مادة (عثر).

إلجاء أو تأثير مباشر وإنما يهديه للتي هي أقوم وأحسن وأليق بحال هكذا إنسان تتمثل فيه الإنسانية وكل صفات الرجل القوي الذي عوّد نفسه على جيد الأفعال والأقوال الذي يبالي بما قال وبما قيل له وهذه الحالة لا تترسخ إلاّ بالممارسة والمجاهدة للهوى الغلاّب وإلاّ فمن السهل جداً إطلاق العنان وعدم السيطرة فيتفوه أو يتصرف بما شاء من دون مراقبة.

ومن الجدير بالذكر أنه قد جاء في المَثَل (اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)(١)

٣٤- قال عليه السلام:

أكبر العيب انْ تعيبَ ما فيك مثلُه.

الدعوة الى أن يهذب الإنسان نفسه ويحاسبهابكل دقة لئلا ينتقد أحداً بعيب هو متصف بمثله فأن هذا من العيب على العاقل لأنه سوف يفسح المجال لانتقاده أيضاً.

فلا بد من كف اللسان وتعويده على التحفظ وإلاّ كَثُرَ الخصوم والعيّابون لأنك لو نطقت فلك لسان واحد بينما لغيرك ممن حواليك وممن يبلغهم عيبك ألسن متعددة بعددهم ومن المؤكد أن الإنسان الواحد لا يستطيع مقاومة العدد الكثير لأنه متى حاول سدّ جهة انفتحت له جهات أخرى. فحبذا مراعاة هذا الجانب الأخلاقي وانشغال الإنسان بعيوبه عن عيوب غيره اللهم إلاّ إذا كان من إسداء النصيحة وبيانها فلا مانع لكن بعد التأكد من عدم الاتصاف لتكون نصيحته أكثر قبولاً وأوقع في النفوس وإلاّ لقيل له إذا كان ما تقول حسناً أو سيئاً فلماذا لا تطبّقه أنت؟! كما قال المتوكل الليثي:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله   عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

---

(١) قال (في مجمع الأمثال) ج٢ص٦٨، أراد بذوي الهيئات أصحاب المروءة.

٣٥- قال (عليه السلام):

الأمر قريب[1] والاصطحاب قليل.

الدعوة الى الاستعداد للقاء الله تعالى وعدم الركون التام الى بهارج الدنيا وملذاتها لأنها زائلة يفارقها الإنسان الى حيث السؤال والجزاء فلا بد للإنسان العاقل أن يستعد لذلك فلا يقطع حبل الصلة بينه وبين الآخرة ومتعلقاتها في الدنيا بل عليه أن يعيش دنياه في الدنيا وأن يعيش آخرته في الدنيا وذلك بأن يوفي كل واحدة حقها -قدر الإمكان- ولا يجري مع الدنيا على أساس أنها الدائمة فإنه مهما بقي فيها فسيرحل حتماً. إذ انّ الموت منه قريب بحيث يفاجأه في أية لحظة يقدّرها الله تعالى، وكل آت قريب فيعني ذلك أن موعد الحساب وهو يوم القيامة قريب أيضاً فلا مجال للتراخي في تأدية الواجبات والتزود بزاد الآخرة والخروج عن التبعات التي تثقله أُخروياً والتخفف عن الاوزار التي ترهقه لدى المسائلة الالهية.

ثم أنه من الطبيعي جداً قلة المكث في الدنيا إذا كان الموت قريباً، فمَنْ يعمَّر في الدنيا مهما بلغ عمره فهو كضيف في الدار لا بُدَّ له -يوماً مّا- من الرحيل والانتقال الى حيث البقاء الأبدي.

فالدعوة تتضمن تحذيراً وتذكيراً.

فالتحذير من الاغترار بالدنيا والتصديق بوعودها فأنها إذا تشوفت[2] وتبسمت لأحد ظنّ صدْقَها وأنها على هذا الحال دائماً بينما الأمر مختلف تماماً إذ إنها خدعة يصطاد بها الغافل والمغفّل فعمّا قريب يترك الإنسان كل ما يعزّ عليه من أولاد، مال، منصب، زوجة، جاه... فان اصطحابها وكينونتها معه أمر موقوت فليحذر العاقل.

---

(١) الأمر: كناية عن مفارقة الحياة وانتهائها الذي يعبر عنه احياناً بالموت وأحياناً بيوم القيامة.

(٢) أي تزينت. لاحظ المنجد ص٤٠٨ مادة (شاف).

والتذكير بقرب موعد الرحيل الى دار البقاء ليتهيأ الإنسان ويستعد لسفر طويل لا يمكنه معرفة جهته فإما الى الجنة إن أعدّ نفسه أو الى النار – والعياذ با لله– إن غفل واطمئن للدنيا.

٣٦– قال عليه السلام :

إمشِ بدائِكَ ما مشى بك.

الدعوة الى تحمّل الداء (المرض والعلة)[1] وعدم اللجوء الى استعمال الدواء –والتركيب الكيمياوي– إلاّ في الحالات القصوى التي لا ينفع معها العلاج بالراحة والنوم وتقليل الطعام (المضر).

وهذه الحكمة تتفق مع التجارب العديدة لفئة المعمَّرين فإنّ سر طول العمر –غالباً– وبعد إرادة ا لله تعالى طبعاً، هو التقييد بنظام معتدل في الطعام والشراب والنوم وسائر ما يستعمله الإنسان أو يحتاجه. وقد أثبتت التقارير العلمية أن الاسراف في استعمال الادوية خصوصاً تلك المرّكبة المصنّعة، يعود بالضرر المباشر على المستعمِل أو بعض الاضرار الجانبية التي تظهر تدريجياً والتي تكون –في كثير من الحالات والتجارب– سبباً كافياً للوفاة أو الاصابة بمرض يؤدي اليها.

فلا بد للإنسان أن يعالج نفسه بنفسه وذلك من خلال وسائل طبيعية كالراحة وتقليل الطعام أو استعمال بعض النباتات التي يضمن عدم ضررها ليكون قد مشى بمرضه ما أمكنه ذلك حتى إذا استعصى العلاج من خلال ذلك فعليه الاستعانة بالخبير الطبي لوصف الدواء.

وإذا تذكرنا بعض المسموعات السابقة عن نسبة الخطأ والاشتباه للمختصين ممن يشّخص الداء أو يصف الدواء، لَعَلِمْنا ان الإمام عليه السلام

---

(١) المنجد ص٢٢٨. مادة (داء).

حريص أشد الحرص على سلامتنا ووقايتنا من الاعراض الجانبية المضرة التي تفقدنا الصحة، وقد دلّت التجارب أنْ اولئك الذين يبادرون ويسرفون في استعمال الدواء ولا يتحوطون لسلامتهم يصابون بانتكاسة صحية غير متوقعة.

وقد أشار عليه السلام لذلك في وصيته لولده الحسن عليه السلام بقوله: (ربما كان الدواء داءاً والداءُ دواءاً)[1] فلا يستعجل الإنسان باستعمال الدواء وأيضاً لا يضجر إذا مرِض لأنه قد يبعد عنه بذلك شر شيء أكبر، كما يلاحظ في كثير من الحالات السريرية اكتشاف مرض لم يكن يعلم أو يشعر به المريض -نفسه-، إذن الداء دواء. كما أنه قد يكمن الداء في استعمال ما أُعدَّ ليكون دواءاً والشواهد الكثيرة دالة على ذلك.

٣٧- قال (عليه السلام):

إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض.

من المعلوم إن الإنسان لا تتساوى حالاته وتوجهاته النفسانية بل تؤثر عليه عوامل الزمان والمكان والاصدقاء والبيئة والفقر والغنى والصحة والمرض والأمن والخوف والانفتاح وعدمه والمداومة على العمل وعدمها وكبر السن وصغره... وهذا بشكل عام فيشمل بطبيعة الحال اتصاله بالله تعالى حال العبادة فقد ينشّد تماماً فيؤدي المفروض ويتطلع نحو المزيد لأنه ممن ذاق حلاوة مناجاة الله تعالى وفاز بالاتصال الروحي معه فتعلّقت روحه بباريها وتخففت من أدران المادة وتبعاتها.

وقد يتخفف من كل ذلك فلا يجد من نفسه الاقبال على عمل المزيد وإنما يحاول أن يوجد فرصة لإنجاز المفروض. وهذا كشيء طبيعي لا غبار عليه

---

(١) نهج البلاغة ج٣ ص٥٢، ط دار التعارف - بيروت.

ولا يمكن إنكاره لأنه يتماشى وتركيبة الإنسان الفسلجية والاجتماعية، لأن العوامل الجسدية والنفسية والبيئية تترك تأثيرات قوية عليه.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأن نكون أكثر واقعية ونتجرد من نمطية أداء طقوس وممارسة اعمال وقراءة سطور أو صفحات مما يشكل دائرة روتين، بل لا بُدَّ من أن نتعايش روحياً بكل ما يشدّنا بالخالق تعالى لأنه أنعم علينا بكل مواهبنا ومراكز القوة فينا فلا يناسب أن نأتي الى رحابهِ متناعسين متكاسلين متثاقلين، بل المطلوب أن نأتي بكل انفتاح وشوق وشعور بأنه سبيل الراحة والتنفيس اللذين يطلبهما الإنسان بعد إثقاله بمتاعب الحياة المادية وما تقتضيه من تقيّدات وملاحظات سياقية.

ومن غير الصحيح أن ننكر اتصافنا بذلك وإلا لفقدنا موقعنا المناسب في المحيط الإنساني الطبيعي، وكنا مؤدين لمظاهر لا تتسم بالمصداقية الصحيحة وإنما مجرد ترديد ولقلقة لسان أو قيام وقعود بلا وعي، بلا حس صادق، بلا شعور حقيقي، بلا تفاعل مع الممارسة، لينعكس من ذلك إشعاع على مؤديها ليسمو به الى حيث الكمال أو التكامل المنشود.

ولا بد أن ننتبه الى ان الشيطان يترصدنا فلا مناص من الحذر منه وإلا لحاربنا بسلاح إقبال النفس وإدبارها بل اللازم أن نربّي أنفسنا ونجاهد أهواءها ونحاول السير الى مدارج الرقي الأخلاقي ضمن درب العبادة لنضمن محلاً كريماً في منازل الآخرة يتناسب مع طموح الواحد منّا وإلا لكنّا ممن يطلب الآخرة بلا عمل.

٣٨- قال عليه السلام :

إنَّ للقلوب شهوةً وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قِبَل شهوتها وإقبالها، فانَّ القلبَ إذا أُكره عمي.

من المعلوم أن قسر النفس وإلجائها الى القيام بعمل لا ترغبه ولا تتفاعل معه يأتي بنتائج عكسية أو أقل من مستوى الأمل والطموح، وهذا أمر يتفق فيه جميع بني الإنسان ولذا كانت مجاهدة النفس ومغالبة الهوى ومحاولات الترويض والتهذيب ليتمكن الإنسان من مسك زمام النفس والسيطرة عليها والتحكم فيها والتمكن المريح منها.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأنْ نختار الأوقات المناسبة -أو لنهيء الحالات الملائمة- ولا نترك القياد للنفس التي تحب الراحة والكسل فإذا توفرنا على ذلك أحرزنا النتيجة المرجوة المأمولة من العمل وكسبنا الجزاء الموعود دنيوياً أو أخروياً.

وهذا التوجه القلبي أو الانصراف أمر سائد في كل المجالات، الدينية والدنيوية فإنه يحكم تصرفات الإنسان ولا يمكنه السيطرة والتغلب على إظهاره -إلا نادراً- إذ يبيّن على صفحات الوجوه ويُقرأ من العيون -كما يقولون-.

فلنسير على خطى الإمام عليه السلام في توجيهه السامي ضمن هذه الحكمة لتكون اعمالنا وانجازاتنا مثمرة مقبولة بعيدة عن القسر والنمطية والروتين والعادة الموروثة وإنما تنبض بروح الجدّية والشوق والسعي نحو التكامل.

٣٩- قال عليه السلام :

إنّ الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيّعوها وحدَّ لكم حدوداً فلا تعتدوها[١] ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها[٢] وسكت عن اشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكفلوها.

بيّن عليه السلام في هذه الحكمة عدة نقاط مهمة يعوزنا الإلتزام بها إذ الكثير يسأل عمّا وراء التكليف، أو يتساهل في تنفيذ احكام إلهيّة يقسميها الآمر والناهي.

وهو أمر يشق كثيراً على الموجهين إذ يبّعد المسافة ويخلق جواً من التعللات العليلة في ذاتها كعدم الاقتناع بالأثر، بالاهمية والجدوى، بالسبب... وهذا ما يدركه المصلحون الموجهون فأنه يخّرب خطة الإصلاح ومنهاج الإرشاد ويعطل القدرات المتهيأة لذلك. وعندئذ تنحرف المسيرة عن خطها الأساس الى فروع جانبية لا تكتسب أهمية بل هي من صوارف الشيطان.

فلهذا ونحوه دعانا عليه السلام للالتزام بالتعاليم والتوجيهات والسير على منهاجها، والاهتمام بتنفيذها، وترك التطلع الى المزيد من العمل لأنه لو كان مناسباً لما أغفله خالق السموات والارض العالِم بالسرائر والخفيات الذي لا يعجزه شيء.

فأمّا إذ سكت عنه ولم يكلّف به فما هو إلاّ وفق المصلحة والحكمة التي لا تدركها عقول المخلوقين مهما كانت قواها لسبب بسيط جداً لأن العقول واصحابها مخلوقة له فهو الموجد لها والمودع فيها القدرة والقابلية على

---

(١) أي فلا تجاوزوها.

(٢) الانتهاك لغة يعم تناول ما لا يحل واذهاب حرمة المنهي عنه وتضييعها. يلاحظ المنجد ص٨٤٣، مادة (نهك).

التفكير والإبداع فهو -بالطبع- أقوى إدراكاً وأنفذ رأياً وأحزم وأحكم وأعلم...

فلا موجب بعدئذ للسؤال والاستفسار عن أمور متروكة لمصلحة عُليا، وإنما الواجب التوجه نحو امتثال الأوامر والانزجار عن النواهي وعدم التعرض لما لم يبيّن من وجهة تشريعية، فان التشريع القائم يغطي مساحة عمر الإنسان ووقته فقد يُرمج وفق المناسب لحال كل فرد بحسب اختلاف جنس وزمان ومكان وفئة وحالة كل إنسان بما للكلمة من شمولية.

٤٠- قال (عليه السلام):

إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقواتَ الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلاّ بما مُتِّعَ به غني والله تعالى سائِلهُم عن ذلك.

إنَّ مما يدركه كل عاقل صغيراً أم كبيراً هو التفاوت الطبقي والمادي والاقتصادي بين أفراد الناس فإنه أمر تقتضيه المصلحة العامة لنظام العالَم وإلا لتعطلت كثير من المصالح والاعمال، ولما طُبِّقَتْ بعض الفقرات المهمة في نظام التشريع، وفوق هذا وذاك الحكمة الالهية التي لا يدركها البشر.

فإذا كان هذا أمراً طبيعياً فهل يُترك جانباً ويُقبَل كأمر واقع أم يُبحث عن وسائل تتفادى الوقوع في الازمات والمشاكل المترتبة على ذلك التفاوت وهذا ما اختاره عليه السلام ضمن هذه الحكمة فهو يدعونا الى التواسي والتراحم فيما بيننا وان نحقق مبدأ التكافل الاجتماعي بأدق صورة ممكنة وقد هيء لنا فرصة تحقيق ذلك عن طريق تأمين قوت الفقير لأنه المهم فإن الإنسان إذا أمَّنَ هذا الجانب فقد أمِنَ المجتمعُ غوائلَهُ وتفكيره الإجرامي الفتاك الذي يثيره الحقد على الغني والضغينة المتأججة على مَنْ حواليه لأنه يشعر بأنه وصل الى الفقر نتيجة غنى مَنْ حواليه، أما إذا وفرّنا للفقير لقمة العيش وتعاونا في سبيل

ذلك و لم نُصَبْ بداء الاتكالية، فقد أحرزنا بقاءه ضمن شريحة المجتمع الصالح نستفيد منه ويستفيد منّا، ونعيش جميعاً بسلام لا ينغصنا سؤال الفقير وصراخ الصغار الجياع.

ولو اقتفينا أثر الإمام عليه السلام في هذه الحكمة لما بلغ حال جياع العالَم ما بلغه من المجاعة الغالبة في كثير من البلدان أو المجاعة النسبية في البعض الآخر.

ولو ألقينا نظرة فاحصة لأبرز عوامل التكافل الاجتماعي في النظام الإسلامي لوجدنا أنه أمّنَ للفقير نصيبه الذي يسعف حاجته ويكفل احتياجاته من لوازم الحياة المختلفة، فمن ذلك الزكاة بقسميها للأموال وللأبدان -الفطرة- والكفارات بأقسامها المتنوعة عند المخالفات في الصيام والحج والنذر واليمين والعهد والنكاح[1] وهي تتشكل بشكل الإطعام والإكساء في بعض مواردها بما يسد الحاجة -غالباً-.

ثم الصدقات المندوبة ورد المظالم والتصدق بمجهول المالك واللقطة والحث على الهدية والوصية وغيرها.

وهذه المواد متعددة الموارد والمناسبات إلاّ أنها تتحد في صرفها على الفقراء الذين لا يملكون قوت سنة كاملة لأنفسهم أو متعلقيهم ممن يجب الإنفاق عليهم كالزوجة والأولاد والأبوين أو الارحام أحياناً.

---

(١) في موارد الظهار والايلاء والوطئ أيام العادة الشهريه والتزوج بامرأة ذات بعل أو في أثناء العدة من الطلاق الرجعي بعد الحكم بلزوم المفارقة ثم التكفير، على تفصيل في جميع الموارد يطلب في محله من المصادر الفقهية.

ومن هنا يتجلى لنا أنه تعالى قد اعطى كل أحد حقه المناسب من الرزق -المادي- إنْ بسعي العبد مباشرة أو بواسطة الأُمناء كما ورد فيما روي عن الإمام الصادق (ع) التعبير بـ(الأمناء) عن الأغنياء[1] .

٤١- قال (ع) :

إنَّ الحقَ ثقيلٌ مرئ، وإنَّ الباطل خفيف وبئ.

الدعوة الى اتباع الحق ومناصرته والدفاع عنه والوقوف الى صفه، سواء كان -الحق- قولاً أو فعلاً، والدعوة الى ترك الباطل ومناهضته قولاً أو فعلاً.

فاللازم متابعة الحق وان كان يثقل في كثير من الحالات لكنه مستساغ مهما كان، يرضاه كل أحد -حتى الغاضب في قرارة نفسه وان تأبّاه ظاهراً-.

وأيضاً يلزم مجانبة الباطل بكافة صوره واشكاله ولأيّ سبب كان ومهما كان الظرف فإنه وإنْ خفت مؤنته وكلفة مواقفه إلاّ انه موبوء -يكثر فيه الوباء[2] -ولاتحمد عاقبة أمره، ويكفينا في محاولة الاقناع أو الاقتناع الشخصي أنْ نعرف انّ الله ورسوله والإمام الى صف الحق في كافة مواقفه يساندوه قولاً وفعلاً و بمختلف الوسائل والاساليب إعلاءً لشأن الحق وترسيخاً لقواعدِهِ في النفوس لئلا يهزم أو ينخذل -بتخاذل الناس عنه-.

ونجدهم جميعاً مناوئين للباطل في كافة مواقفه وبمختلف الوسائل والاساليب لئلا ينخدع به أحد. فالإمام عليه السلام في هذه الحكمة يبيّن حقيقة كل من الحق والباطل ليتضح الأمر لذي عينين ولا يتذرع أحد بالجهل

---

(١) روي في أصول الكافي ج٢ باب (فضل فقراء المسلمين) ح٢١ أنه (قال ابو عبد الله (ع): مياسير شيعتنا أمناؤنا على محاويجهم فاحفظونا فيهم يحفظكم الله).

(٢) لاحظ المنجد ص٨٤٤. مادة (وبأ).

وعدم المعرفة، وهو عليه السلام في ذات الوقت يدعونا -ضمناً- للتمسك بحبل الحق لأنه يمثل إرادة الله، وينهانا عن الاغترار بصورة الباطل وما يحققه من مواقف لأنه يمثل الجهة المغضوب عليها على مرّ الدهور.

٤٢- قال عليه السلام:

إنَّ اعظم الحسراتِ يوم القيامة حسرةُ رجلٍ كَسَبَ مالاً في غير طاعة الله فورِثَه رجلٌ فأنفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخلَ الأولُ به في النار.

الدعوة الى التوازن في كسب الثروة فلا داعي للتعجّل أو الإغماض في تكوين الرصيد وتجميع المال لأن الإنسان مسئول غداً عن تقديم لائحة بما ورد إليه وبما صدر عنه معززةً بالمعلومات الصحيحة وإلاّ نال العقاب وربما يوجد مَنْ لاينفع معه هذا الاسلوب من الإقناع في الإبتعاد عن الحرام فنجده عليه السلام يبيّن حالة أخرى وهي أن الإنسان الذي يشقى بجمع الثروة من الطرق الملتوية وغير المشروعة سوف يفارق المال فإذا وَرَّثَ المال لمن هداه الله تعالى ليستعمله في الحلال وفيما يرضاه عزّ وجلّ من سبل الخير -سواء لنفسه أو لعياله أو الآخرين- فحتماً سيكون الثواب والجزاء الأوفى للمنفق المباشر لا للمورِّث صاحب المال.

وفي هذه النتيجة من الحسرة والتألم النفسي على المكتسِب الذي لم يبالِ في جهة كسب المال وإنما كان المهم عنده جمع المال والاستحواذ عليه بأي شكل كان ومهما كانت نسبة الخطر فيه ومن جرّائه لمجرد تحقيق رغبته في تحصيل المال وليُعَدّ من اصحابه، ولا ينفقه في سُبُلْ الانفاق المرضية لله تعالى، ولا بد أن لا ننسى الحكم الشرعي ولو كنا في مجال أخذ العبرة والموعظة وذلك لأنه يجب على الوارث أن يؤدي ما يعلم بأنه حرام على مورّثه الى اصحابه فإن

لم يمكنه الاداء لفقْدِهم وتعذر التعرف على احوالهم ومَنْ يتعلق بهم فيتصدق بالمال عنهم ليكون بذلك مخففاً من بعض الثقل على مورِّثه، وأيضاً ليكون ما يأخذه حلالاً له وإلاّ فإذا كان يعلم بوجود حق للآخرين لا يجوز له التصرف حتى يؤديه لإصحابه ولا ينفعه التصدق لو لم يفعل إتكالاً على الحكمة لأن الإمام عليه السلام لا يغيّر حكماً شرعياً بل يؤكده ويحث على امتثاله، كما لا بُدَّ أن لا ننسى ان المال الذي نجمعه ونسعى في تحصيله بجهودنا الشخصية الذاتية هو منحة من الله تعالى تفضل بها علينا وكان دورنا منحصراً بالوصول اليها والحصول عليها. فالمال نتنفع منه ونملكه ما دمنا في الدنيا فإذا فارقناها فارقنا المال وانتقل الى غيرنا، فلا يتعلل البعض بإن هذا المال حصلت عليه من تعبي وكدي. لإنهما ينحصران في استخراجه والوصول إليه فقط لأن الدنيا وما فيها ومَنْ فيها مخلوقة لله تعالى رب العالمين لا نملك منها إلاّ ما أَذِنَ لنا فيه.

٤٣- قال (عليه السلام):

إنَّ مع كل إنسان مَلَكَين يحفظانه، فإذا جاء القَدَرُ خَلّيَا بينه وبينه، وإنَّ الأجلَ جُنّةٌ حصينة.

إن من المؤكد الطبيعي لدى الجميع -إلاّ مَنْ قلّ- الخوف من المستقبل والتوجس خيفة مما يقع وإتخاذ إجراءات السلامة والاحتياط لإجل الحفظ والحراسة. وسبب ذلك واضح لأن الجميع يريد البقاء وطول المدة في الحياة فيدفع بجهده كل ما يحول دون ذلك وربما في غمرة هذه الإجراءات الاحتياطية ينسى الإنسان وجود قوة تحفظه ولا يؤثر في ديمومتها وبقائها سلاح -مهما كان متقدماً- وإنما يخضع السلاح في تأثيره اليها ، وتلك القوة هي قوة الحماية والسلامة التي يهيئها تعالى للمخلوقين على اختلافهم وتعددهم وتوزعهم الجغرافي وانتشارهم في الآفاق الكونية ، بحيث لا يعجزها حفظ أحد مهما كان

حجمه وموقعه ومصدر الخطر عليه وحجم قوة الحفظ والسلامة له لأنه تعالى خالق كل شيء وبيده مقاليد الأمور فإنه خلقَ ملائكةً حَفَظَةً تقوم بهذه الواجبات يمكنها اختراق الحواجز مهما قويت وسُلّحت، إذ الملائكة أرواح مجردة شفافة لا تحتل مساحة أو حيّزاً فمن السهولة جداً رعايتها المكثفة لكل مخلوق حتى يبلغ الكتابُ أجلَهُ ويأذن تعالى بقبض روح المخلوق فتتركه وقَدَرَهُ كيما تجري إرادةُ الله تعالى بشكل طبيعي من دون ما معارضة أو محاجزة.

والإمام عليه السلام يدعونا للتنبه الى هذا الأمر والوثوق بحفظ الله تعالى ورعايته للجميع فلا بُدَّ ان لا نخشى سواه لأنه تكفل بحفظنا مضافاً الى أنه محيط بكل شيء علماً،فإذا توجه نحونا مصدرُ الخطر دفعه عنّا وحال بيننا وبينه بقوته وتدبيره وليس بالضرورة إدراكنا لشكل مصدر الوقاية أو نوعه.

فالوقت المحدد لرحيل المخلوق هو الكفيل ببقائه حتى يحين، فلا بُدَّ من التخفف من القلق والخوف وإنما الأجدى إتخاذ الاحتياطات المناسبة مع التوكل على الله تعالى والإلتجاء الى حفظه وحياطته لا الاعتماد على تلك الاحتياطات فإنها مهما كانت فهي محدودة ومتناهية.

٤٤– قال عليه السلام :

أوضَعُ العلم ما وقف على اللسان، وأرفَعُهُ ما ظهر في الجوارح[١] والأركان[٢] .

في هذه الحكمة يقسّم الإمام عليه السلام العلم الى قسمين:

قسم يتصف بالضعة والتسافل وعدم التأثير وهو ما كان حصة اللسان من دون ان يستوعبه القلب ويحتويه الفكر استيعاباً واحتواءاً مناسباً لجلالة قدر العلم.

---

(١) الجوارح جمع الجارحة: العضو من الإنسان. المنجد ص٨٦ مادة (جرح).

(٢) الأركان : الأطراف، ويغلب استعمالها في اليدين والرجلين والرأس بينما الجوارح تشمل حتى القلب. أقرب الوارد ج١ ص٤٢٩. المنجد ص٤٦٤، مادة (طرف).

وقسم يتسم بالرفعة وعلو الشأن والتأثير على الإنسان من جميع جوانبه الجسدية والفكرية، فلا يتصرف إلاّ وهو محتفظ بما علِمَه فكأن العلم دليله في طريق الحياة فلا يصدر تصرف مشين يتنافى والعلم من أيٍّ جارحة من جوارح بدنه ولا من أي طرف كان. لأن الإنسان عندئذ على مستويين:

إما أن تتعمق المعلومة في داخله ويعيشها فكرة ومعنى فيطبقها في حياته وتكون جوارحه واطرافه الجسمانية مستجيبة له في ذلك، فلا يتخلف قولُهُ عن فعلِهِ ولا فعلُهُ عن قولِهِ بل يتطابقان دائماً لكونه قد اقتنع بالفكرة فجذّرها في نفسه، وساعدته على ذلك جميع متعلقاته الفكرية والبدنية.

وإما أن يكون على العكس فلا تأخذ المعلومة طريقها الى داخله بل تظل حكراً على لسانه يرددها عند اللزوم ويستخدمها عند الحاجة فلا تعطيه ما يرومه منها من استخدامات في مجالات النفاق الاجتماعي والتمويه والخداع، بل تتعطل عند حدود المظاهر فينكشف أمره ويعرف الجميع من ضحايا التمويه والخداع بأنه مفترٍ في ادعائِهِ وما يردده فلا تنجح خطته.

ولذلك كُله دعانا عليه السلام الى التحلي بصفة الواقعية والصدق فلا نحمل العلم للدعاية والاعلام ليقال أننا على علم وإنما نحمله للاستفادة الشخصية والتحلّي به لينعكس بالتالي على تصرفاتنا وتمتزج الفكرة بحيث تنطلق من حيث الصدق لتكون مؤثرة، لها رونقها وجاذبيتها.

وقد بيّن عليه السلام هذه النصيحة عن طريق الموازنة بين الأشياء ومن المعلوم أن الجميع يرغب في الأحسن ويبتعد عن الأسوء -على الغالب-. وعسى ان نتأثر بقوله عليه السلام فنقتلع جذور: الرياء، النفاق، المباهاة الممقوتة، المجاملة الكاذبة... من المجتمع لنكون صادقين وبالتالي مصدَّقين.

ولا بُدَّ من الانتباه الى أن المقصود بالعلم ما كان منجياً ومستعملاً في طاعة الرحمن تعالى، وأما ما كان مستعملاً بخلاف ذلك فهو من العلم الممقوت.

٤٥- قال عليه السلام :

أولُّ عوض الحليم من حلمه(١) أنَّ الناسَ أنصارُه على الجاهل.

دعوة كريمة ونصيحة ثمينة تدل على حرص أكيد على مستقبل بني الانسان. فان من المعلوم تركّب الانسان من قوى متضادة بحيث تسيطر على افعالِهِ، وتصرفاتُه تكون منبعثةً عنها، منها القوة الغضبية الناشئة من استحكام السَّبُعِيّة وتغلّبها فيصير الانسان شبيهاً بالسباع في حب الانتقام والتغلب على المعتدي.

فاذا تمكن الانسان من ان يتوازن فيتحكم في درجة تلك القوة لينخفض لديه معدل الخسارة الى ادنى نسبة ممكنة فيتغلب على نفسه ويتغاضى فيسامح ويغفر ولا يعيش السلبية المطلقة مع الطرف المعتدي -فاذا أمكنه ذلك- صار حليماً، وشرط الحلم ان يكون العفو من موقع القدرة وقاعدة القوة لا من الضعف وعدم امكان المواجهة.

فماذا تحلّم الانسان فماذا سيحصل؟ بعد انْ ذهب حقه وهُدرت كرامته... الجواب: ان الناس المعايشين للحالة سيتولون تلقائياً الدفاع عن الحليم ومقاضاة المعتدي باسلوبهم الخاص ولو باللوم والتأنيب، وقد ينتج ذلك أن يأتي المعتدي معتذراً معترفاً بتقصيره.

ويكفينا لو حاولنا التحلّم ان نكون في موقع الوعي والقوة، ويكون الآخر جاهلاً.

وهذا منطق العقل الذي يجب ان يحكم الامور اذا أردنا لأنفسنا وللآخرين العيش بسلام.

---

(١) الحلم لغة :ضد الطيش، الصبر والاناة والسكون مع القدرة والقوة والعقل. المنجد ص١٥٠ مادة(حلم).

وينبغي لمتبعي الإمام عليه السلام ان لا يفكروا في لحظة ما ان ذلك من موقع التخاذل وعدم القوة، فعليٌّ قوي ويتعلم منه الناسُ القوةَ وما عرف التخاذل منذ خلقه الله، لكنه منطق الحكمة ولسان السياسة الاجتماعية التي توفر الامان للرعية الذين يشعر ازاءهم بالمسؤ لية.

٤٦– قال الطَّيِّلاِ :

أهلُ الدنيا كركبٍ يُسارُ بهم وهم نيام.

الدعوة الى التيقظ وعدم الركون التام للدنيا والاغترار بها فانها زائلة فانية لم تخلق إلاّ كمرحلة موقتة يُختبر فيها الانسان ليسعى ويحصّل ما ينفعه في الدار الآخرة الباقية فهي محطة توقف يتزوّد منها الانسان من الخيرات التي تنفعه بعدئذ وقت فقره وفاقته.

وتنقضي ايامه فيها وهو لايشعر فلابد من الاهتمام بمستقبله لئلا يُغْلَبْ وتفوت الفرصة إذ لامجال للرجوع.

فهذه الدعوة لأجل التنبه لئلا يُستغفل الانسان العاقل فيخرج الامر عن يده بالموت وقد مثّل عليه السلام حال أهل الدنيا بالمسافرين النائمين في واسطة نقل تقطع بهم المسافات الكبيرة من دون أن يشعروا، وعدمُ شعورهم لا يبرر شيئاً ولا يغّير من الواقع شيئاً لأن الواسطة تسير وتقطع المسافة وتتحول من منطقة الى اخرى.

ومن هنا جاء تشبيه حال الانسان في الدنيا بمَنْ ركب واسطة نقل ليصل الى محطة اخرى فسارت به وهو نائم، فحتماً ستنقضي المسافة وينتقل عن المكان الاول بمجرد مرور الواسطة، ولا دخل لكونه غير ملتفت لذلك. فالحث على التزود بما ينفع عند لقاء الله تعالى وعدم الغفلة عن الحالة الموعودة، المرتقبة، والتي يتعرض لها كافة الخلق وهي انقضاء الدنيا وبقاء الآخرة.

ومن المعلوم ان كل احد يأخذ نصيبه من الجزاء المناسب لأعماله، فعلى الانسان ان لا يقّصر في هذا الجانب فيخسر يوم القيامة فيكون قد حكم على نفسه بالخسارة الابدية.

٤٧ – قال عليه السلام :

الايمانُ أن تُؤثرَ[1] الصدقَ حيثُ يضرك على الكذب حيث ينفعك، وأنْ لايكون في حديثك فضلٌ[2] عن عملك، وأن تتقي[3] الله في حديث غيرك.

يصوّر الإمام عليه السلام الايمان وهو قائم على ثلاث ركائز

الاولى: الصدق.

الثانية: مطابقة القول للعمل، والواقعية.

الثالثة: تقوى الله وخوفه في الغير.

وهذه الركائز الثلاث اسس مهمة لبناء شخصية الانسان المسلم بالمعنى الصحيح. لأن الكثير ممن ينطق الشهادتين يتساهل في تطبيق ما يفرضان عليه من التزامات.

فالله ورسوله يحثان على الصدق وتجنب الكذب وتبديل الواقع وتزوير الحقيقة مهما كان الموقف، وان دلّ هذا على شيء فانما يدّل على ضرورة الصدق في استقامة حياة المسلم وإلاّ لتعثرت بالباطل الذي تكون الخسارة فيه اعظم من الربح المنظور.

---

(١) أي تختار.

(٢) الفَضْل: الزيادة. المنجد ص٥٨٧ مادة (فضل).

(٣) أي تخشى وتخاف وتحذر. لاحظ المنجد ص٩١٥ مادة (وقي).

وكذلك يحثان على عدم التخلف عما يرفعه المسلم من شعارات بل عليه ان يطبق ذلك ان كان مؤمناً بجدواه وواثقاً من تأثيره الايجابي. فالتوافق بين الحديث والتطبيق أمر هام للغاية و إلاّ لأختل ميزان حياة المسلم فلا يستطيع ان يفعل شيئاً أو يحقق هدفاً كان يصبو الى تحقيقه لأن المشكلة تكمن في عدم صدق و عدم واقعية المتكلم فلا يدري الانسان بأنه في أي اتجاه يسير و أيّ شيء يصدّق القول، أم الفعل؟ فهذا التذبذب في المواقف وعدم الانتظام يخلق حالة من التوتر والتسيّب لا تضيف شيئاً سوى المشاكل.

وكذلك يحثان على الدقة في اداء الحديث وعدم الإضافة فيه مما يضر بالغير وان ينصفه فلا يبخسه حقه. فقد يتصرف الانسان -الناقل- فيما سمعه وتترتب على ذلك المشاكل أو يكون في حالة يسعه أن يتكلم بما شاء عن الغير ولكن يترتب على ذلك تلويث السمعة أو الخسارة بأي نحو كانت . فلابد من التقوى سواء في اجتناب الكذب أو في اجتناب تخلّف القول عن العمل أو في النقل عن الغير إن كان بصورة التحدث عن شخصيته أو نقل حديثه وهذا تحديد دقيق لهوية الايمان يلزمنا الالتزام التّام به.

﴿حرف الباء﴾

٤٨– قال عليه السلام :

بئس[1] الزاد الى المعاد[2] العدوان[3] على العباد.

الدعوة الى الابتعاد عن الظلم والتعدي على حقوق الغير، وان ذلك من ادنى وأخس ما يحمله العبد في سفره الى الآخرة عند مساءلته امام جبّار السموات والارض.

ففيها تزهيد للإنسان لئلا يظلم، وذم للظلم بكافة صوره ومجالاته والظروف المبررة له. وتتضمن –طبعاً– الدعوة الى التعامل بالميزان الحق وعدم بخس الغير حقه لئلا يكون معتدياً فيكون قد تزّود بالعدوان والظلم الصُرَاح للعباد فلابد لنا ان تتسامى ارواحنا ولا نقابل مَنْ ظلم بالظلم حتى لا نساويه وانما علينا استنقاذ الحق –واثبات الوجود– من دون اللجوء الى اساليب التعنت والتعدي.

٤٩– قال عليه السلام :

البخلُ جامعٌ لمساوئ[4] العيوب، وهو زمامٌ[5] يُقاد به الى كل سوء.

الدعوة الى تعويد الانسان نفسه على التّرفع عن البخل لأنه حالة مذمومة وسيئة التأثير لأن الامساك والشح عن الانفاق والصرف يوّلد:

(١) الحرص على جمع المال، والتقتير في الصرف على النفس أو العيال.

---

(١) بئس :فعل ماض جامد يستعمل للذم.

(٢) المعاد :الآخرة. المنجد ص٥٣٦ مادة (عود).

(٣) العدوان :الظلم الصراح. المنجد ص٤٩٣ مادة (عدا).

(٤) المساوئ جمع المَساءَة: القبيح من الفعل أو القول. المنجد ص٣٦١ مادة (ساء).

(٥) الزِمَام: المِقْوَد. المنجد ص٣٠٥ مادة (زمّ).

(٢) والتجري على التسامح في اخراج الحق الشرعي المترتب بحسب نوعية المال.

(٣) والظهور بمظهر البائس المُعْدَم فكأنه يشكو ربَّه الى الناس بينما قد تفضل تعالى عليه بما يرفع عنه هذه الضائقة المصطنعة.

(٤) والتكلم على الآخرين بالباطل واتهامهم بالاتلاف والاسراف وعدم العقلانية في التصرف.

(٥) والحسد.

(٦) والحقد.

(٧) والتفتيش وراء الناس بما لا يُحبُّوا ان يعلمه أحد من صرف وإنفاق، و...، و...

فالامساك والشح بجمعهما لهذه الخصال وغيرها صارا مجمعاً لقبائح الافعال والاقوال التي هي مساوئ العيوب، ولأبدَّ من التمعن عند قوله عليه السلام (مساوئ العيوب) فإنه أتى بالمضاف و المضاف اليه مع ان العيوب لوحدها منقصة يبتعد عنها العاقل المتدين فكيف اذا كان العيب سيئاً الى هذه الدرجة لأن غالب بني الانسان متصف بعيب -وهو لغة (النقيصة)[1] -سواء في الخَلْق والمظهر الخارجي أو الاخلاق والطبايع ولكن مع تفاوت في درجات العيب فقد تتضاءل نسبة العيب في حالةٍ بينما تتركز في حالةٍ أخرى فتكون عندئذ من مساوئ العيوب كما في البخل.

ثم اضاف عليه السلام وصفاً آخراً للبخل لنبتعد عنه ونتعوّد الترفع عنه والاحتراز منه وهو ان البخل يقود صاحبه الى السوء. ولذا نجد البخيل مذموماً اجتماعياً بدءاً من بيته ومروراً بالمحيط القريب له وأنتهاءاً بمن يعرف عنه هذه الخصلة ولو بعيداً عنه.

---

(١) المنجد. ص٥٤٠ مادة (عيب).

وأيضاً نجده مُحتقَراً ومنبوذاً ومُستهزَءاً به ومُهاناً -في اغلب الحالات إلاّ اذا كان عنوانه الاجتماعي يحفظه مؤقتاً وإلاّ فهو في معرض الاهانة في غيابه- ولا يُرتاح الى وجوده، ولا يُقدّر، ولا يُصغى لقوله لأنه متهم فيه بأنه تحت تأثير البخل.

هذا كميزان عام وان وجدت استثناءات فهي موقوتة ومحدودة جداً لوجود الحالة الاجتماعية المعّينة وإلاّ فالناس عموماً لا يرتاحون للبخيل ويذمونه ولا ينفتحون عليه مهما كان قدره إلاّ بمقدار الضرورة التي يحتمها -التنافق الاجتماعي- والمجاملات العرفية.

٥٠- قال عليه السلام:

البخلُ عارٌ، والجُبنُ منقصةٌ، والفقرُ يُخرسُ الفَطِنَ[١] عن حجتِهِ (حاجته خ)، والمُقِلُّ[٢] غريبٌ في بلدتِهِ، والعَجزُ[٣] آفةٌ[٤]، والصبرُ شجاعةٌ، والزهدُ ثروةٌ، والورعُ جُنّةٌ[٥].

قد حوت هذه الحكمة مجموعة من التوجيهات المهمة والتي تثمر بمجموعها شخصيةً متوازنةً للانسان في اطار المجتمع، فيحسن ان نتسلسل في شرحها والاستظهار منها على شكل نقاط :

١- تقدم في الحكمة السابقة بيان ان البخل جامع لمساوئ العيوب ويؤدي الى كل سوء مما يوجب التخلي عنه لو أبتلي به الانسان، أو الابتعاد عنه ابتداءاً.

---

(١) الفَطِنُ: صاحب الفِطنَة وهي الحذق والفهم. المنجد ص٥٨٨ مادة (فطن).

(٢) المُقِلّ: الفقير وفيه بقيّة. المنجد ص٦٤٨ مادة (قلّ).

(٣) العَجز: الضعف. القاموس ج٢ ص١٨٠.

(٤) الآفة: العاهة أو عَرَضٌ مفسدٌ لما اصابهُ. القاموس ج٣ ص١٢٠.

(٥) الجُنّة: كلُّ ما وَقَى. القاموس ج٤ ص٢١٠.

٢–الجبن :ضد الشجاعة ومن المعلوم ان القدرة على المواجهة والمدافعة ومغالبة النفس في حبّ السلامة من صفات الكمال للانسان، بينما نجد ان العكس بالعكس أي ان ضعف النفس وخورها والخوف والهلع من صفات النقص والذم للانسان لأن الكامل عليه ان يتحلى بالقدرة على مواجهة الازمات والتغلب عليها والتجاوز عنها الى مرحلة السلامة والنجاة.

فالإمام عليه السلام يحذِّر من الجبن لأنه مما يُنتقص به الانسان فلا بُدَّ من التخلي عنه والتحلي بالشجاعة والمواجهة لتكتمل شخصية الانسان.

٣– من الامور التي يهرب منها الانسان في حياته حالة (الفقر) لأنه من المصائب العظيمة التي تترك اثاراً سلبية كثيرة ومنها ان الانسان الذي له القدرة الكاملة على فهم الامور بالشكل الصحيح والسريع والمباشر– فهو يتصف بالكمال من حيث الفهم– لكنه إذا شعر بفقره فلا يكون قوي الحجة، واضح البيان بل يتلكأ ويتعثر ويتلعثم فكأن الفقر يكون حاجزاً دون افصاحِهِ عما يريد. هذا على نسخة (حجته) وأما على النسخة الأخرى (حاجته) فهو يخرس ويقف موقف المتحيّر لو اصابه الفقر لشعوره بالحرج من الداخل فلا يمكن ابداء حاجته ولا السيطرة على وضعه المالي ولذا يعيش الضنك والفاقة بشكل يدعو للشفقة خصوصاً اذا كان ممن يتحلى بصفات كريمة سواء كانت علمية أو عملية فالوطأة عليه اثقل والخجل من ابداء الحاجة اشد ولعل من الممكن ان نستظهر دعوة الإمام عليه السلام الى احترام صاحب الفهم والفطنة وعدم الازدراء به لعدم امكانيته على تأدية مراده، وايضاً الى رعاية حال الفقراء ومعاونتهم على مجاوزة المحنة.

٤– ثم أردف عليه السلام الجملة السابقة (الفقر يُخرس الفَطِن عن حجته "حاجته خ") بقوله (المُقِلُّ غريب في بلدته) للتأكيد على الاهتمام بشأن

مشكلة الفقر وانه مما يتساوى فيه الجميع، وانه لا(تأمين) ضده، ولا يتعالى عنه أحد مهما كان مركزه الاجتماعي، الاقتصادي، الديني ...

فاذاً كان كذلك فمن الضروري جداً ان يتعاون الانسان الميسور الحال مع أخيه الانسان الذي أَقَلَّ -بمعنى اشرف على اعلان الفقر التام والاحتياج لكنه في وقته الحاضر لديه بعض الشيء - والدعوة لمساعدته ومعونته لرفع وحشة الغربة عنه ولو كان في بلده لأن المال يحيط الانسان بما يرفع الوحشة، ويهيئ له مَنْ يصحبه ولو لماله، وهذا أمر مهم يعاني منه الكثير، فلابد ان لانستوحش من فقير أو مشرف على الفقر أو نبتعد عنه أو نقلل من احترامنا له واهتمامنا به. لأن المال ليس كل شئ في الحياة ولا يعني شيئاً كبيراً سوى انه معونة الله تعالى لعباده في الدنيا لتمشية أمور معاشهم وحياتهم، فبقاؤه غير أكيد، ووجوده محتمل غير متيقن، فلا بد ان لا يُعتمد عليه وان لا يُجعل حاجزاً بين الانسان وأخيه الانسان لأنه سرعان ما يزول فيتمنى الانسان -العاقل- أنْ لو لم يكن قد وضعه بينه وبين أخيه الانسان.

٥- ان الشعور بعدم القدرة على شئ -أياً كان- يتعب الانسان نفسياً وربما جسدياً ولذلك عدة مظاهر: كعدم القدرة على التعلم أو الغنى أو الارتقاء الى مستوى اعلى يحلم به أو الحلول في مكان مّا أو الحصول على اُمنية مّا أو.. أو... مما يثير في الانسان مشاعر المعاناة والتألم الداخلي ولذا أخبر عليه السلام عن أن العجز في أية مرحلة من مراحله وأي مستوى من مستوياته وفي أي ظرف يقع، يعتبر مفسداً لما اصابه وآفة تنذر بالخطر لأنها تستولي عليه في يوم مّا وتقضي عليه.

فالدعوة اذن الى التحلي بروح الانفتاح ومحاولة التشبث والاعادة وعدم الاكتفاء بالمرة حتى لا تحصل حالة تسمى بالعجز فانه اذا عرف الانسان

نفسه بانه عاجز عن شئ فان شعوره هذا كفيل بالحيلولة دونه ودون المواصلة في الحياة.

فلا بُدَّ من المواصلة وعدم الاستسلام لأول الحوادث الحاجزة أو المعرقلات الموضوعة بل على المؤمن ان يتسم بروحٍ تفاؤلية عالية توصله الى مطلوبه المشروع -طبعاً- وان طال الزمان لئلا يتحقق العجز فيصاب بالآفة.

٦- لاشك ان الانسان معرّضٌ للابتلاء وحلول المصائب به فهو والحالة هذه إما أن يستسلم وينهار كما هو حال الضعيف، أو يواجه المشكلة باحثاً عن حلها ويتجلد ولايشكو مما أُبتلي به ليكون بذلك شجاعاً لأن روح المقاومة وعدم الاستسلام للمصائب تعتبر روحاً عالية لا تقل في أهمية الاتصاف بها عن تلك الروح العالية (القتالية) لأن الانسان يكون في كلتا الحالتين قد تعرض لضغطٍ حاد وحاوَلَ التخلص من وطأته والنجاة بأقل الخسائر.

فالدعوة للتحلي بصفة الشجاعة عبر مواجهة الطوارئ والتجلد امامها وعدم الاهتمام البالغ (المميت) بها أو بث الاحزان والشكوى مما اصاب من خلال تلكم الطوارئ لئلا يُوَاجَه من قبل الآخرين بالرفض أو الاشمئزاز فانها حالة خاصة، لا يتسع صدر كل أحد لتحمل بعض اعبائها ولو الكلامية من خلال الشكوى...

٧-اذا عرفنا ان اللغة تحدد الزهد بانه (الاعراض عن الشئ احتقاراً له)[1] عرفنا ان الزاهد ثريٌ غنيٌ بما سيطر على نفسه وهواه فلم يذل لأحد لأجل الحصول على شئ.

---

(١) المنجد. ص٣٠٨ مادة (زهد).

وعرفنا ايضاً ان الزاهد مترفع عما في ايدي الناس لاتجاهِهِ خَطّاً غير ما سلكوه من خط التلهف وراء الاشياء المادية والاستماتة في سبيل الحصول عليها.

وعرفنا ايضاً ان الزاهد له رصيد دائم لا ينضب في يوم مّا ولا تعرض عليه عوارض النفاد والاستهلاك لأن رصيده يستمّد من ايمانه وثقته بان الدنيا وما فيها لله تعالى وبأن الدنيا وما فيها زائل وأن مَنْ يحوي شيئاً مادياً لابد ان يفارقه في يوم مّا فهذا الايمان العميق بالفكرة يجعله يتخفف من كثير مما يتمسك باهدابه الآخرون بل ويستميتون في ذلك.

فاذا كان المقصود للناس التغلب على صعاب الدنيا بالمال وبالكمية الكثيرة منه ليطمئنوا الى حفظ مستقبلهم فالزاهد قد حفظ مستقبله بالاستعانة با لله والتوكل عليه وتدبير شؤ نه الدنيوية بما لا تتوقف معه العجلة من دون طلب المزيد الذي يذهب وتبقى تبعته.

فحقاً ان الزاهد بحصوله على هذه السيطرة النفسية العظيمة ثريٌّ لايحتاج الى معونة أحد.

٨- إن الورع يحصل للانسان اذا اجتنب المعاصي والشبهات وبذلك يكون قد احاطت به سُترة واقية من العَوادي والآفات التي يحتمي منها الانسان غالباً، المرض، الفقر، عدم الاستقرار، الفشل في الحياة بانواعه، عدم المصداقية والموضوعية بين افراد طبقته،لأن المعاصي أو الأمور المشتبهه -التي تكون في خطٍ بين الوضوح والغموض فلا يجزم بأنها نقية- اذا ابتعد عنها الانسان سوف يتخلص من (عُقَدْ) ومزالق ومطبّات ومشاكل يتعرض لها غيره كثيراً نتيجة عدم التورّع والاجتناب بحيث يصلح هذا ان يكون خطاً تقاس عليه الأمور كما دلّت التجربة عليه واكدته الروايات. فالدعوة في هذه الحكمة الى التخلي عن البخل وعن الجبن وعن حالة الهلع وعدم المواجهة وعن الاقتحام في الشبهات

وعن عدم التورّع وهي دعوة في ذات الوقت الى التحلي بالسماحة والقوة والصبر والزهد في ماحَرّم الله والتورع عما فيه شبهه فضلاً عن الحرام. لتكتمل بالتالي شخصية الانسان متوازنة قوية.

٥١- قال (عليه السلام) :

بَقيّةُ السيفِ ابقى عدداً وأكثر ولداً.

إن من العادات السيئة لدى بعض الناس ازدراء الآخرين وعدم الاهتمام بهم لبعض الامور التي لاتشكّل بمجموعها مصدر اهتمام أو اهمية وانما تعود الى الشكلية والمظاهر اكثر منها الى الواقعية.

ومنها استفراد الشخص اذا كان وحيداً أو قليل العدد على اساسٍ من عصبية القبليات الممقوتة المذمومة من: ان الأكثر هم الاقوى، وهذا امر -وللاسف- يتحكم في الكثير فيكون عاملاً مهماً عندهم في التقييم والاحترام أو العكس،بينما نجد الإمام عليه السلام يؤكد انه ليس امراً اساسياً، فلا يصلح لأن يحكم علاقات الانسان في مجتمعه بل لا بُدَّ من ملاحظة صفات اخرى اذا توفرت أمكن تقييم المقابل من خلالها ولو كان قليل العدد أو وحيداً منفرداً. وكان توجيهه من خلال هذه الحكمة - التي استبهم امرها على كثير- متماشياً والسائد في عصره من كثرة الحروب بين القبائل فعبّر عن ذلك بما يفهمه عامة اهل العصر من انه اذا وقعت حرب بين جماعة و قُتِلَ بعضُهم مع متعلقيه و بقي فردٌ واحد يمتُّ اليه بصلة يكون وجوده نافعاً في إبقاء الاسم والحماية والاخذ بالثأر والتذكير بالراحلين ومحاولة تعديد الأولاد حتى يشكّل جبهة مقاومة ضد القاتل وجماعته. اذن ما ابقاه السيف وَفَلَتَ منه كان حضوره مشهوداً وفعّاليته اكثر من الجماعة اذ صدور هذه المهمات من الجماعة غير مستغرب بينما هي من الواحد أغرب.فيمكن استظهار الدعوة الى احترام الآخرين وعدم الاستهانة

بأحد بسبب وحدته أو قلة عدد مَنْ معه فان العدد لايشكل مصدر القوة دائماً بل تتحقق بالعدد القليل ايضاً وتكون البركة في ذلك العدد القليل أو الفرد الواحد.

وجاء الحث على نبذ هذه العادة القَبلية ليعيش الانسان بما يقدمه وبما يبذله وبتضحيته لا بكثرة عدده وعشيرته ولنتخفف من هذه التحكّمات الفارغة التي لا تقوم على اساس التقى والدين.

٥٢– قال عليه السلام :

بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالنَصَفَة يكثر المواصلون، وبالإفضال تعظُم الاقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وباحتمال المؤن يجبُ السؤدد، وبالسيرة العادلة يُقهرُ المناوي، وبالحلم عن السفيه تكثر الانصار عليه.

الدعوة الى التحلي بصفات ...

١– الصمت: السكوت وهو ضروري في كثير من الحالات الاجتماعية والعكس يسبّب –احياناً–آلاماً ومشاكل للمتكلم أو للغير.

وهو منجاة من الخَطَرْ، اذ كثيراً ما يقع الانسان في ورطةٍ نتيجة تكلمه.

وهو موجب لقلة الخطأ لان كثرة الكلام قد تستجر للخطأ.

وهو مما يساعد على إضفاء الوقار والهيبة على الصامت فيقلّل من حالات التعدي عليه ولا يُقْتَحَمْ بسهولة فينجو صاحبه من كثير من حالات الاذى والشر.

٢– النَصَفَة: الانصاف والعدل[١] وهو مطلب عام يبحث عنه الجميع ولو لم يمارسوه من موقع التنفيذ إلاّ انه محبّب للنفوس عموماً فاذا تحلّى الانسان

(١) المنجد. ص٨١٢ مادة (نصف).

بذلك كَثُرَ مَنْ يوادّه ويواصله رغبة في سيرته وترجيحاً له على غيره لهذه الصفة المهمة التي تسيطر على النفوس.

فالدعوة الى الانصاف والعدل لأنه يحقق الامان والاستقرار ويقيم أمر الله تعالى في الارض وعندئذ تقّل فرص وقوع الظلم المقيت.

٣- الافضال: (الاحسان المتعدي الى الغير)[١] والاقدار: جمع القَدْر: (الحرمة والوقار، الشأن)[٢] الاحسان يحتل موقعاً مهما في القلوب فبِهِ تتأكد المحبة وتتجذر المودة ويعلو شأن الانسان المحسن ويكثر محبّوه وموقروه، لأن كل أحد يرغب في التكريم وايصال النفع اليه ولو كان مستغنياً عنه لأن النفس قد فُطِرَتْ على حب مَنْ احسن اليها اذ يجد الانسان ان المحسن محبٌ له وصادق في محبته ولذا اوصل اليه الاحسان.واذا ساد هذا الجو فستعم الصلة بين الانسان وأخيه الانسان مهما كان المقابل في مستوياته المختلفة: الاجتماعية، العلمية،الاقتصادية، المذهبية ...لأن مفتاح القلوب -السوّية- هو الاحسان فالدعوة منه عليه السلام الى الاحسان الى الغير ليعم الاستقرار وانفتاح البعض على البعض الآخر. ويكون كلٌ من فاعل الاحسان ومتلقيه منتفعاً فان الفاعل للاحسان يزداد احترامه وتوقيره ويعلو شأنه وحظه بين الناس. وكذلك الواصل اليه الاحسان ينتفع بوصول الاحسان فيسد حاجته بذلك سواء كان الاحسان مادياً ام معنوياً.

٤- التواضع: (ضد التكبر) فهو صفة مطلوبة محبوبة تساعد على تكوين الشخصية الاجتماعية لأن تعويد النفس على احترام الآخرين وتوقيرهم والتعامل معهم بطيب يؤثر أثراً بالغاً في نفوسهم فيتعلقون بالمتواضع تعلقاً نفسياً

---

(١) مجمع البحرين. ج٥ ص٤٤٣.

(٢) المنجد. ص٦١٢ مادة (قدر).

عجيباً لأنه وصل الى قلوبهم بالتقدير والتوقير وهذان امران يطلبهما كل أحد حتى الصغير أو الوضيع اجتماعياً.

فالدعوة للتواضع باعتباره عاملاً مهماً للكسب الاخلاقي في المجتمع وعنصراً مهماً في التأثير على القلوب وجعلها في صف المتواضع فيكثر الاصدقاء والمعاونون. وبهذا الخُلق الفاضل يعرف الانسان انه محل عناية الله تعالى وفضله اذ العمل بما يحب الله تعالى يدل على رضاه وانعامه على العبد.

٥- المؤن جمع المؤنة: (القوت، الشدة والثقل)[١]، السؤدد (كَرَم المنصب، السيادة، القَدْر الرفيع)[٢] اذا خفف الانسان من اثقال غيره اوجب ذلك ان يعترف له بالجميل وحسن الصنيع ويكون محلاً للثقة والاحترام والمتابعة. لأن أيَّ شيء يفعله الانسان من شأنه مساعدة الآخرين يترك اثراً طيباً في نفوسهم ويكون سيدهم بلا منازع لأنه قدّم لهم يد المعونة والمساعدة في ظرفهم الخاص،فالدعوة الى ان يتحلى الانسان بهذا الخُلق مع ما فيه من التعب الجسمي أو النفسي -أحياناً- إلاّ انه يُكثّر الاصدقاء والمحبين ويُعلي قدر صاحبه ويرتفع به حتى يجعله مسموع الكلمة بلا منازع وفي هذا عزة اجتماعية وكرامة ينشدها الانسان للرفعة في الدنيا والآخرة.

٦- التعامل الطيب والسيرة الحسنة يكسب الانسان اخواناً واعواناً ومحبين فيكونوا معه على عدوه، ويستطيع تحقيق أمانيه، ومما لايخلو منه أحد - من الناجحين في الحياة- هو وجود المناوئ وهو المفاخر المعادي[٣] فلدفع عاديّة المعادي ينبغي للانسان ان يتعامل ايجابياً مع غيره ليكثر انصاره عند الحاجة.

(١) المنجد. ص٧٤٥ مادة (مأن).

(٢) المنجد. ص١٧٦١ مادة (ساد).

(٣) المنجد. ص٨٤٤ مادة (نوأ).

٧- تقدم في شرح الحكمة (٤٥) "اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل" بيان أهمية التغاضي عن اساءة الآخرين والسيطرة على الغضب وعدم انزال العقوبة مع القدرة التامة عليها حتى يكون الناس هم الكافين اذى المعتدي. مضافاً ان الانسان اذا اراد ان يصّد اعتداء كل أحد فعليه ان يتنازل عن منزلته الاجتماعية الاخلاقية ويكون في مستوى المعتدي الجاهل ليرد عليه، فالدعوة الى الاغضاء عنه والعفو عن اسائته ولعل الله تعالى يبارك في خطوته هذه فيكسب الجاهل الى صفه فيكون قد أنقذ جاهلاً من الضلالة.

﴿حرف التاء﴾

٥٣- قال (عليه السلام) :

تذلُّ الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير.

يحاول الانسان أن يتحفظ على سلامته بمختلف الاساليب الواقية، وهو بهذا يتجاوب مع نداء غريزي يجده كل انسان من نفسه للسيطرة على منافذ الخطر اليه، ولكن الإمام عليه السلام أراد ان ينبه الى وجوب ان يعتقد الانسان بان الله تعالى بيده كل شيء فاذا أراد شيئاً لا يدفعه ايُّ اسلوب وقائي دفاعي مهما كان متطوراً.

إذن فلا بُدَّ من التسليم لتقدير الله تعالى والاعتراف بعظيم قدرته والاذعان بانه النافع الضار وبأنه لايصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا. نعم من الامور التي يأمر بها العقل هو إيجاد الوسائل الوقائية المناسبة لكن بشرط أن لايأمنها الانسان مطلقاً على اساسٍ من الانقياد لقوة السيطرة والتحكم فيها بل يتعامل مع الموضوع على اساس انه يفعل ما يناسبه كمخلوق ويعترف لخالقه تعالى

بالقدرة. وان ما أتخذه من اجراءات الأمن والحماية لا تقي دون أمر الله، بل اذا اراد الله تعالى امراً كانت نهاية الانسان عن طريق ما أعدّه من وسائل وقائية لحمايته، كما هو مُشاهد بان يكون السلاح الذي أعدّه الانسان لحمايته هو الذي يقضي عليه، وكذلك الدواء أو غيره مما يتعامل معه الانسان في حياته مما تكون نهايته فيه وإنْ دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن الله تعالى وحده القادر على حفظ حياة المخلوق دون سواه.

٥٤- قال عليه السلام:

تركُ الذنبِ أهون مِنْ طلبِ التوبة.

معادلة صحيحة بكل المقاييس، يرشدنا الإمام عليه السلام الى أن نتذكرها دائماً في تعاملنا اليومي لأن الانسان يذنب ويستغفر، ويتجاوز ويطلب السماح، ويخطئ ويعتذر ...

فالدعوة الى حفظ كيان الانسان وكرامته بأن لايتجاوز الحدود المسموح بها خصوصاً وأن الانسان لا يتحمل أيَّ عبء اذا ترك شيئاً لكنه بطبيعة الحال يتحمل اعباءً ثقيلة اذا صدر منه أيُّ شئ لأنه يفكر في طريقة طلب العفو، وفي الوقت المناسب، وفي الحالة اللائقة، وفي قبول الاستغفار والاعتذار أو عدم قبوله و ...

كل ذلك اذا صدر الذنب أو تجاوز الانسان حدوده سواء مع ربه، أو مع أخيه الانسان. لأن الإمام عليه السلام يعلّمنا من خلال تعاملنا مع الخالق تعالى كيفية التعامل مع المخلوق الذي يصعب التعامل معه كثيراً لتركيبه من اهواء وحالات انفعالية غير محدودة مما يجعل طريق التعامل معه شاقاً، بينما نجد ان الخالق تعالى هو ولي العفو والقادر عليه وكل المخلوقين يطمع في رحمته وعفوه.

ومن الواضح ان الانسان لو استقام و لم يذنب و لم يتجاوز في خط تعامله مع ربه تعالى أو أخيه الإنسان، لَما ذلّ، ولَما احتاج الى الاعتذار. لأن كثيراً من هذه الحالات انما هو خذلان الله للعاصين والتخلية بينهم وبين انفسهم التي لا يستطيعون لها تدبيراً من دون رعاية الله تعالى.

٥٥- قال (عليه السلام) :

التُقى رئيسُ الاخلاق.

الدعوة الى مخافة الله تعالى ومراقبته والعمل بطاعته واجتناب معاصيه ونواهيه لأن ذلك كفيل بتعويد الانسان على محاسن الاخلاق وتمرسه في ذلك بحيث يمدحه كل أحد ويكون مأمون الجانب محبوباً.

بعكس مَنْ لم يتصف بذلك فالله يبغضه لأنه من المتجرئين عليه بارتكاب المعاصي والناس ايضاً يكرهونه لأنه لا يرتدع عن ايذائهم ومغاضبتهم سواء باللسان أو باليد لأن الانسان إذا نزع منه الخوف من الله ومراقبته تحّول الى مخلوق عادي اجتمعت فيه القوة الغضبية والبهيميه وغيرها فلا يهمه إلاّ اشباع بطنه وغريزته الجنسية والبطش بمن يتعدى عليه بل ومَنْ لايتعدى لإبراز العضلات وإثبات وجوده القوي بين مَنْ حواليه.

فلا بُدَّ للانسان من أن يلتزم جانب التقى ليحفظ نفسه من عذاب النار واساءة الناس.

٥٦- قال عليه السلام :

تكلّموا تُعرفوا، فإنَّ المرء مخبوء[1] تحت لسانِهِ.

أنعم الله تعالى على الانسان بنعمة النطق ليبدي مقاصده وما يريده من مطالب وحوائج لأنه لولا اللسان لما أمكنه الوصول الى اهدافه بالطريقة التي يصل اليها فعلاً، فإنَّ الاشارة أو الكتابة أو الرسم مهما كانت نتيجته لا يقوم بنفس الدور الذي يقوم به اللسان في التعبير عن المراد. واللسان طبعاً بالاشتراك مع التجويف الفموي وجهاز التنفس بكل محتوياتها يؤدي هذه الخدمة الجليلة.

فلا بُدَّ ان يحسن الانسان -العاقل- استخدام ذلك لمصلحته الشخصية ومَنْ حواليه لتعم الفائدة ويتكامل بنو الانسان. فباللسان وما يؤديه من الكلام تُعرف مقدرات الانسان ومستوى عقله فيُقيّم على اساس ذلك لا على اساس الرصيد المالي أو الجاه الاجتماعي أو الملابس والمظاهر الأخرى لأن كل هذا يمكن للانسان ان يتظاهر فيه بما هو غير الواقع، ولكن الكلام انما هو نتيجة مستوى التفكير ومقدار العقل والاستيعاب وتحليل المواقف المواجهة فهو أدق ما يكشف عن شخصية الانسان.

هذا كله في المواقف الطبيعية لا الادوار التي يحتاج الانسان للقيام بها لغاية معينة مع المحافظة التامة على أن لا تخرج به عن الإطار الصحيح للإنسان الملتزم.

---

(١) أي مستور ومخفي.

٥٧- قال (عليه السلام):

تنزل المعونة على قدر المؤنة.

عندما خلق الله تعالى الانسان تكفّل برزقه وما يحتاجه للبقاء والعيش كانسان، كل ذلك وفق حاجته من دون ما تقتير أو تبذير لأنه تعالى اعلم بما يُصلح عبده وبما يحتاجه العبد، فيسعفه بالنجدة المطلوبة وقت الحاجة. ولذلك عدة طرق ووسائل تُعِينُ العبد على انجاز مهماته وقضاء لوازمه.

فالدعوة الى التوكل على الله والقناعة بما يقسمه لعبده والاطمئنان لضمانه تعالى.

فحبذا لو قنع الانسان بالذي يكفيه من دون ما زيادة لأنها تشقيه دنياً وآخرة ويبقى مُحاسباً عنها مع ان غيره يهنأ بها.

ويحتاج الانسان الى التمرن لكي يقتنع بان الله تعالى قسّم بين العباد ارزاقهم فلا ينقص من أحد شيء إذا كان من حصته، والشواهد على هذا كثيرة جداً، ولكن مع ذلك لا يكون غالب الناس مقتنعين عملياً بذلك ولذا نجد حالات الاعتراض والنقمة أو السرقة ومحاولة الازدياد غير المشروع.

ولله تعالى حكمة لا يدركها الانسان بحسب فهمه المحدود فلا بُدَّ من ان يسعى الانسان لرزقه بالشكل الملائم لوضعه الاجتماعي مع الثقة با لله تعالى، لا بما يبذله من جهد.

وسوف يجد ان الله تعالى يكفيه ما يحتاجه لكن بالاسلوب المناسب والملائم للحكمة الالهية لا بما يشتهيه الانسان ويقترحه من حالات وامدادات.

٥٨- قال عليه السلام :

التوحيدُ: أنْ لاتتوهمه، والعدلُ: أنْ لا تتهمه.

من اصول الدين الاسلامي التي يجب على الانسان ان يعتقد بها اعتقاداً قلبياً راسخاً عن قناعة شخصية لا متابعة لأحد-لمجرد المتابعة- هو ان الله تعالى واحد لا شريك له و لا مثال له و لايصل الى معرفة ذاته المقدسة أحدٌ مهما بلغ في مستواه العلمي.

وان الله تعالى لا يظلم و لا يحتاج الى أن يتعدى على أحد من المخلوقين لأنه الغني وهم الفقراء اليه ولأنه الخالق لهم وهم المخلوقين المحتاجين اليه.

فالدعوة الى أن يوّحد الانسان ربّه و لا يتصور في لحظة مّا أن معه شريكاً، وأن ينزّه الانسان ربّه عن الظلم والتعدي والتجاوز على حق أحد مهما كان.

وبذلك يكون مسلماً موحداً ويبقى عليه أن يحافظ على ذلك عملياً فلا ينخدع باضاليل المضلّلين الذين يبغون جرف الناس للتوجهات المعادية مما ينتج الانحراف وتوهم التجسيم أو الكينونة في مكان مّا كما يفعل عبدة الاصنام الذين يتوهمون تجسيد الأله فيما يعبدون بحيث يتصورون انه هو الأله ولا يكون غيره مما يدخله تحت عنوان المشرك بالله والذي تترتب عليه احكام كثيرة.

كما عليه ان يحافظ على ذلك الانتماء عملياً فلا يترك مجالاً للتشكيكات المطروحة بمختلف الوسائل لاتهام الحكمة الالهية بالظلم والحيف وانزال الغضب بلا موجب ونحو ذلك مما يروج له أو يتصوره بعض الفاشلين في الحياة ممن لم يكافحوا في الحياة أو ممن ظنوا ان الحياة تكون بلا تعب

فيحاولون سدّ النقص الذي يشعرون به ويحسون أثَرَهُ من خلال اتهام الخالق عزّ وجلّ في عدله.

وأجد اننا اليوم احوج ما نكون الى استيعاب هذه الحكمة- كغيرها من الحِكَمْ طبعاً- لما فيها من توجيه عقائدي يسد حاجة فكرية وفراغاً روحياً عند شرائح في المجتمعات الاسلامية وغيرها ممن لم يعوّا النظام الكوني الدقيق بكل مايشير الى عدل الله وحكمته بل ووجوده تعالى مما يقرّبهم الى الصواب ويجنبهم الكفر والعصيان.

﴿حرف الثاء﴾

٥٩- قال (عليه السلام):

ثَمرةُ التفريطِ[١] الندامةُ، وثمرةُ الحزمِ[٢] السلامةُ.

الدعوة الى ان يتعود الانسانُ النظامَ والدقةَ في حياته فيمارس ذلك في كافة مجالات الحياة حتى لا تفوته فرصة قد تنفعه لو كان حَافَظَ عليها.

لأن ممارسة النظام تحفظ الانسان وتقيه كثيراً من المكاره إذ أنّ الخطر يكمن في التقصير والاهمال.

وعلى الانسان ان يعتبر بهذا في كافة المجالات فلا يترك مجالاً الى نفسه ليدبّ اليه حب التقاعس والتماهل بل عليه ان يمارس ما يحتاجه ويوفر ما يريده كلٌ وفق المشروع -طبعاً- فإنه لو قصّر ولم يبادر سوف يندم وقد لا تواتي الفرصة مرة أخرى فتكون الخسارة أكبر بينما إذا ضبط الأمر وكان حازماً في اتخاذ القرار في الوقت المناسب فإنه يحوز ما تمنى ويصل الى الهدف المنشود.

---

(١) التفريط: التضييع والتقصير في الشئ. يلاحظ القاموس ج٢ ص٣٧٧. والمنجد ص٥٧٧. مادة (فَرَطَ).

(٢) الحَزْم: ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة. القاموس ج٤ ص٩٥.

٦٠- قال (عليه السلام):

الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ وحسد.

الدعوة الى التوازن والأخذ بالوسط لئلا ينجرف الانسان وراء مؤثرات العاطفة والاعجاب الشخصي أو الجفاء الشخصي فيخسر المعادلة الصحيحة في تعامله مع الناس فلا بُدَّ من ان يتعلم جيداً كيف يعايش الناس ويُحسن عشرتهم فلا يسترسل ولا يُحْجِمُ وانما يتوازن في عملية الحب والبغض مع ملاحظة القواعد السليمة والمستقيمة في العلاقات الاجتماعية. فيمدح ويثني على مستحق الحمد بلا اسراف لئلا يكون تملقاً وتزلفاً لأن ذلك من اسباب النفور الاجتماعي عن الفرد إذا عُرف بالتملق لأنه يؤشر على تذبذبٍ في شخصيته وتكوينه العاطفي فلا يركن الى اساس مستقر وانما يبغي الفائدة ويحاول الوصول الى الغاية.

كما ويحاول ان لا يبخس أحداً حقه ولو كان مختلفاً معه في بعض النقاط، اذا عرف انه على حق لأن التقصير وعدم الانصاف يؤشر سلباً عن حالة حسد وعدم حب وعدم رغبة في ظهور وتميّز الآخرين. وكلّنا يهرب من التصاق هذه التهمة به فلا بُدَّ لئلا نوصم بالحسد وعدم توفية الآخرين حقوقهم ولئلا نكون متجاوزين متملقين -علينا- ان نأخذ بالمقاييس السليمة في تعاملنا في المجتمع المحيط الذي نحتاج الى ابداء آرائنا فيه فلا بُدَّ من التحفظ لئلا نتجاوز الحد ولا بُدَّ ايضاً من التحفظ لئلا نقصّر عن الحق.

﴿حرف الجيم﴾

٦١- قال (عليه السلام):

الجود حارس الاعراض[١]، والحلم فِدام[٢] السفيه، والعفو زكاة الظفر، والسلو[٣] عوضك ممن غدر، والاستشارة عين الهداية، وقد خاطر مَنْ استغنى برأيه، والصبر يناضل الحَدَثان[٤]، والجزع من اعوان الزمان، واشرف الغنى ترك المُنى[٥]، وكم من عقلٍ أسير تحت هوى أمير، ومن التوفيق حفظ التجربة، والمودة قرابة مستفادة، ولا تأمنن ملولاً.

الدعوة الى الأخذ بمجموعة نصائح تهم كل فرد يريد العيش بسلام ويهدف الى بناء اساس متين في علاقاته الاجتماعية فانه لو التزم هذا الخط المرسوم سيصل الى ما يريده وما يهدف اليه بجدارة واستحقاق ويكون انموذجاً يحتذى ويقتدى به.

النصيحة الاولى: تُبيّن ان الكرم وبذل المال أو الجاه مما يوفر للانسان حصانة تحميه من عاديات الناس -بالقول أو الفعل- لأن الناس بطبيعتهم يحبون

---

(١) الاعراض: جمع العِرْضْ وهو ما يصونه الانسان من نفسه أو سلفه أو مَنْ يلزمه أمره. المنجد ص٤٩٧ مادة(عَرَضَ).

(٢) الفدام: مصفاة صغيرة أو خرقة تُجعل على فم الابريق ليُصفّى بها ما فيه. المنجد ص٥٧٢. مادة (فَدَمَ).

(٣) السُّلُوُّ والسُّلْوْ: نسيان الشيء والذهول عن ذكره. لاحظ المنجد ص٣٤٨. مادة (سلا).

(٤) الحِدْثان و الحَدَثان: نوائب الدهر. لاحظ المنجد ص١٢١. مادة (حَدَثَ).

(٥) المُنى جمع المُنية: (البُغيَة، ما يتمنّى). المنجد ص٧٧٧. مادة (مَنى).

مَنْ اكرمهم ويألفون جانبه وينتصرون له وهذا ما لا ينكره أحد-غالباً-. اذن بذل المال بما يسمى كرماً وجوداً يحرس الانسان ومَنْ يتعلق به.

النصيحة الثانية: تُبيّن ان الاغضاء عن اساءة الغير والتسامح وعدم الرد مع القدرة عليه يمنع الانسان الجاهل عديم الخُلُق من الاعتداء مرة اخرى لأن عدم المقابلة والصفح مع القدرة يعني السيطرة على النفس وضبطها لتمرير الموقف بسلام وبدون خسارة أحد، وينبغي للمؤمن ان لا يعتبر الاغضاء وعدم المجابهة ضعفاً ورضوخاً للمعتدي السفيه وأنه سيكرر الاساءة بل عليه اتباع النصيحة ليكسب بذلك انساناً مغروراً بنفسه فيصلحه.

النصيحة الثالثة: تُبيّن ان الانسان اذا تعرض لحالة مواجهة مع أحد وانتصر عليه وكَسَبَ الجولة وتغلّب عليه، ولم ينكّل به ولم يعاقبه على ما اساء اليه وعفا عن جرمه فان ذلك سينمّي وسيكثّر انتصاراته ويكون النصر حليفه في مواجهاته وهو ما يتمناه كل أحد عندما يدخل في مجابهة مع الآخرين فعليه ان يعفو ليزيد الله تعالى عليه فتوحه وانجازاته لأنه تعالى عفوّ كريم يحب العفو وقد أمر به فاذا رأى ان أحداً من عباده التزم جانب العفو فيعوضه عن ذلك الموقف بالنصر والفتح.

النصيحة الرابعة: تُبيّن ان نسيان نقض العهد وتراجع الاشخاص عن مواقفهم،ومحاولة عدم تذكر ذلك ينفع في حل مشكلةٍ اذا تعمقت في الانسان أُصيب بصدمة نفسية وحالة عصبية قد تقضي على مستقبله -احياناً- مع ان هذا ليس ختام الأمور أو نهاية العالَم بل على الانسان ان يعالج الموقف بالصبر وتناسي كل ما يذكّره بالإساءة ليمكنه مواصلة الحياة، وليكتشف في نفسه قابليات التحمل والتجاوز للمصاعب والقدرة على المواجهة.

اذن فالسلو وعدم التذكر تعويض عن التفكر في الماضي واستجماع الذكريات المحزنة التي تؤجج نار الضغينة في داخل النفس وقد تصل الأمور الى ما لا تحمد عقباه ثأراً للكرامة...

النصيحة الخامسة: تُبيّن ان طلب ابداء الرأي من الآخرين -الذين يأتمنهم الانسان على مصالحه ويثق بمستوى تفكيرهم ورجاحة عقلهم- مما يعبّر عنه بالاستشارة هو أُولى الخطوات نحو الحل الصحيح لما يواجه الانسان من مصاعب، لأن ذلك يعني انه عرف عدم احاطته بكافة الجوانب في القضية المواجهة له مما يحتّم عليه الاستعانة بخبرات الآخرين العارفين ليتجاوز الأمر بلا تقديم خسائر كثيرة.

النصيحة السادسة: تُبيّن ان عدم المبالاة بآراء الناصحين والمخاطرة بالإقدام من دون ما استشارة يعني عدم النضج لأن الانسان -العاقل- انما يُقْدِمْ على الأمر بعد حساب النتائج ولو بالاستعانة بالآخرين الابصر منه في الأمور ممن لهم تجربة في المجال المطلوب.

فاذا لم يعتن أحدٌ بهذا وتركه وراء ظهره يعني انه يرتجل المواقف بلا رويّة ومن دون الرجوع الى عقله بل يتبع عاطفته وما تحكم به مما لا يكون مضموناً دائماً.

النصيحة السابعة: تُبيّن ان الصبر وتحمّل المكاره وعدم الجزع أحسن ما يقاوم به الإنسان نوائب الزمان حتى لا تترك أثراً -بالغ العمق- في نفسه اذ حال الدنيا أن يُبتلى فيها الانسان بل وتكثر عليه المواقف الصعبة فاذا صار يواجه كل حالة بالجزع فحتماً سينهار في النهاية و لايمكنه التوازن في حالات أصعب مما سبق وعند ئذ ما العمل هل يتخلى؟! أم يستعيض بغيره ليتحمل عنه اعباء المشاكل ؟! أم ماذا ؟

فالحل الافضل ان يتشجع ولا يجبن في مواجهة الاحداث، وان يتجرأ فيكون وجهاً لوجه مع المشاكل فلا يترك الاعباء على غيره، وان يتجلد فلا يستسلم للهموم، كل ذلك بعد الاستعانة با لله والوثوق بالنفس بلا غرور.

النصيحة الثامنة: تُبيّن ان الجزع واظهار التأثر والحزن السريع امام المصائب التي تواجه الانسان في الحياة انما يساعد على انهزامية الانسان اضعاف قوته الدفاعية التي يحتاجها في مثل هكذا مواقف فيكون مصدرُ المشاكل متعددَ المنافذ: المشكلة المواجهة،وعدم الصبر،واظهار الجزع... لأن لكل منها اثاراً سلبية إلاّ ان المشكلة الفعلية المواجهه اثارُها مؤقتة بينما آثار الجزع مستمرة الى أمد غير محدود.

فعلى العاقل ألاّ يعين على نفسه بالجزع بل يلجأ الى الله تعالى المغيث، ويتّبع الاسلوب الحكيم في المعالجة والمواجهة. ولا يعتبر -ولو للحظة- أنَّ الجزع يحل مشكلة أو يخفف من وقع ألم ابداً.

النصيحة التاسعة: تُبيّن ان اعلى مراتب الغنى وعدم الحاجة هو ان لا يتمنى الانسان كثيراً وانما يتعود ان يعيش الواقع المحيط به من الناحية الاقتصادية فلا يترك خياله يأخذه الى ما لا يمكنه تحقيقه وعندئذ اما الحسرة أو الحقد أو السرقة أو الاحتيال وما شابه هذه الخصال الذميمة التي تؤثر سلباً على الفرد والمجتمع بصورة سواء.

فالافضل والاجدر بالانسان ان يكون جادّاً (عملياً) أكثر منه تعلقاً بالاوهام (خيالياً) في مجالاتٍ لا يمكنه تحقيقها.

النصيحة العاشرة: تُبيّن لزوم متابعة الانسان عقله وانه اذا ما حصل العكس وتَابَعَ هواه فسيخسر مواقف مهمة.

فان قيمة الانسان -مهما كان- بما يحمله من عقل ومستوىً متقدم في التفكير ومعالجة الأمور بحكمة ورزانة. وهذا يرفعه الى مستوى ارقى مما هو فيه

بينما لو جعل عقله تحت إمرة هواه فكان منقاداً لشيء لا ثبات له وانما يتأثر بما يطرأ عليه من حالات متضادة كالرضا والغضب والحب والبغض والرغبة وعدمها والانفتاح النفسي وعدمه...، فحتماً لا تكون مواقفه متسقة ولا متناسبة مع وضعه وعندئذ يكون بصورة لا تخدمه اكيداً بل لو راجع عقله سيحاول التهرب من تلك المواقف التي املاها عليه هواه وعاطفته ومن المعلوم ان الانسان مركّبٌ من عقل وشهوة فالمدير الموفَق دائماً هو: العقل، والمدير الذي لا تُضمن نتائج ادارته هو: الهوى أو العاطفة مما لا يكون ثابتاً بمقياس محدد وانما يتبدل بتبدل الظروف والحالات.

النصيحة الحادية عشر: تُبيّن ان الانسان الذي يستفيد مما مرّ به من تجارب تحوطه عناية الله تعالى ورعايته وتوفيقه اذ لم يخذله بنسيان المواقف السابقة سواء الايجابية أو السلبية ليتعرف من خلالها على التصرف المناسب في الحالة الراهنة. بينما نجد ان الذي لا يتعظ بما تقدم و لا يعتني بما سلف من مواقف تكفي لحمايته من تكرر مثلها -نجده- خاسراً ملوماً من قبل الآخرين منتقَداً في تصرفاته ومواقفه.

النصيحة الثانية عشر: تُبيّن ان التحبب الى الناس والتقرب منهم بما يكون مضمون الوصول الى قلوبهم وعواطفهم يتيح للانسان فرصة ثمينة يسعى -الانسان- لتحقيقها وهي كثرة الانصار والاعوان والذي يكون-غالباً-بكثرة عدد الاقرباء والارحام ممن يتصل بهم الفرد نَسَبيّاً أو سببياً.

فالفرد الواعي يمكنه ضمان ولاء عددٍ كبير عن طريق تقديم الحب اليهم بالشكل المناسب والمسموح به في مختلف القوانين التشريعية والوضعية ليحصل -بالتالي- على تعاطفهم ومودتهم ومصافاتهم ووفائهم... مما يجعله مرتاح البال مسالماً، ويكثر نتاجه الذي يخدم به الآخرين ويبتعد عن مواقف التشنج والتأزم أو التصلب.

فالحث على الحب والود لتعمر الحياة بمعاني الخير.

النصيحة الثالثة عشر: تُبيّن لزوم الابتعاد عن الانسان الذي تتبدل مواقفه وعواطفه سريعاً لانه لا يستفاد منه بشيء -مادياً أو معنوياً- وصفة المَلَلْ من الصفات المنفّرة عن المتصف بها فالتحذير -ضمناً- من الاتصاف بها لأنها تقلل من الاخوان والاصدقاء وتنفرهم وتفتّح على الانسان منافذ الكلام والانتقاد بما يُفشي عيبه بين الناس فيفتضح أمره وتتغلب هذه الصفة على كل الصفات الايجابية والسلبية.

نعم من حق الانسان ان يكون له رأيه في كل حادثة تحدث وبالتالي تتبدل مواقفه ولكن عليه ان يلتزم الصبر والحذر والتسامح والتأني والوفاء والصدق و.. و... مما يجعله اكثر رزانة واعمق فكراً فلا يرتجل المواقف وانما تكون بين موقف وآخر مدة زمنية كافية لتصحيح هذا التحول مما يوفر المبررات المناسبة.

﴿حرف الحاء﴾

٦٢- قال عليه السلام:

الحَجَرُ الغصيب[١] في الدار رهنٌ على خرابها.

الدعوة الى ممارسة التقوى والتدين بشكل دقيق بعيد عن مجرد المظاهر والروتين الذي يمارسه المتدينون عادة بل على المؤمن ان يستسلم لأوامر الشريعة المقدسة بكافة اشكالها ويطبقها بموجب صيغها المشرَّعة ، ومن هذا ان لايتعدى أحدٌ على أحدٍ سواء على نفسه أو عرضه أو ماله قليلاً كان مقدار التعدي أم كثيراً والأثر السلبي المترتب هو الخراب والدمار وهما مما يفرّ منهما الناس.

---

(١) الغصيب بمعنى المغصوب. وقد روي بلفظ (الحجر الغصب) و (الحجر المغصوب) فلاحظ.

اذن لا بُدَّ ان لا يُستهان بالمقدار القليل من التعدي والظلم على اساس منظار القلة والكثرة، وانما لا بُدَّ من قياس ذلك بانه مخالفة لأوامر الله تعالى والتي يستوجب العبد من جرائها العقوبة، والفرصة متاحة امام مَنْ لم يقتنع فليجرب بالقليل من الاعتداء والتجاوز ليجد ان النهاية مؤلمة ومأساوية اذ القليل يجر الكثير من حالات النكبة والندم و وخز الضمير...

ولا أحسب ان أحداً يناقش في ذلك مبدئياً لأن الله تعالى أراد للناس ان يعيشوا بسلام فشرّع القوانين التي تُؤمِّنْ لهم ذلك فمن الطبيعي ان المتجاوز ينكب لأنه متجاوز وعاصٍ. فالحذر الحذر من الغصب، وقهر الغير، والأخذ بالغلبة، والاستيلاء بلا وجه مشروع لأن نتيجة ذلك دنيوياً: الخراب والفناء، ومثّل الإمام عليه السلام لذلك بالحجر وما يمثله من قلة فلا يبالي به أحد بالمقياس الانتاجي الاقتصادي.

الاّ انه كوثيقة باقية وامانة موضوعة حتى يتم الاداء ويحصل الأثر الذي هو الخراب، وقد يأخذ الخراب اشكالاً متعددة: الخراب المحسوس المادي، الخراب الاعتباري كأن لايوفق ساكنها أو تكثر مصائبه و مشاكله أو.. أو... من اشكال الخراب مما يترك اثراً لدى الغاصب ليرتدع بعدئذ.

٦٣- قال (عليه السلام):

الحدّة[١] ضَرْبٌ من الجنون لأنَّ صاحبها يندم، فإنْ لم يندم فجنونه مستحكم.

ان الانسان معرَّض للغضب بحسب طبيعته، والغضب يأخذ مختلف الاشكال والحالات عنفاً وليناً، وشدة وضعفاً، ومستمراً ومؤقتاً.. و...

---

(١) الحِدّة :ما يعتري الانسان من النزق والغضب. مختار الصحاح ص١٢٦.

وكل ذلك يخضع لسيطرة الانسان العاقل لأنه لو لم يسيطر فلا يصح وصفه بالعاقل بعدئذ، فالدعوة الى التوازن والسيطرة وعدم الانسياق وراء العاطفة وما تمليه من مواقف مرتجلة يندم عليها الانسان بعد ذلك، اذ ليس من اللائق بالانسان الذي يسعى نحو التكامل ان يترك المجال مفتوحاً لنفسه وعاطفته في التغلب على عقله ودينه وانما بقليل من الصبر والاغضاء ومحاولة التجاوز وعدم التصلّب يخرج الانسان الغاضب من أسارِ غضبهِ وينجو من عواقبه المشينة.

فاذا تعنّت أحد ولم يستجب لنداء العقل والدين على اساسٍ من العصبيّة والانفعال الشخصي أو الانفصام في الشخصية فحتماً سيخسر الموقف ويبدأ التعامل معه يختلف شيئاً فشيئاً الى ان يسقط عن الاعتبار الاجتماعي ولا تناط به أية مسؤولية بل تسلب عنه لو كانت لديه لأنه سُجّل في قائمة غير المتوازنين الذين لا يمكنهم -لحالاتهم العصبية- السيطرة واتخاذ المواقف المناسبة، فحمايةً لهم يُعيّنْ مَنْ يُشرف عليهم وهو ما يسمى في المصطلح الفقهي بالولي، فلا بُدَّ للانسان من عدم الاصرار على مواقف الغضب لئلا يكون مجنوناً وهو ما لايرضاه أحد عاقل لنفسه.

٦٤- قال عليه السلام:

الحذر الحذر فو الله لقد ستر حتى كأنه قد غفر.

قد يتصور الانسان في بعض حالات طيشه وغروره بما لديه من إقبال الدنيا عليه وازدهارها اليه أنه على صواب وأن مسلكه في الحياة هو الصحيح المرضي ولو لم يكن كذلك لما بقي ولما تَمّتْ واستقامت له الأمور، بينما يجد حاله أحسن من حال غيره من الذين استقاموا واحسنوا...

إلاّ ان هذا مجرد خيال لا اساس له من الصحة اطلاقاً لأن المجرّب الثابت أنْ الله تعالى يمهل عبده العاصي لكنه لايهمله ولايتركه با لمرة بل يعطيه فرصاً للتراجع والتوبه فإذا لم يستفد من ذلك فيأخذه أخذ عزيز مقتدر ،إنْ في عاجل الدنيا او في آجل الاخره.

فالدعوه الى عدم المواصله في اقتراف الذنوب لان الله تعالى مطّلع على عبادهِ عالم بسرائرهم، وإنما يسامحهم تكرماً منه وستراً عليهم لئلا يفضحهم بين الخلائق، إلاّ إن هذا لايعني أنه يُقر كلَّ أعمالهم بشكلها العام بل يثيب على الحسنات ويعاقب على السيئات خصوصاً اذا لم يعتبر العبد من حلم الله تعالى الذي بقدرته ان يعاقب من اول مرة إلاّ انه يغضي ويستر في الدنيا رأفة بعبده فاللازم على العبد مراعاة ذلك لأنه يستشف من تكرار التحذير بقوله عليه السلام (الحذر الحذر) ان العاقبة وخيمة لمن لم يتعظ، فان الآخرة هي دار الجزاء فاذا كان مسيئاً فيعاقبه بما يستحقه ولا يعني ستره في الدنيا انه انهى ما عليه بل ستر عليه كأنه غفر له ومن المعلوم -كما عند النحاة- أنّ (**كأن**) للتشبيه.

٦٥- قال (عليه السلام) :

الحكمة(١) ضالّة(٢) المؤمن، فخذ الحكمة ولو مِنْ أهل النفاق.

الدعوة الى تلقي المعارف والفضائل وابتغاء ما يقوّم الانسان ويسدده في حياته، من كل أحد وبغضِّ النظر عن مبدئه الفكري والعقيدي فان التكامل وكسب المقوّمات للشخصية الفردية مما يُسعى اليه ويُهدف نحوه فلا يكون

(١) الحكمة لغة: الكلام الموافق الحق،المنجد ص١٤٦ مادة(حَكَمَ). العلم الذي يرفع الانسان عن فعل القبيح، مستعار من حكمة اللجام وهي ما احاط بحنك الدابة يمنعها الخروج. مجمع البحرين ج٦ ص٤٥ مادة(حكم)، وقال ابن دريد في جمهرة اللغة (فكل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحُكم...)، جمهرة اللغة ج٢ ص١٨٦.

(٢) الضالّة لغة: الشيء المفقود الذي تسعى وراءه. المنجد ص٤٥٤ مادة (ضلّ).

حاجز العقيدة مانعاً من الاستفادة بالحدود التي يؤطرها عدم الانسياق وراء الاعجاب الشخصي ليترك الانسان دينه ومبدأه، بل بحدود التعلم والتوصل الى ما هو افضل من دون ما مساس بالشؤون الشخصية وخصوصاً الدينية، فانها من اهم ما يجب الحفاظ عليه والموازنة فيه، ولعل من أحد اسباب الدعوة الى اكتساب الحكمة انها ترفع الانسان عن فعل القبيح وتؤهله لأن يحتل مركزاً مرموقاً بين الناس، بما يعني انضباطه وتحرّجه عن فعل ما لايليق وهو ما يوفر حماية المجتمع من الاخطار الاخلاقية والانحرافات السلوكية.

ويظهر الحث على الاهتمام بشأن الحكمة وعدم التفريط بها من خلال الامر بالأخذ ولو من أهل النفاق، لأن الحكمة أمر يتساوى فيه الجميع من دون ما تمييز مذهبي، قومي، اجتماعي،... فلذا كان امراً طبيعياً ان تُكْتَسَبْ المعارف والقيم الصحيحة ولو من الاشخاص المبتعدين عن خط الاسلام بكل ما فيه من مُثُل ومبادئ تحث على المكرمات وتنهى عن القبائح والرذائل والذي منها (النفاق) فانه يعني الازدواجية في الشخصية والولاء والتوجهات... وهو ما يرفضه منطق الاسلام و يذم المتصفين به وقد خصصت سورةٌ في القرآن الكريم لذكر احوال المنافقين و بيان ما يتصفون به، وكفى بذلك شهادة على اتصافهم بذمائم الاخلاق، وعلى انحطاطهم وتردّي مستواهم لأنهم يعيشون التذبذب والمراوغة وعدم الواقعية بشكل علني و مكشوف وهو ما يُتعوذ با لله منه. فكان لزاماً التحذير منهم... ولكن ذلك كله لايسلبهم بعض الايجابية -لو كانت- فلا مانع من انتفاع المسلمين الصادقين من تلك الجوانب الايجابية...

٦٦- قال (عليه السلام):

الحلم عشيرة.

ما أروع هذه الدعوة اذ تبني مجتمعاً آمناً مطمئناً تسوده مبادئ الاحترام والتسامح ونبذ الاحقاد والمشاحنات التي تكثر عادة في المجتمعات البشرية. لأن الانسان بطبيعته يأنف من تحمل الضيم والأذى... فاذا تجاوز ذلك وتعدّاه الى فضيلة الاغضاء عن الاساءة مع القدرة على الرد... فيكون قد كسب انصاراً واعواناً على شؤون الحياة وشجونها حتى ليتكون لديه العدد الكثير والجمع الجم الغفير بما يسد مسد العشيرة ويقوم بوظيفتها المعتادة.

كل ذلك كان بفضل التحمل الموقت للتجاوز لتكون النتيجة اصلاحُ المعتدي، وكسبه الى الصف، وتخليصُ المجتمع من عضو مضّر لايمكن تقدير اضراره التي سيحدثها لو أُهمل على غيّه وطيشه لأنه كان يتجاوز ويُقَابَلْ بالمثل أو الأشد لئلا يكرر، إلاّ أنه لم يفكر أحد بان هذا لايحل مشكلة ولايقوّم عوجاً.

فلذا يؤكد الإمام عليه السلام على ضرورة الصبر والاناة والسكون وتحكيم العقل واستبعاد العاطفة مؤقتاً وعدم الاستماع لنداء: ان السكوت عنه ضعف وذل واستكانة، كل ذلك ليعمر المجتمع ويكثر الخيّرون فيه.

﴿حرف الخاء﴾

٦٧- قال (عليه السلام):

خالطوا الناسَ مُخالطةً إنْ مِتّمْ مَعَهَا بَكَوا عليكم، وإنْ عشتم حَنّوا اليكم.

الدعوة الى اقامة علاقات اجتماعية حميدة، طيّبة.

بحيث اذا مات الانسان بكاه الناس لما يجدون من ألم الفراق وحرقة المصاب.

وإن عاش معهم -ولو لم يكن قريباً منهم بجسمه- اشتاقوا اليه واحبّوا لقاءه و ودّوا صحبته.

وهذا لايتم بالهيّن بطبيعة الحال بل بجهد جهيد خصوصاً اذا لاحظنا الاختلاف في الطبايع والامزجة والحالات التي يتقلب فيها الانسان من حسن الى أحسن أو اسوأ مما يصعب معه المحافظة على نمط في العلاقة ثابت وشكل موحد.

لكن اذا تعوّد الانسان من اول امره ومبتدأ نشأته التعامل بالمعاني الايجابية التي يأنسون بها فحتماً سيحبوه ويحنّون اليه ويبكون عليه.

وهو مع ذلك لايجد كثير معاناة أو مشقة في ذلك لأنه تدرّج عليه وتدرب فوجد أثره الطيّب وما اكسبه اياه من حالة طيّبة، وربما يمتد الأمر فيشمل الحنين والشوق الى المنتسبين اليه أيضاً، كل ذلك تخليداً لذكرى مَنْ خالطهم مخالطة حسنة وعاشرهم معاشرة تتسم بالمحبة والروح الأخوية البعيدة عن رصد المخالفات والوقوف -كثيراً- عندها.

٦٨- قال عليه السلام :

خذْ من الدنيا ما أتاك، وتولَّ عما تولّى عنك[١] فإنْ انت لم تفعل فاجملْ في الطلب[٢] .

(١) تولّى عنه: اعرض عنه وتركه. المنجد ص٩١٩ مادة (ولي).

(٢) أجمل في الطلب: إتّأدَ واعتدل فلم يُفرط. القاموس المحيط ج٣ ص٣٥١.

يبيّن عليه السلام في هذه الحكمة **ثلاثة امور مهمة** في حياة الفرد يلزمه استيعابها ليمارسها من موقع القناعة ومنطلق الوثوق بجدواها وفاعليتها في الحياة لا على اساس النظرية التي لا تلائم روح العصر.

الأمر الأول: عدم الانهماك في طلب الدنيا وعدم التلهف وراءها بما ينسي المتطلبات الاخرى بل على الانسان ان يأخذ من الدنيا ما أتاه بعدما يكون قد سعى بما يتناسب وحالته لا ان يتقاعس عن العمل بل يؤدي ما عليه فاذا لم يتيسر له المزيد مما يطمع به ويطمح اليه فليقنع به وليعلم انه المقدَّر له والمقسوم له وهو الخير بالنسبة له -والخير فيما اختاره الله تعالى طبعاً-، وانه لو تحقق المزيد لحدثت بعض المضاعفات والمنغصات الجانبية. اذن فالقناعة بما قُسم وعدم الانسياق وراء طلب المزيد من الدنيا هو الافضل.

الأمر الثاني: عدم السعي الحثيث وراء ما زوي عن الانسان فلا يكون همه الوحيد، ولا يجعله عقدة حاجزة، بل الرضا بالموجود الميسور لأنه لو كان ذاك من حظه لأتاه، ولما امكن لأحد ان يصرفه عنه.

الأمر الثالث: انه اذا لم تطاوع الانسان طبيعته الخاصة من الانسياق وراء الدنيا ولم يكن مكتفياً بما يأتيه، وكان طَمُوحاً ومواصلاً السعي في طلب الدنيا فينصحه الإمام عليه السلام بان لا يفرط ويعتدل في سعيه وطلبه ويراعي الضوابط الشرعية والاخلاقية التي تنظم اعماله بشكل ملحوظ لأنها تحدد مساره التجاري بما يحميه من الآفات والبلايا.

اذن فالدعوة الى تنظيم الانسان حياته ليشمل بالتالي تنظيم المجتمع اذ الاولاد هم نواة تكوين المجتمع فلا بُدَّ من الوثوق با لله تعالى وبحكمته في تقسيم الارزاق سواء المادية أو المعنوية كالجاه والحظ والمكانة الاجتماعية وغيرها، فلا يُتطلب ما وراء ذلك بحجة الطموح، وان أصّر أحدٌ على ذلك فينصحه الإمام

عليه السلام بالتوازن لأن الدنيا غرّارة تُقبل على الانسان تخدعه ثـم سـرعان مـا تتحول عنه وتتركه يعاني مما هو فيه لوحده.

﴿حرف الدال﴾

٦٩- قال عليه السلام :

الداعي بلا عمل كالرامي بلا وَتَر.

الدعوة الى ان نكون مطبقين لما نتعلمه من العلوم والمعارف ليتسنى لنـا أمْرَ الغير به وإلاّ فلا تكون الموعظة مسموعة ولا النصيحة مقبولة.

وقد مُثِّلَ مَنْ يدعو غيرَه الى أمر لا يقوم -هو- به بِمَنْ يرمي وآلة رميـه ناقصة فلا يمكنه الاصابة ويفشل في -التهديف-.

اذن فالعلم النظري مع العمل التطبيقـي ثـم مرحلـة دعـوة الغير ليصـح الاقتداء، لأن لذلك الاثر التام في النفوس،لأن مطابقـة العمـل للعلـم تكـون مـن الدعاية الصامتة ذات التأثير القوي.

ومن فوائد التطبيق كف الالسنة والانتقادالاجتماعي بانه يدعـو الى مـا لا يعمل به فيكون الى التنظير اقرب منه الى التطبيق فلا يمكنه اسـتقطاب الكثـير ممن يمكنه احتوائهم وحثهم على المعاني الخيّرة التي ينبغي الاهتمـام بهـا والتعـوّد عليها والوقوف عندها بتأمل وامعان لينعكس اثرها عليهـم ولتتعـزز في النفـوس اكثر من خلال التطبيق.

٧٠- قال (ع) :

الدنيا دار ممر الى دار مقَر، والناس فيها رجلان، رجل باع فيها نفسه فأوبقها[١] ، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها[٢].

في هذه الحكمة تعريف دقيق للدنيا بما يجعل الصورة مكتملة ولا يترك الفرصة لأحد في الاغترار بها، اذ انها محل يجتازه الانسان ثم ينصرف عنه الى محل آخر هو الابقى والادوم وهي كمحطة يتوقف فيها الانسان ليتزوّد ما يحتاجه لمواصلة سفره الذي هو غايته ومقصده مما يحتّم عليه التعامل بلا مزيد اهتمام بما فيها -مهما كان- لأنه سيفارقه عند موعد المغادرة ولا يمكنه اصطحابه معه. اذن فاللازم ان يتعامل معه معاملة غير جادة بل تتسم بقضاء الضرورة واللازم لئلا يثقل على نفسه ولا يجهدها بتحمل المسئولية أو مؤنة الحمل والنقل، ولو نظرنا الى الواقع نظرة فاحصة لوجدنا أنَّ مَنْ لم يتزود للآخرة وأخلد للدنيا قد أثقل نفسه بما عَمِلَهُ من الأعمال التي يُؤاخذ عليها فيطول بسبب ذلك وقوفه عند الحساب، وهو ما يتخوف منه كل عاقل لأن المحاسبة دقيقة ولا تُعرف نتائجها إلاّ بعد أن يستقر العبد حيثما يأمر به الله تعالى.

ثم بيّن عليه السلام أن تصرفات الإنسان -في الدنيا- محسوبة عليه، وهو -ذاته- الذي يعيّن مصيره في الآخرة من خلال اختياراته الدنيوية، فإن انضمّ الى الدنيا وركن اليها واغترّ بها فهو الذي باع نفسه العزيزة للدنيا الدنية فصار سبباً لهلاك نفسه في الآخرة، لأن الدنيا تُزين له افعالاً وتروكاً لا تنتظم كلها في قائمة المسموح به شرعياً وعندئذ يقع المحذور، وتجب العقوبة فلا

---

(١) أوبقها: اهلكها. المنجد ص٨٨٤ مادة (وَبَقَ).

(٢) ابتاعَ الشيءَ اشتراه. المنجد ص٥٦ مادة (باعَ).

يخلّصه أحد لأنه قدّم دليل إدانته بنفسه من خلال ما قام به من اعمال غير محسوبة دينياً.

وإن كان قد اختار تخليص نفسه من شَرَكِ الاهواء المضلة وتفادى الوقوع في المنزلق والتزم جانب التقوى وحفظ نفسه من التعدي والتجاوز على الاحكام الشرعية فهو قد حَرّرَ نفسه من ربقة النار...

﴿حرف الراء﴾

٧١- قال عليه السلام :

رأي الشيخ[١] أحبُّ اليَّ مِنْ جَلَد[٢] الغلام[٣] .

الدعوة لاستماع رأي كبير السن الذي جرّب الأمور وعرك الحياة فعرف منها جوانباً لم يعرفها مَن هو ادنى منه سناً وخبرة،ومرّت عليه مختلف الحالات، والاستفادة من خبرته وحكمته لان ذلك يعطي تجربةَ الشباب قوةً ورصانةً إذ لم تكن فكرة الشباب بمجرد فكرتهم بل عززها توجيه الاكبر سناً بما يطبعها بطابع الوقار وعدم الرد من الاخرين، لان الشيخ قد مارس الحياة اكثر فلا يدخل الميدان تجربةً بل عن دراية بينما الشاب -الذي بدأ شاربُهُ بالظهور- يدخل الميدان بدافع الحماس والقوة التي تدفعه من الداخل لتحقيق الطموحات وانجاز التمنيات وانه الكفوء واللائق و.. و...

وهذا وان يخدم كيان المجتمع في بعض الحالات إلاّ انه ليس في كلها بينما تجربة الشيخ اهدى سبيلاً في غالب الفرص ولو اخطأت فلا ملامة اذ لم

---

(١) الشيخ لغة: مَنْ استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب. المنجد ص٤١٠ مادة (شاخ).

(٢) الجَلَدُ لغة: القوة، الشدة، الصلابة، الصبر. المنجد ص٩٦ مادة (جَلُدَ).

(٣) الغلام لغة: الطارُّ الشارب. المنجد ص٥٥٧ مادة (غلم).

تدفع مقابلاً إلاّ التؤدة والتأني فلا خسارة مادية تُذْكَرُ، وانما الفرصة مؤاتية مرة اخرى لخوض الميدان.

ويجد المتأمل في هذه الدعوة ان الامام عليه السلام يساند الشباب المؤمن إذ يهيء له مستشاراً ينصحه ويرشده الى الاصلح والاصوب فيريد منه عليه السلام ان لا يدخل معتركا إلاّ عن دراية ولا يُقْدِمَ على عمل إلاّ بعد حسابٍ للعواقب وتقديرٍ للامور بالشكل المعقول.

فليس في هذا أي تقليل من اهمية عنصر الشباب بل محافظة عليهم لئلا تذهب جهودهم العضلية من دون ما فائدة، ومن دون تحقيقٍ لشيء مفيد.

٧٢- قال (عليه السلام) :

الراضي بفعل قومٍ كالداخلِ فيه معهم، وعلى كل داخلٍ في باطلٍ إثْمانْ : إثمُ العمل به وإثمُ الرضا به.

إنَّ مَنْ يرضى بفعل شخص أو جماعة يلحقه ما يلحقهم من أجر أو وزر،لأن التضامن والاتفاق ولو من دون انجاز عمل يعني مباركة المشروع والموافقة عليه والتأييد له وهذه عوامل كافية لأن يُحسب الشخص على ملاك الآخرين وإنَّ من السلبيات الاجتماعية: تضامن بعض الافراد مع آخرين من دون ما دراسة وتحليل لموقفهم وانما بدافع عاطفي او استجلاب مادي او هوى سياسي او اندفاع غير اخلاقي كالعناد والبغض والحسد...، مما يجعل التضامن مجرد دعم لفئة معينة مهما كلّف الامر بلا تحسب للعواقب الناجمة عن ذلك وبلا تفكير بالنتائج وبمدى موافقة العمل للروح الاسلامية التي يفترض ان يعيشها المسلمون بما يعني التخلي عن مبدأ مراقبة الله تعالى والخوف منه، كما يعني الانسياق وراء الهوى والاعتبارات الضيّقة والمواقف المرتجلة المصلحية أو العصبية.

٧٣- قال عليه السلام :

رُبَّ[١] قول أنْفَذُ[٢] من صول[٣] .

الدعوة الى التحفظ جيداً في الكلام وما يواجه به الانسانُ الآخرين من منطق، لأن كثيراً ما يكون وَقْعُ الكلمة أشد من الضربة ويبقى أثرها السيء في النفس طويلاً فينبغي اختيار الكلمة وعدم الانسياق وراء الحالة النفسية والعصبية على اساسٍ من الاعتزاز بالنفس أو الاغترار احياناً لان ذلك يورط كثيراً في مسائل غير محسوبة العاقبة، ويترك انطباعاً سلبياً لدى الآخرين، ويؤدي الى تشنجٍ في العلاقات العامة مما يضعف البنية الاجتماعية فيفقدها حالة الود والوئام والصفاء والانسجام.

اذن نحن بحاجة ماسة لأن ننتقي مفردات الكلام ونحسب حساب المقابل بلا تهور أو تسرع، وهذا ما يلزمنا أن نحاول معه لنتعوده مستقبلاً.

وفي المقابل حبذا لو استعمل القول في حالات لا تنفع المواجهة الحادّة لنكسب كثيراً ماديّاً ومعنوياً ولا نفرط بالارواح أو الأموال مع إمكانية دفع ذلك بالكلمة الطيبة المؤثرة.

---

(١) رُبَّ: حرف جر للتقليل أو التكثير حسبما يستفاد من سياق الكلام، ولا يدخل الآ على نكرة وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء. المنجد ص٢٤٤ مادة (رُبَّ).

(٢) أي أنفع وأكثر تأثيراً.

(٣) الصول: صال عليه استطال وصال عليه وثب. وصولةً ايضاً مختار الصحاح ص٣٧٣ مادة (ص و ل).

٧٤- قال (عليه السلام) :

رُبَّ مستقبِلٍ يوماً[1] ليس بمستدبرِهِ، ومغبوطٍ[2] في أولِ ليْلِهِ قامت بواكيهِ في آخره.

الدعوة الى عدم الاغترار بالدنيا وعدم الاعتماد على الصحة الجسمية أو المال أو الجاه...

لأن ذلك الى زوال، اذ كثيراً ما نشاهد شخصاً اصبح وقد استقبل يوماً جديداً كان قد خَطّطَ لأن ينجز فيه مهمات معينة ويقضي لوازماً خاصة إلاّ انه لا يُنهيه بتمامه بل يموت قبل آخره، وايضاً كثيراً ما يكون الشخص مغبوطاً ومعدوداً من الاحياء ذوي الصحة أو المال أو الجاه... في ليلة من الليالي لكنه لا يتمها وهو حي بل يُبكى عليه في آخرها وقد يتألم لفقده.

فاذا كان واقع الحياة هكذا فلا بُدَّ للعاقل ان لايأمنها ولا يخلق لنفسه متاعب في يوم الحساب ويحاول ان يكون مرضياً في افعاله لئلا يُغْضِبْ احداً فيُذكر بخير ويُتأسف عليه.

اذن فالإمام عليه السلام يعرض حالتين يشهدهما الكثير من الناس مهما اختلفت مراتبهم أو اماكنهم أو زمانهم لأن ذلك أمر طبيعي للمخلوقين مما يجعل العاقل في حالة تأمل ليُقدم على مواقف قد انسحب عنها لحسابات دنيوية، وليتراجع عن مواقف قد أقدم عليها لحسابات دنيوية لأنه قد رأى عياناً المصير المنتظر والحالة التي يؤل اليها كل أحد.

---

(١) منصوب على انه مفعول به لـ مستقبل الذي يعمل عمل فعله.

(٢) مغبوط: اسم مفعول من الغبطة وهي لغة (تمنّي نعمةٍ على ان لاتحوّل عن صاحبها). المنجد ص٥٤٤ مادة(غبط).

٧٥- قال عليه السلام :

رُدّوا الحجر من حيث أتى، فإنَّ الشر لايدفعه إلاّ الشر.

الدعوة الى المواجهة عندما يقتضي الأمر ذلك وعندما يكون الاصلح دفع الشر بمثله لأن على الانسان في المواقف الحساسة الموازنة بين الربح والخسارة معنوياً ومادياً ليجد هل المهادنة أصلح وانفع لحال الأمة أم المواجهة والمدافعة وليس المفروض دائماً هو الحل الاول بل على المؤمن ان يردّ الشر من حيث اتى اذا لم تنفع الحلول السلمية فإنّ الخير ليس من فصيلة الشر ليدفع به بل يدفع بالشر. نعم لو كان من الممكن اللجوء الى حل سلمي بوسائل الخير الممكنة لكان ذلك حتماً وهو المفضّل ولكن المفروض ان الحالة تأزمت بما لاينفع معها الحل السلمي فيتحتم الدفاع والدفع بالمثل ليأمن عادية الاشرار ولئلا تكون تلك نقطة ضعف ليستفيدوا منها في التغلب على المؤمنين.

وقد يستفاد ضمناً من هذه الحكمة ان على الانسان ان لا يزيد على مقدار دفع الاعتداء ورد الاساءة للمسيء من دون ما مجاوزة عليه أو على منتسبيه لئلا تكون الاحقاد والاضغان ولئلا تخرج القضية عن مسألة رد الكرامة الى مسألة معاداة.

٧٦- قال عليه السلام :

الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فإنْ لم تأته أتاك، فلا تحمل همَّ سنتك على همّ يومك، كفاك كلّ يومٍ ما فيه، فان تكن السنةُ من عمرك فإنَّ الله تعالى سيؤتيك في كل غدٍ جديد ما قَسَمَ لك، وان لم تكن السنةُ من عمرك فما تصنع بالهَمِّ لما ليس لك، ولن يسبقك الى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يبطئ عنك ما قد قُدِّرَ لك.

في هذه الحكمة الشريفة مضامين عالية جداً وعلاجات لحالات اقتصادية يعاني منها السوق العالمي عموماً ويحاول الخبراء تقديم دراسات حولها ومن اجل السيطرة على الحاجة البشرية ولسد الاحتياج ولمواجهة التضخم السكاني وازدياد البطالة و.. و... مما كثر طرحه على الساحة.

فاننا نجد الإمام عليه السلام يبدأ مع الانسان بداية مطمئنة يبحث عنها كل واحد وهي ضمان وصول الرزق اليه الذي هو: كل ما ينتفع به الانسان من لوازم حياتية ضرورية لبقائه كالأكل والشرب والدواء والملابس والسكن والمواصلات و.. و...

ثم أكدبأنَّ ما لاينتبه اليه الانسان من موارد دخل ومصادر توفر له تلك اللوازم يأتيه بكل تأكيد لأن الله تعالى تكفل بذلك للمخلوقين. فلم يكن لتنبّه الانسان دورٌ في وصول الرزق إليه بل يصله حتماً.

وبناءاً على ذلك -الضمان- فلا داعي للقلق ولا للتحسب للمستقبل وما يحمله من مفاجآت وازدياد في السكان أو البطالة عن العمل...

اذ المدة التي يعيشها الانسان غير معلومة فاذا اراد استباق الاحداث والزمن فكم يخزن؟ والى متى يبقى على تلك الحال؟ وفي أي مكان يبحث أو يطلب؟... وغيرها من الاسئلة التي تتوقف الاجابة الصحيحة عليها على تحديد أمد بقاء الانسان في الحياة.

اذن لا موجب لأن يهتم الفرد -كبيراً أم صغيراً،رجلاً أم امرأة، مكفولاً أم غير مكفول- ويفكر فيما يأتي لأنه غير مضمون له البقاء حتى ذلك المستقبل.

ثم طَرَحَ عليه السلام مسألة مهمة وهي ان كل يوم يعيشه الانسان يحمل معه عدداً من القضايا التي تشغل وقت الانسان وتنسيه حرصه على ممارسة طبيعته البشرية مضافاً الى ان ذلك اليوم قد حُدِّد للانسان فيه مقدار

معين يكفيه فلماذا استباق الزمن. ويترتب على جميع ذلك ان السنة بما انها تعني المدة الطويلة التي يفكر الانسان في ضمان رزقه فيها ان كان مقرراً له البقاء فيها في الحياة فالحالة الطبيعية للضمان الآلهي ستتكرر يومياً وبشكل تلقائي من دون ما مداخلة من العبد، واما اذا لم تكن السنة من ضمن المقرر للبقاء فيه فلماذا يهتم الانسان لشئ قد لا يبلغه ويضيف اليه قلقاً بما يجعله مستوفز الاعصاب دائماً.

ثم بيّن عليه السلام حقيقة لتطمئن اليها النفوس وليخفف بها عن الانسان الذي تضغط عليه عوامل نفسية -داخلية- بحسب طبيعته وهو ان ما قَسَمَهُ الله تعالى من الرزق لمخلوقٍ لا يكون لغيره ابداً ومهما كان الجهد المبذول لأستخلاصه من المقسوم له -والشواهد على ذلك كثيرة- بحيث لا يحول البُعد المكاني أو الزماني عن الوصول بالوقت المقرر فيه.

فاذا تيقن الانسان المؤمن بذلك عرف ان المستعجل لا يحصّل فوق المقدّر له، والبطئ لا يذهب عنه شئ الى غيره،نعم على الانسان ان يبذل الجهد المناسب ومجال العمل الذي يكون رزقه منه لأننا نعرف ان لا وسيلة لإمداد المخلوقين بالرزق بشكل محسوس معاين إلاّ بالوسائل الاعتيادية من الاعمال والمهارات التي ينتجها الانسان بمختلف انحائها المشروعة.

فاللازم على الانسان ان يؤمن بان الله تعالى خلقه وتكفل برزقه وجعل مفتاح ذلك عند العبد بأن يسعى في سبيل الحياة بما يديم النفع للآخرين ويحصل بالمقابل على ما يسّد به حاجته بما يتناسب والزمان أو المكان فقد يكون الرزق بالمال (النقدي) أو العيني من الاعواض والاعيان.

ومن الجدير بالذكر انه عليه السلام أهتم بهذا الجانب معرفةً منه بانه جانب يكثر الاحتياج الى استيضاحه لأنه يتصل ببقاء الانسان في الحياة الذي يسعى دائماً اليه.

٧٧- قال (عليه السلام) :

رسولُكَ[1] ترجمانُ[2] عقلِكَ، وكتابُكَ أبلغُ ما ينطق عنك.

يحتاج الانسان في بعض ادوار حياته الى مَنْ ينقل افكاره ويؤدي عنه ما يريد بيانه للآخرين ممن لا يمكنه مخاطبتهم فيستعين على ذلك بارسال مبعوث ينقل عنه رسالته المعينة، أو بكتابة ما يريده تحريرياً.

ومن هنا نجد ان الإمام عليه السلام يدعو:

(١) الى اختيار المبعوث اختياراً دقيقاً لأن تصرفاته واقواله ستكون محسوبة على مَنْ بعثه واختاره وتكشف عن بعض ما للمرسِل من قابليات ومؤهلات مما جعله ينتقي اشخاصاً مؤهلين اكفاء كهذا الرسول.

(٢) وايضاً عندما يكتب شيئاً لا بُدَّ ان ينتقي كلماته لأنها تعبر عما بداخله وتبلّغ مكنون ما يريد، وبخلاف ذلك يُحكم عليه سلباً حتى لو كان مقصوده عالي الجودة والمضمون.

لأن الناس بطبيعة الحال لا يستكنهون ما بذهنه ولا يكشفون ما في ضميره من مقاصده إلاّ من خلال واسطة التعبير الموصلة. اذن فمن الضروري جداً عدم الاستعجال أو الخضوع لعوامل معينة قد تمليها الظروف المحيطة بالشخص، لأن ذلك مما يبقى أثره في النفوس مدة طويلة.

وأخذاً بهذه الحكمة نجد ان العقلاء قد اتفقوا على ان يدققوا فيمن يمثلهم في مناسبات تقتضي ذلك، ومن ذلك السفراء المبعوثين ممثلين عن دولهم لأن الطرف المقابل يكوّن انطباعاً عن الجهة المرسلة من خلال سفيرها، وكذلك القارئ يكوّن انطباعاً عن الكاتب من خلال كتابه وما حرره مهما كان قليلاً.

---

(١) الرسول: المُرْسَل. المنجد ص٢٥٩ مادة (رسل).

(٢) الترجمان: المبلّغ. اقرب الموارد ج١ ص٧٥ مادة (ترجم).

٧٨- قال عليه السلام :

الركون[١] الى الدنيا مع ما تعاين[٢] منها جهلٌ، والتقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبْنٌ[٣]، والطمأنينة[٤] الى كل أحدٍ قبل الاختبار عجز.

الدعوة الى الالتزام بثلاثة أمور والعمل في الحياة عليها مع استيعابها لتتركز في القلب فيكون الالتزام بها والعمل على وفقها نابعاً من الصميم مما يعني التصميم والعزم ليكون مترسخاً يساير الانسان في كافة مراحل حياته فلا يغتّر بحالة فيضيّع واحداً من هذه الثلاثة ويخسر ولا ينفع الندم ...

الأمر الاول: الحذر من الدنيا لأن الشواهد على زوالها وفنائها وعدم استدامتها لأحد كثيرة جداً متسلسلة بحسب الزمان ومتعددة بحسب المكان، فلو أمِنَ منها الانسان فانما يكشف ذلك عن جهله وعدم معرفته لأن الواعي مَنْ يعي التجارب ويتعظ بها لئلا يحدث ذاتُ الشيء معه، أما اذا اسس بنياناً وشاده على اساس الثقة بالدنيا وانها تدوم ولا تتغير مع الشخص الواحد مرات ومرات... فذاك الانسان هو الجاهل.

الأمر الثاني: زيادة الكفاءة في العمل مع توفّر الضمانات الكافية للمواصلة من الحوافز والتشجيع وما الى ذلك مما يُعَبَّرُ عنه بالثواب الذي هو (الجزاء على الاعمال خيرها وشرها، واكثر استعماله في الخير)[٥] بما يوفر الروح الحماسية لدى العامل ليستمر في العمل والانتاج ويتواصل بابداع

---

(١) ركن اليه ركوناً: مالَ اليه وسكن و وثق به. المنجد ص٢٧٨ مادة (ركن).

(٢) عاين عياناً: رآه بعينه. المنجد ص٥٤١ مادة (عين).

(٣) الغَبْن: ضعف الرأي، الخديعة في البيع والشراء. المنجد ص٥٤٤ مادة (غبن).

(٤) الطمأنينة اليه: سكن وآمن له. المنجد ص٤٧٣ مادة (طمأن).

(٥) المنجد ص٧٥ مادة (ثاب).

وتفوقٍ، فاذا كان كل ذلك -الثواب- مضموناً و لم يعمل الانسان فهو مما يدل على ضعف رأيه وعدم معرفته وانعدام الفكر الصائب لديه لأن كل ذلك من المحفزات والتقاعس عنها يعني الخسارة الناتجة عن الانخداع بامر موهوم.

ونجد ان الله تعالى أعد للمؤمنين به ثواباً جزيلاً -في الدنيا أو الآخرة- بمختلف الاشكال المناسبة لحالة العبد المؤمن أو المؤمنة فاذا تخلّى عن الاهتمام بما يفيض عليه ذلك الثواب فانما يشكّل عليه علامة سلبية لا تخدمه... لأنه ترك المضمون وتَابَعَ الموهوم.

الأمر الثالث: لزوم التريث في اقامة العلاقات الاجتماعية على مختلف المستويات: الفردية، الجماعية، العائلية، العملية،... لأن الاستعجال في ذلك يؤدي في كثير من حالاته الى الندم واكتشاف المساوئ في الطرف الآخر والتي قد تسيئ الى سمعة الانسان نفسه، ولا يعني هذا التخلي عن قاعدة (حُسن الظن) بل يصلح ان يكون تأكيداً لها ودعماً من جهة مُسانِدَة إذ لو انساق الانسان وراء ظنه الذي يعتبره حَسَناً لأمكن حدوث مشاكل ومشاكل كان يمكنه تفادي الوقوع فيها. فاللازم اخضاع الطرف المقابل، للفحص والاختبار بالوسائل الطبيعية التي تستظهر سرائره وما ينطوي عليه من روحية وعقلية لهما كبير الاثر في تكوين شخصيته.

فاذا لم يكن ذلك واقبل الانسان متلهفاً وراء اقامة المزيد من العلاقات الثنائية أو الاكثر على مختلف المجالات لأصطدم بالواقع المؤلم فيعرف انه كان عاجزاً عن اجراء العمل الطبيعي وهو دراسته تجريبياً بما يكشف قناع المجاملات وقضايا التعارف الاجتماعي.

فالالتزام بالحذر من الدنيا بان يتوازن في الاقبال اليها والادبار عنها نحو الآخرة التي هي الابقى.

وبالمثابرة والسعي لأن وراء ذلك الثواب المضمون.

وبالاختبار قبل اختيار كل أحد، يوفر-هذا الالتزام بالامور الثلاثة- الحماية الكافية للانسان ليعيش خلوّاً من المكدرات والمنغصات.

﴿حرف الزاي﴾

٧٩- قال عليه السلام:

زهدُك في راغبٍ فيك نقصان حظٍ، ورغبتك في زاهدٍ فيك ذل نفس.

ان على الانسان الذي يسعى نحو التكامل ان يعيش العقلانية في حبّه وبغضه، ولا يترك الأمر وراء عاطفته وان كان لها اكبر الأثر، إلاّ ان مَنْ يريد السيطرة عليها يمكنه ذلك،هذا على مستوى،

ومن مستوى آخر إنّ على الانسان ان يُخْضِعَ حبّه وبغضه لشخص، لعملية جمع وطرح ليرى الناتج بصالحه أم تكون النتيجة انه مغفّل.

فالدعوة لأن نحّب، ونرغب، ونريد، مَنْ احبنا ورغب بنا وأرادنا وإلاّ لكان الانسان قليل الحظ اذ لو لم يقابل المحب والراغب بالمثل لنَفَرَ عنه تدريجاً وابتعد الى غيره وبهذا خسر صديقاً صدوقاً.

وايضاً علينا ان لا نرمي بانفسنا وراء مَنْ ابتعد عنا ورفض علاقتنا واعرض فاختار الغير بديلاً لأن ذلك الاختيار غير المتكافئ يؤدي الى الذل والهوان وهو ما لا ينبغي للانسان ان يختاره.

وهذه دعوة لو التزمناها وسرنا على ضوئها لقلّ التنافق الاجتماعي والتكاشر بين الافراد.

ثم ان (المكاشرة) وهي من ابرز مصاديق النفاق وتعدد الاوجه مما تضيف للمجتمع داءً وبيلاً نستجير با لله منه، وتلقي بضلالها الثقيلة القائمة على

ارجاء كافة المحيطات التي تتولد فيها سواء الاسرة أو المدرسة أو المؤسسة أو ..أو ... ولذا كان لزاماً التحذير من مخاطر النفاق والمكاشرة...

﴿حرف السين﴾

٨٠- قال (عليه السلام) :

السخاءُ ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فحياءٌ وتذممٌ[١] .

الدعوة الى الجود والعطاء، باسلوب مختلف عما تقدم ويأتي في كلامه عليه السلام، وهو ان العطاء الابتدائي لا عن طلب وسؤال هو الذي يستحق اطلاق وصف السخاء عليه، واما اذا كان العطاء لحفظ الشأن ولئلا يُنبز بالبخل وعدم الكرم فهو حفظ كرامة وابقاء لماء الوجه -كما يقولون فالآخذ صاحب الفضل حيث اتاح للدافع فرصة ان يكون ذا يد وجميل عليه لأن ذلك صيانة لسمعة الدافع لئلا يقال في حقه ما لا يليق به.

وعلى أيّ حال فالعطاء من القضايا التي تتسم بطابع انساني واسلامي.

اما الانساني فعلى الانسان الغيور ان لا يترك اخاه الانسان في ضائقة مع امكانه ان يسعف حاجته ويواسيه بما رزقه الله تعالى.

واما الاسلامي فلأن الاسلام اهتم كثيراً بأن يكفل حاجة المسلم ويضمن له تأمينها عن طريق المجعولات الشرعية على المال بكافة انواعه وبمختلف اشكال الجعل كالزكاة والكفارات والصدقات والمال مجهول المالك وغير ذلك مما يُتعرض له في المصادر الفقهية.

---

(١) تَذَمَّمَ منه: استنكف واستحيا. المنجد ص٢٣٧ مادة (ذمَّ).

اذن نحن مدعوون لتحمل المسؤ لية والتكاتف والتآزر والمعونة لكلٍ حسب وضعه الاقتصادي والاجتماعي فلا نرهق كاهِلَ أحد على حساب أحد.

٨١- قال عليه السلام :

سوسوا[١] إيمانكم بالصدقة، وحصّنوا اموالكم بالزكاة، وادفعوا امواج البلاء بالدعاء.

الدعوة الى الالتزام **بثلاثة امور مهمة** لديمومة الحياة للفرد وللمجتمع ..

الأمر الاول: التصدق على الفقراء وذلك يعني امرين، **اولاً:** حفظ الايمان والالتزام بما يمليه من التزامات تجاه الفقراء. **ثانياً:** استدفاع الشر واستجلاب الخير لأنه كما ورد في الحديث أنه (قال رسول الله (ص) الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا مَنْ في الارض يرحمكم مَنْ في السماء)[٢] .

اذن الصدقة تعني المواصلة على خط الايمان والتفاعل معه روحياً وعملياً بما للمواساة من معنى لايتأتى للكثير تطبيقه.

ومن الجدير بالذكر أنه قد ورد في بعض المرويات عن الإمام علي عليه السلام أنه (مَرَّ بالسوق فنادى بإعلى صوته: إنّ أسواقكم هذه يحضرها أيمان فشوبوا[٣] أيمانكم[٤] بالصدقة فإن الله لايقدس مَنْ حلف بإسمه كاذباً)[٥] وعلى تقدير صحة النقل وسلامة السند يمكن فهم شيء آخر وهو أن الدعوة

(١) سوسوا: فعل امر مشتق من السياسة والتي تدور معانيها المتعددة حول القيام بالشئ والتزام الاصلح به واستصلاحه بما يحفظه. لاحظ المنجد مادة (ساس) واقرب الموارد ج١ ص٥٥٧.

(٢) جامع الترمذي مع شرحه تحفة الاحوذي مج٣ ص١٢٢.

(٣) أي اخلطوا.

(٤) الأيمان جمع اليمين القَسَمْ.

(٥) الجعفريات ص٥٨ المطبوع مع كتاب قرب الاسناد.

لاستدفاع الآثار المترتبة على كثرة القَسَم خصوصاً وأنه منهي عنه في عدة روايات[1]. فلإجل تخفيف التبعات كان الأمر بالصدقة.ولكن لم أجد حسب ما لدّي من النسخ المتوفرة فعلاً من نهج البلاغة ما يؤكد هذه الرواية ، نعم يوجد تشابه بين كتابة (سوسوا) و (شوبوا) كما أن هناك بعض القرائن التي تؤيد الفكرة. ومع ذلك كله يبقى في دائرة الاحتمال والاطروحة.

الأمر الثاني: دفع الزكاة المفروضة...

في العملة النقدية ذهباً أو فضة التي كانوا يتعاملون بها سابقاً[2].

والحيوانية (الانعام) ابلاً وبقراً وغنماً.

والغذائية (الغلات) حنطة وشعيراً وتمراً وزبيباً.

على تفصيل يذكر في المصادر الفقهية فالالتزام بذلك وعدم التغافل عنه واخراج المقدار اللازم شرعاً يوفر حماية لما بقى بحيث تُحَصَّن الاموال ويُدْفَعُ عنها ما يُخاف شره كالحرق أو السرقة أو الحسد أو نحو ذلك مما يحذر منه الانسان إلاّ اذا شاء الله تعالى امراً -والذي لا يكون إلاّ لسبب- ويمكننا ان نتفهم كيف تكون الحصانة من خلال الفهم الطبيعي للانسان، فنجد ان اخراج المقدار الخاص وتوزيعه على الفقراء يوفر فرصة العيش لهم فلا يهم أحد بسرقة شئ ولا تصيبه حسرة ولا يفكر في اعتداء مهما كان نوعه لأن كل ذي نعمة محسود فاذا ادى ما عليه من الحق الشرعي بدفع مقدارٍ ليتقوت به الفقير فقد أمنَّ هذا الجانب الى حد كبير.

ولا تقاس الامور بالامر الشاذ فقد يصادف ان يصيب المكروهُ الملتزمَ بتطبيق التعاليم الشرعية بينما غيره لا يصاب، وهذا من خطل التفكير لأن الله

---

(١) لاحظ وسائل الشيعة ج١٦/ ص١١٥-١١٧/ باب ١.

(٢) ولا تشمل العملات القديمة المتبقية كالليرة التي لا تستعمل إلا للزينة ونحوها وكذلك لا تشمل العملات الورقية الحالية ولو كان غطاؤها الذهب.

تعالى غني عن طاعة من اطاعه كما لا تضره معصية مَنْ عصاه وقد ورد ان الانسان لا يبتلى إلاّ بذنب عليه[1] .

الأمر الثالث: التوجه الى الله تعالى والاقبال على الدعاء ليصرف بقدرته كل سوء يخافه الانسان، فان انواع السوء كثيرة جداً قد لا نتصور بعضها مما يستجد يوماً فيوماً ومما يتجدد بحسب المكان والحالة العامة. فالذي يؤمّن الانسان من هذه الانواع كلها هو الالتجاء الى الله تعالى بالدعاء والتوسل ليكون الانسان قريباً من ساحة عفوه وكرمه فيشمل عباده بحنانه وعطفه. ومن المعلوم انه تعالى (اقرب الينا من حبل الوريد) ولا يحجزه شئ عن شئ ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم... ولا...

فلا يظن الانسان في أية حال كان فيها انه بمنأى عنه تعالى فلا يسمعه ولا ينجده بل على العكس تماماً هو سميع مجيب لمن دعاه لكن لا بُدَّ ان يكون الدعاء عن حضور قلب، وتوجه فكر. وليس دعاء الساهي اللاهي الذي يردد كلمات الدعاء وهو غافل عن محتواها أو غير مؤمن به أساساً فمن الطبيعي جداً ان لايستجاب دعاؤه لأنه لم يصِلْ اصلاً ولم يرفع.

---

(١) لاحظ تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٣١، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٩.

«حرف الشين»

٨٢- قال عليه السلام :

شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فانه اخلق[١] للغنى واجدر[٢] باقبال الحظ عليه.

ان هذه الحكمة تستوقفنا كثيراً لما نجد فيها من مشاركة الإمام عليه السلام في المجال الاقتصادي بما يعني انه لم يكن مقتصراً على العبادة أو الحرب أو.. أو... مما يحاول البعضُ قصرَهُ عنده بما يُضيّق سعة الأفق وميدان التحرك. بل الإمام متقدم في كافة اصناف المعرفة فهو يمتلك فكراً قيادياً بمعنى الكلمة وبما يشمل شؤون الدنيا والدين وليس بمقتصر في حدود معينة بما يترك فراغاً لدى المسلمين في جوانب عديدة مما يحتاجون الخوض فيها بمقتضى اوضاعهم المختلفة باختلاف البلدان والعصور والمهن والمستويات الفكرية التي يمتلكونها. فالإمام عليه السلام ليس حكراً -ان صح التعبير- على فئة دون اخرى بل تنعمُ بالاستفادة من تعاليمه وتوجيهاته الأمةُ جمعاء، ومن هنا كانت هذه الدعوة الى اختيار الشريك المحظوظ في العمل، هادفاً الى عدة جوانب منها :

١- ان لا يبتلي المسلمون بالفقر من خلال الركود في السوق التجارية.

٢- ان لا تكثر البطالةبل إعطاء فرص للعمل بما يخدم اكبر عدد ممكن.

٣- ان لا يتأخر الوضع الاقتصادي للسوق الاسلامية بكافة صنوف التعامل المحلل شرعاً.

---

(١) أي اكثر فرصة معه.

(٢) أي اكثر توقعاً عنده.

لأن من الملاحظات التي يبديها البعض ممن لم يفهموا الامر على حقيقته: ان غير المسلمين -عموماً- متقدمين في مجالات العمل والتجارة اكثر من غيرهم وقد يؤدي هذا الى نتيجة: انهم انجح وافضل واكثر كفاءة و.. و.. مما لايكون صحيحاً في واقع الامر إلاّ ان عدم تعامل بعض المسلمين بالتعاليم الصحيحة يترك فرصة لأن يقال هذا وامثاله ويُروّج له.

فاذا اعطى المحظوظ في عمله فرصة مشاركته للغير حقق مكسباً مهماً بما يخدم مصلحته ومصلحة غيره من الافراد والمجتمع فالكل قد تموّج بالعمل وتحركت عجلته بما يعطي مردوداً ايجابياً من الربح والنماء والاكتفاء الذاتي -احياناً- و.. و...

اذن هذه الحكمة تصلح لأن تكون منهجاً ينفع في مجال تدعيم اسس الاقتصاد للسوق الاسلامية بما ينمي ويرفع المستوى، ويقلل من فرص التعطل عن العمل وما يسببه ذلك من مشاكل اجتماعية تترك اثرها السيء على المجتمع.

وقد عرفنا من كل ما تقدم ان التعلل بالحظ أو النصيب أو القسمة أو الرزق أو التوفيق... مما يردده الكثير من شرائح المجتمع انما هو نتيجة الفشل وعدم متابعة الامر بشكل جدّي والاّ فا لله تعالى قسَمَ الخير للجميع واتاح سُبله بما يوفر لكلٍ تأمين وضعه الاقتصادي في الحياة ويكون محفوظ الكرامة.

٨٣- قال (عليه السلام) :

شتّان[1] ما بين عملين : عمل تذهب لذته وتبقى تبعته[2] ، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره.

كل انسان مسؤول عن تصرفاته واعماله الايجابية والسلبية ولا بُدَّ من تبيان الامور وتوضيح عواقبها بما يجعل عملية الاختيار وليدة قناعة بجدوى العمل واثره.

والحكمة تُبيّن الامر وتوضح عاقبته ليحسن اختيار الانسان ويتبصر فلا يكون عمله نتيجة حالة ضغط معينة كالحاجة أو الخوف أو الوعد أو الوعيد أو تلبية الرغبة...

وقد كان التبيان والتوضيح في الحكمة باسلوب رائع من خلال اعطاء المقومات لكل عمل مع عدم اغفال نقطة الضعف.

١-فالعمل الاول وهو العمل غير الصالح (الطالح) الذي يخرج في اطاره العام عن حدود المقبول الشرعي فلا يكون إلاّ مجرد تلبية رغبة مؤقتة مع عدم مراعاة العاقبة ولذا تبقى الاثار السيئة من: المسائلة والمعاقبة والمصير المخزي تلاحقه بعد انتهاء الوقت والعمل .

وهذا نوع مما تمارسه مجموعة ليست بالقليلة من الناس انطلاقاً من اساس التنفيس عن الكبت الداخلي في اشباع الغريزة سواء في الاكل أو الشرب أو الجنس أو الملابس أو الثروة... مما يتعدى فيه الانسان فيمارس اعمالاً غير مقبولة شرعاً فتذهب لذته وما استفاده الانسان مع بقاء الحساب العسير...

---

(١) بمعنى بَعُدَ. المنجد ص٣٧٢ مادة (شتّ).

(٢) التبعة: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر، الاّ ان استعماله في الشر اكثر. المنجد ص٥٩ مادة (تبع).

ومن الطبيعي ان هذا النوع من الاعمال -وهو غير الصالح- لايقتصر فيه على اعمال بعض الاعضاء دون بعضها الآخر بل يتساير مع الجميع وينتج عن الجميع فقد يشبع الانسان رغبته من خلال الأذن أو العين أو الفم أو الانف أو اليد أو سائر الاعضاء التي لها منافع معينة تلبي حاجة الانسان.

٢-والعمل الآخر وهو العمل الصالح فانه يتسم بانسجامه مع التعاليم الشرعية وعدم خروجه عن الحد المقبول شرعاً وغالباً ما يعاني الانسان ازاء تنفيذ هكذا عمل بعض المعاناة الفكرية أو العضلية حتى يتم وينجز ولكن اذا ما أتجه صوب الدار الآخرة فانه يجد ما يقر عينه ويؤنس نفسه ويبهجها من الجزاء الحميد والثواب والاجر بما ينفعه في الوصول الى درجات مهمة ومنازل يتمنى كل أحد الوصول اليها فقد يكون من الصابرين أو الصالحين أو الشاكرين أو العافين أو العلماء أو الحلماء أو الكاظمين الغيظ أو البارّين أو الوجلين من الله واليوم الآخر أو... من درجات ومنازل لا يصل اليها الانسان إلاّ بعد عمل دنيوي وجهد كبير لتكون العاقبة حميدة ولصالحه...

فالدعوة الى ان يبتعدالانسان عن العمل الطالح السئ لئلا يتورط بالمساءلة والمؤاخذة... والى ان يعمل العمل الصالح الخيري ليحظى بالاجر والثواب...

٨٤- قال عليه السلام:

شرُّ الاخوان مَنْ تُكلِّفَ له.

يستفاد من سياق الحكمة ارادة الاصدقاء والاصحاب من (الاخوان) وليس الاخوان الذين يجمعهم مع الانسان صلبٌ ورحمٌ وان كانوا داخلين تحت العموم إلاّ ان الانصراف الى اولئك.

فالدعوة الى اتخاذ قاعدة ينفع السير عليها في العلاقات الاجتماعية وما تفرضه من مجاملات و آداب تختلف باختلاف الازمان والبلدان والأعراف والمناطق... قد ترهق الانسان بقيودها والتزاماتها وما تحتمه من حالات الضيافة أو غيرها مما يحتاجه الصديق وتكلفه المال أو المواقف، ويمكن تبيان القاعدة بان يترسل الانسان ولا يشق على نفسه ولا يتكلف أمراً غير ميسور له بل يسير بحيث لا يُخلُّ بالطرف الآخر ولا يجهد نفسه لان العلاقة الصحيحة ليس من مقتضياتها التكلّف وطلب غير المقدور بل مبنية على السهولة والاغضاء عن التقصير ان وجد وترتيب العذر -لو امكن-، فاذا ابتلي الانسان بمَنْ يثقله بالكلفة الزائدة والاهتمام المبالَغ فيه والمحافظة على رضاه بالشكل الخارج عن المتعارف فذلك انسان سلبي لا يستحق الصحبة واقامة العلاقة الودّية معه.

واحسب اننا لو التزمنا بهذه الحكمة وحاولنا السير على موجبها فستقل حالات فشل العلاقات الاجتماعية بشكل ملحوظ لأن الذي يؤثر سلباً على العلاقات هو التكلّف والتصنع فيها فاذا استبعدنا ذلك فالنتيجة: وجود اخوان للانسان ليساعدوه على نوائب الدهر، ويجد فيهم اصدقاء اوفياء مخلصين يحس ذلك من مواقفهم وعواطفهم .

اذن فالدعوة الى استبعاد كل ما يعرقل مسيرة الصداقة والتقاليد المثقلة لكاهل الصديق.

٨٥- قال (عليه السلام) :

الشفيعُ جناحُ الطالب.

اذا استعصى امرٌ على الانسان فانه يلجأ الى ابتغاء حلّه بعدة طرق وأشكال، فاذا كان الأمر المستعصي متعلقاً بانسان آخر فيحاول ان يطلب عون ثالث ويسمى الشفيع ليؤثر في حل القضية وإنجازها.

وهذه قضية عرفية قلّ ان يخلو منها مجتمع مـن المجتمعـات المتحضـرة أو غيرها ولكن من الامور التي تواجه المعـين (الشـفيع) هـو الـرد والرفـض وعـدم الاحسان له بقبول سعيه وتمرير القضية لأجله.

فـالدعوة الى ان يتعقـل المشـفوع لديـه القضيـة ويتقبـل الشـفاعة لأن بالشفيع يصل المستشفع الى مراده فهو بمنزلة الجناح الذي له دور كبير في عملية طيران الطير فكذلك الشفيع له دور فعّال في انجاح المسـاعي فـلا بُـدَّ للاطـراف الثلاثة صاحب الحاجة والمستشفع لديـه والشـفيع ان يقـدرّوا الحالـة ويتحـاوبوا بالمقدار الممكن من دون ما عرقلة أو طـرح مثبّطـات ممـا تحكـم علـى المطلـوب بالفشل.

وايضاً عدم تناسي دور المحسن (الشفيع) ليتشجع علـى فعـل المعـروف والتحاوب مع اصحاب الحوائج وطالبي الشفاعة الآخرين.

فلإبراز دور (الشفيع) واهميته مهما كان مستواه الاجتماعي أو اهميـة العمل المنجَز كانت هذه الدعـوة الكريمـة فليْتنـا نسـتوعبها عمليـاً ونسـير علـى منهجهـا.

﴿حرف الصاد﴾

٨٦- قال ﷺ :

صاحب السلطان كراكب الأسد يُغبط[1] بموقعِ وهو اعلم بموضعِهِ.

الدعوة الى الابتعاد عن مراكز النفوذ والسلطة، لحساسية الموقع وما قـد تستجلبه على الانسان من متاعب دنيوية أو اخروية، ولا يمكـن لأحـد الوثـوق التام بولائه للسلطان لأنه يقرّب ويبّعد مَـنْ تقتضـي المصلحـة والسياسـة تقريبـه

---

(١) الغبْطَة: تمنّي نعمةٍ على ان لا تحوّل عن صاحبها. المنجد ص٥٤٤ مادة (غبط).

وتبعيده، وليس على ضوابط ثابته بل تتغير بادنى حالة أو زلّة، فان المطلع على اسرار السلطان لا يأمن على حياته لأنه لا بُدَّ من السيطرة عليه لئلا يفشي شيئاً منها.

وكذلك يكون -المطلع على اسرار السلطان- مغبوطاً من الآخرين على اساس انه قريب من السلطان مما يعني تمكنه من تحقيق رغبات وأماني الآخرين ولكنه يعرف اشياء توقفه دون السعي وراء تحقيق أماني الغير وقد يداري -احياناً- وضعَهُ ومنصبَهُ وبقاءَهُ على تلك الحالة فلو مشى قدماً في طريق قضاء الحوائج أو الشفاعة للمظلومين أو.. أو... مما يتوقع من صاحب السلطان فسوف يجابه بالرد وتقليص الصلاحيات -ان وجدت- لئلا يتطور وضعه نحو الأحسن فيكسب من خلال منصبه اصدقاء ومعارف قد يهتفون باسمه في يوم مّا وهذا ما لايروق للسلطان بطبيعة الحال.

فالحكمة تشير بوضوح الى ان على العاقل ان لايأمن من صحبة السلطان أو اقباله على أحد وقد مثّل لذلك بمَنْ يتمكن من ركوب الأسد وهو الحيوان المفترس الذي يُهاب شكله من البُعد فضلاً عن الاقتراب منه والركوب عليه وجعله مطية تمتطى، الذي يعني اقصى حالات السيطرة والتمكن إلاّ انه الراكب- يعرف حساسية موضعه وانه معرَّض في أية لحظة الى ان ينفر به الأسد وينقضَّ عليه، مفترساً له ولا ينفعه وقتئذ اذا خسر عمره غبطةُ الناس وتمنيهم الحصول على موقعه وما يحمله من دلالات واشارات.

ومن المعلوم اكيداً ان صاحب السلطان اذا لم ينفذ امراً، أو عارض حالة ما، أو ابدى خلاف ما يرغبه السلطان، أو اُتهم بالمعارضة لأفكاره، أو وشى به أحد الى السلطان أو.. أو... فانه يكون اقرب الى الهلاك واسرع الى التشفي والانتقام منه.

مضافاً الى أمر مهم جداً وهو ان السلطان معرّضٌ لنزول العذاب والبلاء بحكم ما يصدر منه من ظلم وغصب وانتهاك حرمات و.. و... مما يحتم عليه موقعه لأجل التأديب وفرض السيطرة واظهار القوة، ولكن كل هذه التبريرات لا تكفي لدفع نزول العذاب عليه وعلى مَنْ حواليه والمنتسبين اليه ممن يشهدون الظلم والتعدي والانتهاك ولا يعترضون أو يشفعون، مما يعني الخذلان والخوف من التغير عليه أو العقوبة فيكون مستحقاً للعذاب لأنه لم ينتصر لله تعالى فيما أمر به أو نهى عنه مما يعني رضاءه بالواقع وما يجري من احداث.

فاللازم الابتعاد عن موقع الخطر وموضع البلاء لئلا يزج الانسان بنفسه في حالات غير مأمونة العاقبة شرعاً. ونحن مدعوون للمحافظة على الرابطة الشرعية وعدم التفلّت منها وإلاّ لانطبق عنوان العصيان مما ينذر بالخطر في يوم القيامة.

اذن صحبة السلطان قد تورط الانسان في علاقته مع ربه ومع الناس.

٨٧- قال (عليه السلام) :

الصبرُ صبران: صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تحب.

إنّ الصبر من الأمور الواضحة المعنى جماهيرياً، المجهولة القدر، الصعبة الحصول والتطبيق، لأن الانسان لوجود بعض القوى المحركة للغضب والمثيرة نحو الانتقام تقلّ لديه فرصة التجلد وضبط النفس وعدم الشكوى مما ألّمّ به من نوائب الدهر، بل يُستثار بسرعة وتتأجج بداخله شعلة حب الانتصار والارغام للخصم فلا يصبر وهذا بشكل عام.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يحث على الصبر في عدة من الآيات المباركة[1]، وايضاً ورّد في السنة النبوية الشريفة[2] ما يعزز ذات الأمر بما يدعم

---

(١) قد ورد الترغيب على الصبر وبيان مزاياه في عدة من الآيات المباركة منها:

١-ان الله مع الصابرين. (البقرة-١٥٣).

٢-وبشّر الصابرين. (البقرة-١٥٥).

٣-والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون.(البقرة ١٧٧).

٤-ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. (النحل-١٢٦).

٥-اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا. (القصص ٥٤).

٦-انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب. (الزمر ١٠).

(٢) قد ورد الحث على الصبر في الروايات الشريفة عن النبي وآله صلوات الله عليهم اجمعين منها:

١-قال رسول الله (ص): ان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فان لم تستطع فانّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب فان مع العسر يسراً، ان مع العسر يسراً. (الوسائل ج١١ ص٢٠٩ ح٤).

٢-عن امير المؤمنين(ع) في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: ألقِ عنك واردات الهموم بعزائم الصبر، عوّد نفسك الصبر فنعم الخُلق الصبر، واحملها على ما اصابك من اهوال الدنيا وهمومها. (الوسائل ج١١ص٢٠٨ ح٣).

٣-عن ابي جعفر الباقر(ع) قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمَنْ صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار. (اصول الكافي ج٢ باب الصبر ح٧) -

الفكرة لتترسخ لدى المسلمين فلا يتعرضوا لحالات الضعف والاهتزاز بما يطوّر الوضع الى ما لا تحمد عاقبته وما لا تُرْضَى أواخره.

ولما كان حصول الصبر بالحالة الثابتة لدى النفس بحيث لايجد الانسان كثير معاناة لو اراد التحلي به كانت الدعوة الى بيان الصبر وانه في موقفين:

الموقف الاول: عندما يواجه الانسان حالة يكرهها ولا يريد الدخول في تفاصيلها، وللكراهة هذه اسباب عديدة تختلف باختلاف الزمان والمكان والحالة والخصوصيات الاخرى التي تترك آثاراً على الحالة بحيث يكرهها الانسان. فاذا ارغم الانسان نفسه على التحمل وتمرير الحالة وتجرّع الآلام النفسية وغيرها -احياناً- بما يحقق معنى الصبر، يفوز بما وعد الله تعالى به الصابرين من الاجر والمثوبة والبشرى و(ان الله مع الصابرين).

الموقف الآخر: عندما يكون الانسان في خيار بين ان ينفتح على ما يحب فيحصل له ما يتمنى ويحب، أو يصبر عن ذلك ليحوز على رضا ربه تعالى أو مَنْ أُمر بمداراته كالابوين مثلاً أو غيرهم، فاذا تغلّب على هواه وعزف عن مراده وما يحبه وحاول التعامل مع ما لا يرغبه تحقيقاً لرغبة المأمور بمداراته فسوف ينال اجر الصابرين ويكون في درجتهم يوم القيامة.

وقد بيّن عليه السلام ان الصبر انما هو في هذين الموقفين فاذا صبر الانسان فيهما على ما يكرهه، وعما يحبه ويرغبه فهو الصابر حقاً الذي وُعد بكل خير.

٤-عن ابي عبد الله الصادق(ع) قال: الصبر رأس الايمان. (اصول الكافي ج٢ باب الصبر ح١).
ويلاحظ صحيح البخاري ج٨ ص٣١. وايضاً الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ج٤ ص٢٧٤ الى ص٣٠٢).

٨٨- قال عليه السلام :

صحة الجسد من قلة الحسد.

اسلوب لطيف من اساليب النصح والدعوة اتخذه عليه السلام ليبين ضرورة التخلي أو الابتعاد عن داء الحسد لأن ذلك ينتج تفاعل الجسد مع الروح المريضة الحسودة فيؤثر سلبياً في تناقص الحالة الصحية وترديها.

ومن المعلوم ان الصحة من الأمور التي يحرص عليها الانسان ويحاول الحفاظ عليها وابقاءها من دون ما تدنٍ أو تدهور فاذا عرف الحاسد ان للحسد تأثير سلبي على الصحة فحتماً سيقلع عنه ويبتعد عن مجالاته فيعيش الايجابية اتجاه الآخرين ويتمنى لهم ما يتمناه لنفسه ولا يكون ضيّق النفس بل يحب لهم ما يحبه لنفسه فيضمن راحته النفسية وصحته الجسدية من هذه الجهة -على الاقل-.

فالدعوة الى نبذ الحسد وهو داء اجتماعي يكثر بين كافة الفئات والمستويات من خلال تأمين الجانب الصحي للانسان الذي يتحاشى الانسان بطبعه الاحتكاك بأي شئ من شأنه الاضرار بالصحة.

فهو اسلوب تربوي يبغي توصيل النفع بأي شكل من الاشكال الممكنة.

٨٩- قال عليه السلام :

صدرُ العاقلِ صندوقُ سرِّه، والبشاشة حِبالة[1] المودة، والاحتمال قبر العيوب "والمسالمة خباء العيوب" ومَنْ رضي عن نفسه كثر الساخط عليه.

(١) الحِبالة: المصيدة. لاحظ المنجد ص١١٥ مادة (حبل).

الدعوة الى التحلي بعدة امور مهمة في حياة الانسان إذ تكسبه ثقة الآخرين ومودتهم واحترامهم وهي:

اولاً: كتمان السر اذ لا بُدَّ للعاقل ان يحافظ على اسراره ويكتم كل ما من شأنه أن يؤثر عليه ويشكّل نقطة ضعف له فلا بُدَّ له من استيعاب الامر جيّداً لئلا يفشي سراً قد يتضرر به هو أو غيره لأنه في كثير من الحالات قد يفشي أمراً مكتوماً يؤدي الى تلف الأنفس أو الاموال اذ لا بُدّ من اقفال الصندوق جيداً بما يجعل ما فيه مستوراً عن الغير.

ثانياً: ان يكون الانسان بشوشاً طَلِق الوجه، تعلو وجهه الابتسامة، وبذلك يستجر مودة الآخرين ومحبتهم وهو شيء ثمين يحرص الكثير على كسبه وحيازته لأنه يشكّل بمجموعه العام رصيداً اجتماعياً مهماً يمكن الاعتماد عليه في مشاكل حياتية تواجه الانسان ويكون ملجأه -بعد الله تعالى- رصيدُه لدى الناس وما يحتفظون به من مودة واحترام وتقدير وتكريم بما ينفع في غالب القضايا المواجهة.

ثالثاً: سعة الصدر والقدرة على امتصاص مشاكل الآخرين، ومعاونتهم ولو بالاصغاء اليهم مما يحبب الانسان الى النفوس.

وسعة الصدر سواء في الاغضاء عن الاساءة وعدم المجابهة، أو في عدم مواجهة الغير بمواطن عيوبه ونقصه، كل ذلك يوّفر للانسان حماية واقية عن خوض الناس في عيوبه.

وقد ورد في كثير من نسخ نهج البلاغة "والمسالمة خباء العيوب" مما يؤكد نفس المعنى بحيث لا يفقد الانسان السيطرة على التحمل فيكسب بذلك ستر الناس عيوبه وعدم الكشف عما يكره مما يخصه.

رابعاً: التوازن في تعامل الانسان مع ذاته فلا يعيش معها، ولها، فقط بل لا بُدَّ من ان يعرف جيداً ان هناك من يراقب سير الاحداث فيقيّم الحالة

سواء ايجابياً أم سلبياً بما يعني ان يتعامل الانسان مع نفسه بما يجعلها متجهة نحو العمل الاحسن فلا يقنعها بانها بلغت الغاية ووصلت المرام وانها تفوق الغير وانها احسن من الغير و.. و... مما يحلو للبعض ان يسمعه من الغير أو ان يُسمّعُه هو لنفسه بما يسد لديه فراغاً نفسياً يعانيه وهذا من اشد الاخطاء لأنها تسد على الانسان منافذ العمل، والمثابرة على الانتاج الافضل فيكتفي بما قدّم.

مضافاً الى ان مَنْ تعوّد كيل المديح لنفسه والرضا عن انجازاتها وعما وصلت اليه سيخسر الآخرين لأنه بالضرورة سيقلّل من شأن الغير وانجازاته مما يفقده بعض احترامهم أو يتشنج معهم في العلاقات فيخسر رضاهم فيسخطون عليه فيكون بذلك جالباً لنفسه دعايات مضادّة كفيلة بتحطيمه أو تحجيمه.

٩٠- قال (عليه السلام):

الصدقة دواء منجح، وأعمال العباد في عاجلهم نصب اعينهم في آجلهم.

الدعوة الى التصّدق والتفقد بما يوفر فرصة الحياة الكريمة لمن لم تساعده ظروفه الخاصة على ذلك وبذلك نضمن التقارب في المستويات الاجتماعية وتقليل فرص وقوع الجرائم والمشاكل وما الى ذلك مما يخيّم على المجتمع الآمن فيفقده السلامة والاطمئنان.

وقد اجتمعت في الصدقة مقومات عديدة تساعد على ديمومة العمل بها والمداومة عليها فمنها: ان الصدقة يستدفع بها الانسان الشرور والآفات وذلك بما يلازمها -غالباً- من دعاء وقبول مما يعني وصولها الى محلها المناسب والانتفاع بها.

ولأجل ترسيخ الفكرة اكثر بيّن عليه السلام ان الصدقة كسائر اعمال الانسان مما يلاقيه في الآخرة فيجده حيث يسّره اذ للصدقة اجر وثواب فيُدخر

ذلك الى يوم الفاقة والحاجة وهو يوم الحساب ولا يستغني أحدٌ مهما كان عن رصيد ينفعه في تجاوز المحنة.

فهذا كله محفزٌ نحو المداومة على الصدقة فانها تنفع المتصدق ومَنْ تصل اليه الصدقة.

والصدقة تدخل في مختلف قضايا الحياة فقد تكون بالمال كما هو المعتاد غالباً.

أو بالاعيان كالملابس والمواد الغذائية وقطع الاثاث والدواء وما الى ذلك مما يقوّم حياة الفرد أو العائلة.

أو بالجاه والشأن الاجتماعي فقد يتدخل أحدٌ لإنجاز مهمة آخر أو يتوسط عند أحد لأجل رفع كلفة عنه أو توفير شئ له كالمنصب أو العمل أو الوصول الى حالة افضل.

أو بالكلمة والنصيحة بما يحمي انساناً من شر الوقوع في المكروه والبأس.

ومن المؤكد القوي ان الالتزام بالصدقة يوفر حالة اجتماعية يعوزنا -فعلاً- التوفر عليها والشعور بها فاننا منذ أمد ليس بالقريب نكاد نفتقد التراحم، والتواصل، والتواسي، والشعور بالمسؤولية بما يعين المحتاج ويساعد الفقير إلاّ ببعض المستويات الشكلية التي لا تتصف بالعمق، والجدّية، والحل الوافي، بل تتعلق عند المظهريات والمباهاة امام الآخرين.

﴿حرف الطاء﴾

٩١- قال (عليه السلام):

الطمع[١] رقّ[٢] مؤبد[٣].

الدعوة الى التخلي عن الحرص وعدم الاعتياد على التخلّق به فانه اذا استحكم في الانسان أورثه الذل كما ورد في قول الإمام عليه السلام (الطامع في وَثاق الذل)[٤]. وجعله عبداً لهذه الخصلة الذميمة لا يقدر على التخلص منها في مستقبل زمانه دائماً فيبقى الذم يلاحقه والاشمئزاز من حالته يقابله اينما تواجد لأن الحرص وحُبِّ الاستئثار بالشئ دون الغير يكشف عن سوء دخيلة الانسان وعما يعقد عليه قلبه تجاه الآخرين بما يفقده حبهم و ودّهم وتعاطفهم لأنه من الطبيعي ان يُمْقَتَ ويُذَمَّ ويُبْتَعَدَّ عنه لخصلته هذه.

فلا بد للانسان ان يتخلى عن الحرص ان وُجد فيه فعلاً، وان يبتعد عنه لئلا يوجد فيه مستقبلاً فانه يُظهر ما يبطنه الانسان من عدم الثقة با لله تعالى، والحب المفرط للدنيا وما فيها مع انه ليس بدائم فيها وليس من الضروري بقاءه فيها فلماذا الحرص ومحاولة الجمع وحرمان الغير.

فمن هنا نتعلم ان يكون الانسان محباً للخير ومبتعداً عن الجشع، وعدم القناعة، وحب المزيد. لأن الانسان يجمع ليعيش لا انه يعيش ليجمع ويستكثر بهذه الحالة المقيتة المزرية المنفرة للناس -اعني الطمع-.

---

(١) الحرص. المنجد ص٤٧٣.

(٢) العبودية. المنجد ص٢٧٣.

(٣) الأبد: عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان. المفردات للراغب ص٨.

(٤) النهج ج٤ ص٥٠.

٩٢- قال عليه السلام :

طوبى لِمَنْ ذَكَرَ المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله.

ضمانة اكيدة بالحصول على (كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا زوال وغنى بلا فقر)[1] وهو ما يسعى اليه المؤمن بل العاقل عموماً لأنه هو الشئ الوحيد المنتظَر بعد رحلة العناء والتعب الدنيوي.

وهذا الضمان يتوفر لمن توفرت فيه المميزات الآتية:

الاولى: ان يعرف دائماً انه سيحاسب على اعماله واقواله في يوم القيامة وان ذلك حتمي لا مفرّ منه ولا يمكن التزوير في الحقائق لأن المعلومات موثّقة بما يدين المسيء ويثبت الحق لمستحقه فاذا تذكر الانسان دائماً ان الله تعالى أوجده من العدم وخلقه في هذه الدنيا وسوف يعيده بعد الموت حيّاً ليحاسبه ويجزيه ليكون ذلك بمقتضى العدل الالهي، كل ذلك كفيل بان يخفف من غلوائه وجشعه وتكالبه على الدنيا وجمعها والاساءة فيها، وعند ذلك يؤمِّن لنفسه مقراً في الجنة باذن الله تعالى.

الثانية: ان تكون اعماله في الدنيا، وما يفعله، وما يقوم به انما يساعده على تجاوز محنة الحساب، ويخفف عنه ثقل الحساب، ويهوّن عليه الحساب.

اذن فالاهتمام بالدرجة الاولى فيما يمارسه الانسان من اعمال وما يصدر منه انما هو الحساب لأنه يعني الاخضاع للمساءلة الدقيقة والعسيرة -احياناً- وهذا وحده كاف في الاهتمام بالحساب لأن المحاسب المدقق هو الله تعالى المطّلع على السرائر الذي لا تخفى عليه خافية الذي هو اقرب الى عبده من حبل الوريد فهو يعلم خطرات قلبه وما ينوي القيام به قبل المباشرة. مما يشكل

(١) المفردات للراغب ص٣٠٩. وللمزيد يلاحظ ايضاً تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٦ ص٢٩١.

طوقاً محكماً على افعال الانسان وتصرفاته فلا يخرج بها عن الحدود المسموح بها شرعياً.

فالاهتمام بالحساب انما هو لمصلحة الانسان ليسهل عليه وقوفه عند المساءلة الالهية.

الثالثة: ان يكون الانسان راضياً بما قُسِمَ له مما يسّد احتياجه اليومي ويوفر له ما يستره ويحميه من الذل للغير بما يجعله متسوّلاً أو متمنناً الآخرين الذين لا يتساوون في كيفية الرد فقد يكون عنيفاً فتكون الصدمة وعندها تتضاعف المشكلة ويتفاقم الحل ويصعب.

أمّا اذا تعّود ان يرضى بما اعطاه الله تعالى، وهذا لا يعني في حال من الاحوال عدم السعي وراء مصدر الرزق بل على الانسان ان يبذل الجهد الممكن لتحصيل ما يؤمّن احتياجه ولكن بدون لهفة واندفاع بما يصرف الانسان عن التوكل على الله تعالى والاستعانة به والرضا بمقسومه، ولو فقد الانسان وسائل اتصاله بالله تعالى فانما يحكم على نفسه بالخيبة والحيرة بقية عمره.

الرابعة: ان يكون مؤدباً في تعامله مع ربه وخالقه ومكوّنه من العدم انساناً سوياً فلا ينقم أو يجزع أو يشكو من حالة تمرّ به مهما كانت شدة وطأتها لأن الله تعالى عادل غني عن عباده لا تنفعه طاعة من اطاعه ولا تضره معصية مَنْ عصاه اذن فهو غير متهَم بالحيف والظلم والتجاوز لأنه منزه عن كل النقائص فانه الغني المطلق والانسان هو المحتاج المطلق. فعليه ان يخضع ويخشع فيرضى ويسلّم لعظمته ليكون بذلك من المرضيين لديه تعالى وهو غاية الطموح واقصى المأمول.

فالدعوة اذن للتحلي بهذه المميزات لينطبع الانسان بطابع يؤهله للوصول الى ما يتمناه في الآخرة. الذي يكون الانسان فيها وحيداً لا ينفعه مال

ولا ولد بل يتخلى عنه كل أحد إلاّ ما قدّمه من اعمال صالحة والتي منها هذه المميزات الاربع.

٩٣- قال ﷺ:

طوبى لَمنْ ذلّ في نفسه، وطاب كسبُه، وصَلُحتْ سريرته، وحَسُنَتْ خليقته، وانفقَ الفضلَ من ماله، وامسكَ الفضلَ من لسانه، وعزل عن الناس شرَّه، و وسعته السُنّة، ولم يُنسب الى البدعة.

هذه الحكمة جاءت تالية لما سبقها وقد اتحدتا في طريقة الضمان والتأمين لحصول ما يتمناه الانسان من منزلة رفيعة في الآخرة، وان التفاعل مع هذه المميزات كفيل ببناء شخصية الفرد وحماية المجتمع وتحصيل المطلوب اخروياً.

الاولى: ان لايكون مغروراً معتزاً بما لديه من قوة أو مال أو جاه أو ولد أو ..بل يتواضع للغير فيكون بالمقابل ان الآخرين يقدّرون ذلك له فيكرموه ويحترموه ويوقروه فترتفع منزلته الاجتماعية ويزداد رصيده بما يؤمّن له حياة عزيزة وهذا ما يطمح اليه مَنْ يتكبر ويشمخ زاعماً انه يتوفر على ذلك من خلال ترفعه وغطرسته وتعاليه بينما اذا لاَنَ وتأدب و لم يسئ الى الآخرين في تعامله فسوف يكسب المنزلة الرفيعة في الآخرة والذي قد عبّر عنها بـ طوبى وما تمثله من ادراك الاماني وتحقيق المُنى، وقد تقدم في الحكمة السابقة شرح المعنى لكلمة (طوبى).

الثانية: ان يكون حريصاً على ان يخلو كسبه وما يحصل عليه من منافع دنيوية من الحرام أو الشبهات لأنه اذا كان ما يطلبه الانسان من الربح والعوائد عن طريق مشروع ومن وجه حلال فسيساعده في التخفف من الاوزار والآثام والتبعات وطول المساءلة وشدتها وعسير الحساب وأليم العقاب فيكون مقره ما

أعَدّ الله تعالى للمتقين المراقبين له في السر والعلن، اما اذا لم يلتزم بكل ذلك وتمرد على الضوابط الشرعية وطلب الربح والعوائد من طريق ملتوٍ غير مشروع ومن وجه حرام كان مقره النار وساء مصيراً.

الثالثة: ان يكون سليم القلب طاهر النفس صالح العمل طيّب النية ليحظى بذلك الوعد، وليتعايش مع افراد مجتمعه بما يحقق الامان والسلام والطمأنينة فيكون بذلك عضواً صالحاً في المجتمع يتعلم منه الآخرون ويقتدي به الاشرار ليرتفعوا من حضيض الجهالة الى مستوى الحكمة والعمل الصالح.

وهو بذلك محترم مهاب وهذا ما يسعى اليه الانسان وقد أمَّنَ التوفر عليه من خلال النية الصالحة.

فاذا امكننا توفير عدة نماذج فسننقذ المجتمع من حالات التردي والوقوع في المشاكل والجرائم بما يربك الوضع الأمني للمجتمع، فالكل خائف ومذعور وغير مستقر لوجود ذوي النوايا السيئة.

اذن من اساس بناء المجتمع الآمن تهيئة ذوي النية الطيبة الصالحة الحسنة بما يحقق وجود مرشدين عملياً في المجتمع لتقلّ نسبة الجريمة والتعدي.

الرابعة: ان يكون حسن الأخلاق يتفاعل بايجابية مع الآخرين ويتعامل معهم بكل احترام ومودة وبما يحقق لهم فرصة العيش بخير وسلام. وهذه الميزة ان امكننا تحقيقها اجتماعياً وتكثير عدد المتميزين بها فسنسيطر على حالات وقوع الجريمة والحوادث المؤلمة المنهكة للمجتمع بما تتركه من اعباء واثقال تدوم طويلاً.

الخامسة: ان يكون مواصلاً الآخرين بما يرفد المحتاجين ويساعدهم على توفير الامور اللازمة فيكسب بذلك اصدقاءً واعواناً وموآزرين له في الحياة، كل ذلك بفضل ما انفقه مما زاد عن حاجته ونفقته اللازمة لأن من الصعب

على كل أحد ان يُقدّم غيره على نفسه أو يقاسمه ما عنده ولكن اذا فَضُلَ شئ فينفقه ليبقى الاجر والمثوبة ويدوم النفع والفائدة.

السادسة: ان يتعود الانضباط وحفظ اللسان وعدم الخوض في كل ما يقال لأن ذلك مورِّط في مشاكل ومتاعب دنيوية واحياناً اخروية فاللازم ان يوازن اقواله فلا يفلت منه زمام السيطرة على لسانه. ولايترك الامر من دون ما مراقبة لأن اللسان كفيل باسقاط الانسان في مهاوٍ لايسهل عليه التخلص منها.

فاذا امسك لسانه إلاّ عن اللازم له من الكلام من ذكر الله تعالى بكافة مصاديقه، أو ما يؤدي به عن افكاره ومطالبه، أو ما يصلح به بمختلف حالات الاصلاح بما يجعل اللسان تحت طائلة الحساب والسيطرة وعدم الانفلات لأن لذلك عواقب وخيمة تحكم على الانسان باحكام تفقده نفسه، مركزه، موضعه في قلوب الآخرين، امواله، اصدقاءه، اقرباءه ...

السابعة: ان يكون مأمون الجانب لايصل شرُّه الى الناس. وحالات وصول الشر الى الناس كثيرة...

مباشرة وغير مباشرة.

عن قصد وعن لا قصد.

فلا بد للانسان التوقي منها جميعاً قدر الامكان لئلا يقع فريسة الشر وما يستجره من مواقف عدوانية يأثم عليها وعلى ممارستها في الآخرة، فيكون هو الخاسر في الدنيا والآخرة. مضافاً الى ما يستجره من عداوات واحقاد وضغائن الآخرين فيكون المجتمع معانياً من وطأة الشر واهله بينما الاجدر بالافراد ان يساعدوا على اشاعة الخير ومنع الشر ليعمر المجتمع بالمحبة والاخوّة الانسانية والاسلامية بما يحقق الاهداف السامية التي يسعى المصلحون الى تحقيقها وادامتها.

الثامنة: ان يكون مطبّقاً لسنة الرسول الاعظم(ص) وآخذاً بطريقته وسيرته من دون إضافات وزيادات لأن السُنة النبوية الشريفة قد تكفلت بإتمام جميع ما يحتاجه الإنسان فلم يبق مجال للإضافة والزيادة فإذا ما صدرت إضافة من احد فإنها تكون من البدعة فلا بُدَّ للمسلم ان يكون كفوءاً عندما ينتسب للاسلام ديناً ويعتنقه عقيدة ولا يكتفي بمجرد الاسم والمظهر بل عليه ان يعيشه روحاً وفكرة لينطلق به نحو السمو والرفعة وكل معاني الخير ومن ذلك ان تحصل لديه القناعة الكافية بتمامية القوانين اللازمة لحفظ نظام الحياة بما يسع كافة الأجيال الى يوم القيامة فلا توجد فراغات في التشريع حتى تبقى حاجة لملئها حسب الرغبات الشخصية.

فاذا طبّق ذلك والتزم به من دون ما مخالفة مقصودة فسيضمن الحصول على المكانة الرفيعة في الآخرة ويكون مستحقاً بجدارة للبشارة بـ(طوبى) وما تدلل عليه من حالة بلوغ المقصد. أما لو حاول الإضافة فزاد من عنده وجعل ما ليس من الدين كأنه من صلب التعاليم الشرعية فيأثم ويحاسب على ذلك لأنه من التشريع المحرّم. وفي هذه الفقرة من الحكمة دعوة لتجنب ما يفعله بعض الناس من الرجال أو النساء من الالتزام بأمور لم يثبت ورودها في الشريعة.

التاسعة: ان يكون حذراً مترقباً من الالتزام بكل (عقيدة أُحدثت تخالف الايمان)[1] لأنها مكمن الخطر والانزلاق ولايمكن عندها التدارك خصوصاً وان اصحاب التيارات المواجهة الهدّامة يحاولون التوصل الى اغراضهم بالوسائل المتعددة المختلفة بما يجعل حالة التخلص مستصعبة. ولذا فقد يزيّن ما ليس من الدين بزي الدين لينخدع به البسطاء وينطلي عليهم ولكنه ليس من الدين بشيء أبداً.

---

(١) المنجد ص٢٩. مادة (بدع).

فعلى الانسان ان يعرض كل الافكار على احكام الشريعة الاسلامية وما تحويه من سُنة النبي الاكرم وآل بيته الاطهار (ع) الذين يستقون من منبع فيضه (ص)، لئلا يغترّ وينخدع بالاباطيل المضلّلة.

﴿حرف العين﴾

٩٤–قال عليه السلام :

عَاتِبْ اخاك بالاحسان اليه، وأرْدُدْ شرَّه بالانْعامِ عليه.

ان تاريخ العلاقات الثنائية بين افراد المجتمع يتعرض للتقصير في الحقوق، والاهمال وقد يتطور الامر احياناً فيَصِل الى صدور الاساءة من الأخ والصديق مما يترك ألماً في النفس، وصدمة، وخيبة أمل فيتحرك الانسان الى الانتصار لنفسه عن طريق اللوم والتذكير بالاخوّة أو المواقف الايجابية بما يثير كمائن نفس الطرف الآخر فيشعر بالتقصير أو الضغينة والحقد فيزداد شراً ويحاول ايقاع الاذى به.

فلئلا يتسع الامر وينتشر اكثر فيفضي الى حالات من التشنج والقطيعة جاءت هذه الدعوة الى الرفق والمعاملة بالأحسن ومقابلة الاذى بالاحسان واستكفاء الشر بإسداء المنفعة وتقديم ما فيه الخير عسى ان يرعوي ويتأثر من هذا الموقف الايجابي المتبادل به مع ذلك الموقف السلبي فينصلح ويتحسن وضعه اجتماعياً فيكسب الموقف بانتشاله انساناً سيئاً من وهدة السقوط وليتعود مستقبلاً على معايشة الاصدقاء بالاحسن.

ومن هنا نعرف ان تاريخ العلاقات الاجتماعية تتخلله شوائب ومكدرات ينبغي للعاقل ان لا تكون حاجزاً امامه مهما كانت بل يغضي عن الاساءة و لا يصغي لتحريض مثيري الفتن بين الاخوان والاصدقاء.

ومن المعلوم ان الأخ يشمل كل من تربطه مع الانسان رابطة نسبية كالأشقاء والاخوة الارحام أو السببية كالزملاء والاقران والاصدقاء والشركاء والاصحاب والاحباب ونحو ذلك من الاسباب والروابط التي تجمعها ميادين الحياة، أو الانتماء الى فكر واحد كالاخوّة الاسلامية الايمانية.

٩٥- قال (عليه السلام):

عَجَبُ المرء بنفسه أحدُ حساد عقله.

الدعوة الى السيطرة على النفس وعدم الاغترار باقبال الدنيا أو الحظ أو الجاه أو النجاح في ميدان من ميادين الحياة العلمية أو العملية.

لأن ذلك العَجَب واستعظام الحالة التي هو فيها يؤثر سلباً على التواصل والازدياد بينما الانسان مدعو الى تقديم المزيد والبرهنة على الكفاءة بما هو اكثر واكثر.

اذ عجلة الحياة سائرة متحركة دوماً بالناس فلم تتوقف ليعرف أحدٌ ان ما قدّمه افضل مما قدّمه الآخرون بل هناك الافضل دائماً. فلا بُدَّ ان لا يرضى الانسان العاقل عن نفسه بما يحدد نموّه ويعرقل مسيرته الابداعية في الحياة، وإلاّ لكان اعجابه بنفسه من جملة الحاسدين له الذين يحاول بل ويزاول التعوذ منهم أو التستر عنهم لئلا تزول النعمة التي هو فيها، فان الحاسد يتمنى زوال نعمة الغير مما يعني توقف الغير وانقطاع النفع عنه وتعطّله وتعرضه للمشاكل الجانبية جرّاء زوال النعمة، فهذا الدور للحاسد يؤديه نفس المعجَب بنفسه فانه يأخذه الخيال حيث النشوة والشعور بالانجازات العظيمة مع انه لا بُدَّ من أن يوجد مَنْ هو قريب اليه أو بعيد عنه ممن انجز ما هو اعظم واعظم، اذن توقفَ هو وتقدمَ غيرُهُ. فقد ساعد ذلك على زوال نعمة الابداع وتقديم المزيد، وهذا ما يحدده

ويحجّمه فلا ينمو، ولا يتفاعل مع حركة الحياة فيخمل ويتضاءل تدريجاً، وتلك نتيجة يتحاشاها العاقل.

٩٦- قال عليه السلام:

عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء،

وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غداً جيفة،
وعجبت لَمنْ شك في الله وهو يرى خلق الله،
وعجبت لَمنْ نسي الموت وهو يرى الموتى،
وعجبت لَمنْ انكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الاولى،
وعجبت لعامرِ دارِ الفناء وتارك دار البقاء.

يضع الإمام عليه السلام عدة علامات استفهام، وعلامات تعجب امام حالات تُمَارَسُ في المجتمع تترك اثرها السيئ على افراده بما يغوي الجُهّال ويشجعهم على التمادي في الجهالة بمختلف مناحيها وطرقها وقد ذكر عليه السلام ستة:

الأول: يمسك على يد البخيل الذي لا ينفق ويشح بما آتاه الله تعالى فيظهر بمظهر المُعدَم البائس فينبهه الى ان رفع هذا الشعار انما يعني التراجع العملي عن مسلك الاغنياء الذي حرص على الوصول اليه فهو بهذا تعجّل حالة العُدْم والفاقة وتمظهر بمظهر البؤس والشقاء مع انه من الاغنياء وعلى ملاكهم وفي عدادهم ويكون حسابه آخروياً كذلك فيُسئل عن كل وارداته وصادراته وربما يكون التدقيق اكثر على ما رزقه الله تعالى من نِعَم وافضال ولم

يتمتع بها و لم يوسِّع على عباد ا الله من حوله سواء العيال أم اهل الحاجة ممن يمكنه رفدهم وتنفيس كربتهم وكشف ازماتهم المالية.

ثم يحاول عليه السلام ان يثير فيه الاحساس بالكرامة والعزة ويؤنبه فيؤشر له على واقع حاله بكل صراحة وانه يتساوى في اسلوب عيشه مع الفقير الذي يبتعد عنه ويشمئز منه. اذن فهو غني على الورق فقط، وللعلم والاطلاع رجاءً - كما يقولون- ولكنه فقير في واقع امره نفساً وسلوكاً وهكذا حتى النهاية.

فهل هذا ما ينبغي ان يسعى اليه الانسان ؟! فالدعوة الى التخلي عن البخل والشح وان لا يتصور أن الانفاق والإعطاء يسببان قلة المال بل يؤثران - بالتجربة- في البركة والنماء لأن ا لله تعالى هو وحده بيده مقاليد الامور، والغنى، والفقر فيبارك وينعم بالزيادة.

الثاني: ينبه الإمام عليه السلام الانسانَ ويذكّره بمبدأ أمره وخلقته وانه مهما بلغ بجده في الدنيا فهو المتكوِّن من النطفة المتنفَر عنها فان كلاً من الرجل والمرأة يتنزهان عن المني بالازالة والغسل والتعقيم -احياناً- فتَذَكُرُ هذه البداية الطبيعية لكل مخلوق تكفي للتخفيف من غلواء النفوس وتكبّرها وتعجرفها للسيطرة عليها فلا ترمي صاحبها في مزالق التكّبر والترفع والتعالي الفارغ الاجوف الذي لا مبرر له سوى الطموح والشموخ اللذان يتجاوزان حدود المقبول، وهو ايضاً المنتهي الى حالة يبتعد عنه فيها اقرب والصق الناس به ويسد انفه من جرّاء نتن رائحته وجثته المنتنة.

فمَنْ كانت تلك بدايته وهذه نهايته فهو الجدير والحقيق بأن يتواضع ويتعامل بقرب ولطف من الآخرين ويحاول جاهداً الابتعاد عما يذكّرهم بتلك البداية وهذه النهاية.

فالدعوة اذن الى التخلق بالتواضع والتأدب وفق موازين العقل والشريعة من دون ما تعالٍ وتغطرس فان الحال واحد.

الثالث: يرشد الإمام عليه السلام مَنْ لم يتيقن وجودَ الله تعالى مع هذه الدلائل والشواهد الى ان يستدل على وجود الشئ من خلال وجود آثاره وصنائعه فان ذلك انجح شئ للوصول الى الطريق الصحيح، والكونُ بما فيه ومَنْ فيه انما هو من خلق الله وابداعه واختراعه وصنعه، لم تُذكر لأحد مهما كان مشاركة في اصل التكوين ومبدأ التصوير.مما يعني التفرّد في الخلق والتوحد في التدبير مبدأ ومنتهى.

ولابد من الاهتمام بترسيخ العقيدة اكثر من الاهتمام بسائر شئون الحياة، لأن بالعقيدة ينجو العبد من النار والحساب العسير، فلو اعتقد عقيدة أخرى غير الإسلام استحق النار لانّ العقيدة الاسلامية بكل تفاصيلها هي التي يلزم الايمان بها في هذا العصر لأن الاسلام خاتمة الاديان السماوية وهو الدين العالمي الدائمي حتى يرث الله الارض ومَنْ عليها.

الرابع: يُذَكِّرُ عليه السلام الانسانَ بالنهاية المنتظِرة لكل أحد من المخلوقات وهي الموت الذي هو دائم الحضور بينما ينساه الانسان مع كثرة ما يشاهده من اموات فان ذلك أمر منتشر في الكون أجمع فان دلَّ هذا على شئ فانما يدّل على التوعية الدائمة والتذكير المستمر والتنبيه الحثيث لئلا يرتكب الانسان ما يتنافى وما بعد الموت من الحساب والمجازاة.

فالدعوة الى تذكر الموت عملياً لا بجرد القول والمظاهر لأنها تتلاشى فلا تصل الى الاعماق بينما استشعار: ان الموت ينتظر كلاً منّا ومن غيرنا من مخلوقات الله تعالى يجعل الانسان منتبهاً دائماً فلا يغفل.

الخامس: يذكّر الإمام عليه السلام بيوم القيامة وما بعده من الحساب والمسائلة الدقيقة عن جميع ما عمله الانسان في حياته الدنيا، إذ ان البعض ينكر أو يشك

بحياة اخرى بعد الموت مع ان الدلائل ثابتة على ذلك ولأن خالقَ الدنيا وما فيها ومَنْ فيها ومبتدعها من العدم وموجدها من اللاشئ قادرٌ على ايجاد حياة ما بعد الموت بكل تفاصيلها المقبلة –والتي لم نتوفر إلاّ على القليل منها لعدم الوصول اليها– وهو القادر على كل شيء.

وقد ورد في قوله تعالى ﴿ ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكَرون﴾ سورة الواقعة آية(٦٢)، كما قال تعالى ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ سورة العنكبوت آية(٢٠)، وقال تعالى﴿وأنَّ عليه النشأة الآخرى﴾ سورة النجم آية(٤٧).

السادس:ينصح الإمام عليه السلام الانسانَ المنصرفَ بكلّه نحو الدنيا وما فيها بان لايهمل الآخرة لأنها الادوم والابقى فلا يغتر بما اوتي من مال، جاه، نفوذ، قوة، سلطان، اولاد، عقار، وغير ذلك مما يتركه ويخلّفه لغيره ويذهب وحيداً إلاّ ما يستره، وإلاّ عمله الصالح الذي ينفعه عند المساءلة، وعرض الاعمال على الواحد القهار الذي لا يحيف و لايظلم فيجازي كلاً بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر، ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ سورة غافر آية(٣١).

فالدعوة الى الموازنة والعمل للدنيا بما يمرر الحالة فيها، والعمل للآخرة بما ينفع فيها.

٩٧– قال (عليه السلام) :

عجبت لِمَنْ يقنط ومعه الاستغفار.

الدعوة الى عدم اليأس ومحاولة البداية الجديدة مع الله تعالى فإنّ طلب المغفرة والتماس السماح والتكفير عن الذنب والخطأ كفيل بفتح سجل جديد قد أُبعدت عنه كل الصفحات السود السابقة بما يعطي حافزاً نحو العطاء

والمواصلة بما ينفع المجتمع وينمّي فيه القابليات ويدعم مسيرة التوحيد ليظهر العدل الالهي واللطف الرباني اللّذين ادركا الانسان العاصي فأنقذاه من الجهالة والانحراف الى حيث الانفتاح على دنيا جديدة وعالَم جديد بما يزيد عدد المنفتحين على الله تعالى والمبتعدين عن الضلالة والخطيئة.

فالحكمة تستقطب أولئك العصاة القانطين الآيسين من بلوغهم الى ساحة عفو الله ومغفرته، وسعة رحمته وتجاوزه عن العاصين.

ولكن من المعلوم لكل أحد ان الاستغفار علاج نافع بشرط الصدق وعدم العودة الى الماضي والتخلص من كل ما يذكّر به أو يتصل بالسابق ليخلو الانسان ويخلص من الآثام تماماً فتكون توبته صادقه ناصحة ناصعة نابعة من القلب والشعور بالتقصير وارادة العودة حيث رحاب الله تعالى. فعندها يكون الاستغفار علاجاً نافعاً للمذنبين وإلاّ فلو كان مجاراةً لحالة عائمة من مظاهر خدّاعة أو استجابة لالحاحٍ من دون ما اقتناع بضرورة الاستغفار والانابة الى الله تعالى فلا ينفع بل يعاقب على حالة التجري واقتحام الساحة من دون ما اقتناع بالاهمية والافضلية، فليس الاستغفار مجرّد قول نردده بل هو إيمان ويقين بالله تعالى وتوجه وانقطاع اليه ومعرفة مخلصة تامة بأنه الطريق الوحيد للانقاذ فعندها تفتح للعبد ابواب القبول فيدخل عالَماً جديداً يُحتفى به بمقدار ما يقدّمه من عطاء وانتاج بما يخدم المسلمين ويُعلي صرح الدين ويُبقي كلمة لا اله إلاّ الله محمد رسول الله عالية على كل الكلمات.

٩٨- قال (عليه السلام) :

عرفت الله بفسخ العزائم[١] وحلّ العقود[٢] ونقض الهمم[٣] .

رُوي (أن رجلاً قام الى أمير المؤمنين (ع)

فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟

قال: بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، علمت أن المدبر غيري)[٤] .

فالدعوة الى الإيمان با لله من خلال تأثيره في حياة الإنسان، وما يقدّره تعالى للإنسان وما يتصرف فيه كيف يشاء وفقاً لحكمته عز وجل المتعالية ومصلحة العبد ذاته، فإنّ هذا التدبير من حيث يشعر العبد أو لا يشعر يدل دلالة واضحة و أكيدة على وجود الله تعالى بما يجعل الإنسان متيقناً بوجود قوة غيبية تحميه وتحفظه وترتب شئونه وقضاياه.

ومن هنا يُعلم ان الاعتماد التام على الكفاءة العقلية، البدنية، العلمية،... أمر غير صحيح بل الصحيح أن يعرف الإنسان أنه مرعي وملحوظ ومحفوظ، وهذا أمر يشمل كل المخلوقات فخالقها يحميها ويدبرها.

ومن صور الحماية والتدبير أن يُصرف الإنسان عن أداء عمل كان قد توجه إليه أو باشر به فلا يتم له ما أراد ثم يكتشف بعد ذلك أن الخير كان في عدم إتمام العمل، والشواهد على هذا كثيرة جداً ومتوفرة لدى كل أحد تقريباً.

---

(١) العزائم جمع العزيمة: الإرادة المؤكدة. المنجد ص٥٠٤ مادة (عزم).

(٢) أي الشيء المصَمّم على تنفيذه.

(٣) الهمم جمع الهِمَّة: العزم القوي. المنجد ص٨٧٢ مادة (هم).

(٤) التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٣٣ ط النجف.

فهذه المداخلة في حياة الإنسان فرصة لأن يفكر الإنسان جيداً ليعرف ويتيقن وجود الله تعالى وعظمته وقدرته على حفظ المجموعة الكونية بأجمعها في آن واحد.

٩٩- قال عليه السلام :

عِظَمُ الخالق عندك يُصغّر المخلوق في عينك.

الدعوة الى تعميق الايمان بالله تعالى في النفس، والتأمل بمظاهر قدرته تعالى فانها اكثر وضوحاً للوصول الى الايمان الكامل بعظيم قدرته على الاشياء أياً كانت ومهما كانت. لئلا يُخدع الانسان بما يواجهه من مظاهر التقدم العلمي أو مراحل الانتاج البشري أو وسائل الرقي الى مستويات متقدمة في مختلف شؤون الحياة.

فان لدى الانسان المؤمن الواعي السبيل الكافي للايمان الراسخ اذا تيقن بالله وعظمته فاذا داوم على ذلك فسيصل الى حالة استصغار ماعداه مما يواجهه في الحياة من ابداع ومبدعين، لمعرفتِهِ بأنَّ ذلك من فيض الله تعالى وتمكينه لعباده، ومن عطائه وواسع رحمته وليس من مقومات المبدعين الشخصية، البدنية، الذهنية... اذ لو اراد الله تعالى تعجيز أحد لما تمكن العبد من الافلات من ذلك والسيطرة على تحقيق مراده ومطلوبه لاستحكام قدرة الله تعالى.

فلا بُدَّ من عدم الاغترار بمظاهر الاعجاب في الحياة البشرية وانما التوجه بالاعجاب نحو الذي اعطى القدرة على جميع ذلك.

فالمؤمن لا يستعظم شيئاً على قدرة الله تعالى بل يستصغر كل ما دونه عزّوجلّ لانه مخلوقه ومن صنع الله الذي اتقن كل شئ.

١٠٠- قال (عليه السلام) :

العفافُ(١) زينةُ الفقر، والشكر زينةُ الغنى.

لاشك ان لكل شئ في الحياة ما يزيّنه ويحسّنه، وآخر يقبّحه ويسئ اليه.ويصادف الانسان في حياته تقلّبات متعددة تطرأ على شؤون حياته فتغّيرها ألواناً وألواناً ومن ذلك الفقر والغنى، فاذا كان الفقر والعُدم والحاجة وعدم التمكن من تحقيق المراد لقلة ذات اليد وانعدام المال أو قلّته جداً بما يعجز معه عن تسديد الاحتياجات وتلبية المتطلبات فحتماً يكون التفكير بالحصول على المال مُلحّاً جداً ويتخذ عدة مناحي ويسيطر على تفكير الانسان بما يلهيه عن التفكير في الشؤون الحياتية الاخرى لأن المال وسيلة تخاطب وتعامل وانفتاح وتوصل و.. و.. في الحياة ولكن على المؤمن ان لاينساق بعيداً وراء ذلك بما يفقده اُسسه الايمانية التي يرتكز عليها اذ ليس المال كل شئ في الحياة أو عند الانسان بل لا بُدَّ من الاقتناع التام بانه شئ من الاشياء له اهميته وله مفاسده ومن ذلك ان يلجأ الفقير الى الوسائل غير السليمة للحصول على المال كالجشع والطمع والسرقة والغش و..و.. لكن اذا سيطر على نفسه وعَّف عن مال غيره مهما كان المال ومهما كان الغير زيّنه ذلك واضفى عليه رونق العفة والامانة لأن الكف والامتناع عن ما لايحل زينة الفقير اذ قد سيطرت عليه مظاهر البؤس والفقر فلم يعد هناك ما يزيّنه لا مال، لا جاه، لا منصب، لا سلطة،... لكن جاء العفاف ليزينّه وليكون ناطقاً عنه بانه يتمتع بالشئ المهم جداً في الحياة العملية للانسان بما يحمي المجتمع من حواليه ويضيف الى قائمة حسناته حسنة اخرى تكون نقطة تحوّل في غاية الاهمية. اذ الكثير ممن يقتني ويجمع المال ولكنه من دون عفاف فلا يترك أي اثر له أو أي شئ يثير الانتباه اليه.

---

(١) عفَّ.. عفافاً: كفَّ وامتنع عمّا لايحل أو لا يجمل. المنجد ص٥١٤ مادة (عف) وهو بمعنى الترك والامتناع.

فلا بُدَّ للانسان الفقير ان لا يستولي عليه الجزع من وضعه الاقتصادي المادي المتردي بل عليه أنْ يعرف جيداً انه يمتلك ماهو أهم من المال عند الاغنياء وهو حالة السيطرة على النفس فيمتنع عن الوصول الى ما لايحل له مما يعني انه مراقب لله تعالى ومؤمن حق الايمان لا بمجرد رفع الشعار من دون ما تطبيق.

وايضاً فالغني انما يزيّنه ويضفي عليه ما يزيد من احترامه واكرامه وزيادة النعم عليه -انما هو- الشكر ومعرفة النعمة وتقديرها وعدم التنكر لها وعدم استعمالها فيما لايرضى الله تعالى وعدم الاستعانة بها على المعاصي.

بما يحقق للشكر مظاهر عديدة غير مقتصرة على اللسان بل يتعمق في داخل الانسان فيظهر من خلال تصرفاته وافعاله مما يدلل على الشكر وعرفان النعمة والثناء على المنعم تعالى.

فلا بُدَّ للغني ان يعرف ان المال وديعة عنده، لادوام له والشواهد على ذلك كثيرة بما يدعم الفكرة ويقنع بها فعليه ان يغتنم وجوده ليستعين به على طاعة الله ومراضيه بما يرّفه به على عياله أو يعين مَنْ حواليه ومَنْ يعرف حاجتهم بما امكنه من ذلك.

وعليه ان يحسن التلقي لأنه لو اساء ذلك لذهبت النعمة عنه ولا تعود اليه.

وعليه ان لا يغتر بتوارد النِعَم عليه فليس ذلك مؤشراً ايجابياً دائماً بل قد يكون للاستدراج والاختبار.

وعليه ان يشكر الله ويثني عليه بما يليق به مما يقدر عليه قولاً وفعلاً ولا يكون تقليدياً في اظهار الشكر من خلال ترديد عبارات الشكر.

١٠١- قال (عليه السلام):

العلمُ علمان: مطبوعٌ ومسموعٌ، ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع.

التأكيد على حقيقة أكيدة راسخة وهي ان العلم بالاشياء يتخذ شكلين:- **الأول:** مجرد وصول المعلومة والعلم بها، **والآخر:** التطبيق العملي الناشئ من خلال الانطباع والتأقلم من الداخل مع هذا العلم فيكون تأثيره اجتماعياً أهم من مجرد وصول المعلومة.

ولذا قد ورد الحث الكثير على مطابقة العلم للعمل وان لا يتخلف الانسان عملياً عمّا عَلِمَهُ وعَرِفَهُ والاّ فيكون حاله حال آلات التسجيل والطباعة والكمبيوتر فانها تحوي العلم ولكن لا يمكنها تطبيقه عملياً فلا تنتفع به ولا يقال في حقها انها عالمة مع انها تشارك الانسان في احتواء المعلومات و خزنها إلاّ انه يفترق عنها بالقدرة على العمل والتطبيق سواء بفعل ما يجب فعله أو ترك ما يجب تركه.

١٠٢- قال (عليه السلام):

العلمُ مقرونٌ بالعمل فمَنْ علم عمل، والعلمُ يهتف بالعمل فإنْ أجابه وإلاّ ارتحل عنه.

هذه دعوة اخرى تؤكد نفس المعنى لسابقتهاألا وهو إتّباعُ التعلم بالتطبيق، وأنْ لا تخالف أقوالُ الانسان ما يفعله مما لا يلتئم مع ما يرفعه من شعارات برّاقة، فلا بُدَّ من المحاسبة جيداً لئلا يتخلف احدهما عن الآخر بل لا بُدَّ من المحافظة على الاقتران والملازمة بين العلم والعمل لتكون الحصيلة:توازن الانسان في تصرفاته وعدم تخلّيه عما يردّده من ألفاظ فيكون عندئذ محلَ ثقة واطمئنان النفوس فان ذلك يؤشر على مدى تعمّق الفكرة والتزام صاحبها بها

وان ذلك ناشئ من التصميم والاقتناع التام وليس لمجرد التأثيرات الجانبية التي قد يخضع لها الانسان في بعض ادوار حياته.

مضافاً الى أنّ في الحكمة تلويحاً بان العلم اذا لم يستعمله الانسان فيما يرضي الله تعالى بل تركه واهمله ولم يطبّقه فانه يُسلب عنه فلا يستطيع بعدها القول بانه عالم اذ قد ذهب عنه بهاء العلم وعزّته ورونقه وسائر ما يتركه العلم في المتعلم أو العالم من آثار ملحوظة للفرد والمجتمع وعندها تكون دعواه بدون شاهد، فلا يُصغى لقوله، ويفتضح أمره، ويتجرأ عليه عاديُّ الناس وصغيرُهم إذ كانت الحصانة الوحيدة له خوف الله ومراقبته فيعمل بما علم فاذا تخلّى عن ذلك فسوف يذل ويهون قدره حتماً من حيث يشعر أو لا يشعر، وكل ذلك مما يعني جفاف الروح وذبولها اذ لو لم تكن كذلك لبانَ الاثر.

اذن لا بُدَّ من الالتزام التام لأهل العلم عموماً أنىّ كانوا ومتى يكونوا وفي أيّ درب من دروب العلم سلكوا والى أي باب من ابوابه توجهوا.

لأن بالالتزام التام -الذي اعني به التطبيق العملي الفعلي- يتم ما يتمنى الانسان من بلوغ مراتب عالية اجتماعية أو وظيفية منصبية -مؤقتة-.

﴿حرف الغين﴾

١٠٣- قال عليه السلام :

الغنى والفقر بعد العرض على الله.

الدعوة الى عدم التباهي بالمال فإنّ الغني مَنْ نجا بعمله والفقير مَنْ أُحتبس بذنوبه وليس الغني بكثرة امواله، وكذلك الفقير ليس مَنْ عَدِمَ المال واحتاج الى غيره وانما مَنْ تورّط في الحرام أو الشبهات واستعصى عليه المخرج فانه الفقير المحتاج، بينما مَنْ عمل عملاً صالحاً واهتدى الى التي هي اقوم سبيلاً فانه الغني المكتفي عن غيره.

فليس المهم الغنى والفقر في الدنيا فان الاول لايهم كثيراً وان الآخر لا يضرّ كثيراً لزوال الدنيا وعدم استقرارها على حال ولكن الدار الباقية والحالة الدائمة هي الآخرة وما فيها من نعيم مقيم أو عذاب دائم فعلى الانسان العاقل ان يحرص على تحصيل ما يغنيه في الآخرة من الحسنات والعمل الصالح ولا يكون ملهوفاً على جمع المال في الدنيا واقتناء الاثاث والتكاثر بالاولاد والاحوال وانما عليه ان يهتم كثيراً لحاله في الآخرة يوم لا ينجيه إلاّ عمله ولا يخلّصه إلاّ الورع والتقوى.

وايضاً على الفقير ان لايحزن كثيراً لفقده مقوّمات العيش الماديّة فالنتيجة لصالح مَنْ يكون غني العمل الصالح لا غني المال النافذ، خصوصاً وانه اذا حاز العبد رضا الله تعالى فانه سيكون اغنى الاغنياء بينما اذا خسر ذلك - والعياذ بالله- فانه سيكون افقر الفقراء لأن مصير كل منهما يحتّم تلك الحالة.

فلا بُدَّ ان لايُحتقر أحدٌ أو يستهان به لفقره، أو يُحترم أحد أو يُقام له لغناه وانما لا بُدَّ من متابعة الحالة الايمانية فان كانت نشطة لديه فهو الغني حقاً وان كان فقيراً بالحساب المادي، والعكس صحيح.

١٠٤– قال عليه السلام :

الغِيبَةُ جهد العاجز.

الغيبة من الادواء التي تكثر في اغلب المجتمعات وخصوصاً تلك التي يتوقع فيها الالتزام ومزيد التحفظ، وهي مُفْسِدَةٌ لأخلاق الفرد ومُضِرَّة به ومخلخلة لكيان المجتمع اذ تلقي بذرة الحقد والضغينة فتنشأ العداوات والمهاترات الأخرى التي تضر بجميع الاطراف.

وقد جاءت دعوة الإمام عليه السلام الى التخلّي عنها لأن الذي يركن اليها ويستعين بها انما هو غير القادر على المواجهة والعاجز عن المدافعة واما القادر على ذلك فيلجأ الى الحوار والمناقشة البنّاءة بما يقنع الطرف الآخر ويصحح له الحال.

وأما ترك الأمر والالتجاء الى ذكر العيوب فانما يدل على ضعف النفس وعدم قدرتها على المواجهة وهذا ما يشكل خللاً في التوازن الشخصي للانسان ومن ثَم للمجتمع بما ان الفرد نواة لتكوين المجتمع. فينشأ جيل يستعينون على امورهم بنشر معايب الخصوم والأخذ بطرق السلبيات وهذا ما يتخوف منه إذ قد يستجر الانسان الى النسبة الباطلة للطرف الآخر وهو ما يدخل تحت عنوان الكذب، البهتان...

وهو مما يُعَاقَبُ عليه بالنار فهو اذن من قسم الذنوب الكبائر فضلاً عن ان الغيبة بنفسها من قسم الذنوب الكبائر.

ولو تصورنا مجتمعاً خالياً –ولو نسبياً– عن الغيبة لأمكننا الحكم بانه مثالي ومتحضر ولا بُدَّ من السعي اليه أو التخلّق بمثل اخلاقه الفاضلة هذه.

١٠٥- قال (عليه السلام) :

غَيرةُ[1] المرأةِ كفرٌ، وغَيرةُ الرجلِ إيمانٌ.

الدعوة الى أمرين :

الأمر الأول: تخلي المرأة عن الغيرة وما تعنيه من انسياقها المفرط وراء عاطفتها وما تستجره من تصرفات غير مَرْضيّة -غالباً- بل عليها التصرف بحكمة ورزانة فيما تتعرض له من مواقف لتكون بذلك أكثر تطبّعاً وتعوّداً على تقبّل الأحكام الشرعية وتلقيها بإيمان ومعرفة.

وإلاّ فينتج أن تُقابِل الأحكام الشرعية بالرفض وحالات من التشنج والمجابهة متناسيةً الجهة المشرِّعة ومتجاهلةً التبعات المترتبة على ذلك وعندها فتخرج عن إطار التدين والإيمان الى ساحة الانفلات وعدم الانصياع للأوامر الصادرة بحقها من الله تعالى.

ولتوضيح الفكرة سأستعرض بعض الحالات المرصودة مما يبرز فيها عنصر الغَيرةَ بما تعنيه من اللامبالاة بالأحكام وبما تعنيه من الاصرار على إرضاء الذات وتلبية نداء العاطفة والانوثة، فمن تلك الحالات:

١-عدم تقيّدها بالحجاب والملابس المحتشمة التي تضفي عليها الوقار والحشمة والعفة وذلك من واقع شعورها المتصاعد بالغَيرة ممن فعلن ذلك فتحاول ان لا تبقى وحيدة منفردة (نشَاز) ولئلا يعيبها أحد و.. و... مما تفسر به تصرفها ذاك فتخلع لباس العفة وتعوضه بما لا يليق بها كأنثى، مسلمة، ملتزمة، إنسانة... فيُبديها وكأنها أحدى المعروضات التي يتطلع اليها مَنْ يرغب، ومَنْ يريد إشباع فضوله وعندها فقدت أهميتها وصارت كأي سلعة مبتذلة غير مصونة، فعند ذلك خسرنا إنساناً وكان التعويض عنه بصورة إنسان

---

(١) الغَيرْة: الحَميّة والأنفة. لسان العرب مج٢ ص١٠٣٦ مادة (غَيَر).

وبأداة طيّعة لا ترفض يد لامس ولا تحتشم من عين ناظر ولا تتحرّج من سماع كلمة غير لائقة و.. و... مما يؤدي اليه عدم التقيّد بالحجاب...

٢-عدم تفهمها للحالة الطبيعية التي قد يمر بها بعض الرجال من الحاجة الى تعدد الزوجات لأسباب وظروف عديدة.

فتغار من المشارِكة لها في زوجها متناسية أن ذلك -التعدد- أمر مشروع مسموح بممارسته وقد تكفل لها المشرّع الإسلامي بضمان حقوقها كاملة، فلا يعني تقصيرُ بعض الرجال أهمالَ حقوقها، بل حقوقها محفوظة مرعية و هذا ما يجب الاقتناع التام به لأنه يخفف من بعض الثورة النفسية لدى المرأة على تشريع التعدد.

فإذا ما أصرّت على عدم تفهم ذلك بما يثير بعض علامات الاستفهام حول التشريع فيؤدي إصرارها الى عدم الإيمان ببعض ما هو مشروع بما يؤشر ضمناً اتهام العادل في عدله وهو ما لايقبل بحال بل ولا يسامح عليه إلاّ أن تتوب.

نعم يهون الأمر أحياناً بأن المرأة تتعرض لحالة انفعال نفسي فتقول ما تقول وتعترض إلاّ أنه يبقى بمجرد لقلقة لسان من دون اعتقاد فعندها لا تخرج عن إطار الإيمان ولكن لا بد للمرأة المؤمنة أن تبتعد عن كل ما من شأنه الاعتراض ولو الشكلي حتى لا تتعود عليه فتتحول الحالة الى ما يصعب اقتلاعها.

٣-عدم تعاملها اللائق مع مثيلاتها وذلك بالاغاضة، وتحسيس الطرف المقابل بالوضع المتدني سواء اجتماعياً، اقتصادياً،...

وهذا مما يؤذي ويجرح -أحياناً- فيؤدي الى حالات من الهضم وانتقاص المؤمنات واحتقارهنّ و.. و... مما لا يجوز إذا كان عن قصد وعمد.

والسبب المهم في هذه الحالة وتحريكها هو الغيرة، وحب الذات، والاستعلاء...

٤-عدم اهتمامها بالنتائج المترتبة على ما تقول أو تفعل وذلك إرضاءً لما تشعر به في داخلها من عقدة الشعور بالنقص، وتفوّق الغير عليها ولو في بعض المواقف البسيطة.

فلا تبالي بمصير الطرف المقابل عندما يصل اليه أثر قولها أو فعلها.

ولا تبالي بمشاعره وبمدى تأثير ذلك عليه ولو نفسياً فإنه كثيراً ما تجرح العواطف بسبب كلمة.

وكل هذا مذموم يؤشر في أحيان كثيرة

على عدم إيمانها بالاخوّة الإيمانية التي تربط أفراد المجتمع.

وعلى استخفافها بالآخرين ممن جعل الله تعالى لهم حقاً.

وعلى استهانتها بأحكام الله عز وجل لأنه كما تقدم قد تكون نتيجة قولها أو فعلها إلحاق الأذى والضرر بالغير بما يلغي الحياة أو يحجّم الوضع أو يقطع أسباب العيش أو يتهم بخيانة أو دناءة أو.. أو...

مع أنه قد لايستحق الموقف كل ذلك ولكنها قد وقعت تحت تأثير الغَيرة فأخرجتها عن حالة التوازن الى حالة التفريط أي عن الإيمان الى عدم الإيمان.

لأنها لو كانت تؤمن حقاً لحسبت جيداً حساب النتائج المترتبة فإذا لم تبالِ بذلك فهو عدم الإيمان.

فالدعوة الى أن تتخلى المرأة عن انسياقها المفرط وراء عاطفتها

والى أن لا تتسرع في اتخاذ بعض القرارات الحساسة لما لذلك من آثار سلبية عليها أو على الآخرين.

والى أن لا تتهور فتتصرف بما لا تحمد عقباه.

بل عليها الالتزام بالأحكام الشرعية والآداب الإسلامية التي قد غطت مساحة الحياة بأكملها فلم يبق فراغ حتى تتولى هي إشغاله بحكم مناسب بل على المرأة -كما هو على الرجل أيضاً- أن لا تنسى الدين، المبدأ، الإنسانية في كافة المواقع وفي مختلف الحالات التي يتعرض لها الإنسان في الحياة.

وبعد ذلك تكون المرأة مؤمنة وإلاّ فهي ليست بمؤمنة بتمام معنى الكلمة.

الأمر الآخر من الأمرين التي تدعو اليهما الحكمة:

تحلّي الرجل بالغَيرة وما تعنيه من اتصافه بالمعاني الإيجابية التي تجتمع لتكمل شخصية الرجل بما يجب أن يكون فيه كالحَميّة ورفض كل ما من شأنه الخدشة بحرمة عِرضه وما يصونه من الأهل والمال والوطن وسائر القيم والمبادئ والمقدسات، لأن اتصافه بذلك يعني تكامله المستمر في خط الإيمان وعلى درب الفضيلة بما يجعله بحق لائقاً بوصف: رجل، مؤمن، محافظ على التزاماته، غيور حتى يتعلم درساً بليغاً في أن لا يكتفي بالاسم دون المضمون.

أي لا يكتفي بأن يقال له مسئول عن شئون أسرة، زوجة، أولاد، أم، أخت، ... فيتكفل بتأمين الاحتياجات الاقتصادية الاولية أو الكمالية فيكون هو الممول وهم المستهلكون. بل يضم الى ذلك شعوره بالمسئولية الأخلاقية تجاههم بما تحويه هذه الكلمة من انضباط وتقيّد وحُسن سلوك.

والنتيجة تكون لصالحه وصالحهم لو التزموا جميعاً بما يفرضه الإيمان من أحكام شرعية وآداب إسلامية ليكونوا نواة صالحة تثمر براعم حيّة لتتحول الى ما ينمي أفراد المجتمع ويرفدهم بما فيه صلاحهم وإصلاحهم.

ولا أحسب أن أحداً يغفل عن النتيجة المعاكسة فيما لو تخلّى الرجل عن غَيرته وفيما لو أصرّت المرأة على التمسك بالأفكار أو الأفعال التي تمليها اعتبارات ضيقة.

اسأله تعالى أن يعين الجميع للأخذ بما يصلح حالهم ويرفع مستواهم فتقل الحالات الشاذة من المجتمع الإسلامي الأصيل.

﴿حرف الفاء﴾

١٠٦- قال (عليه السلام):

فاعلُ الخيرِ خيرٌ منه، وفاعلُ الشر شرٌ منه.

الدعوة الى فعل الخير و الاستكثار منه، ونبذ الشر والابتعاد عنه ، اذ انَّ الخير عنوان يحتوي كل الفضائل والكمالات وكل ما فيه مصلحة أو نفع من دون ما مفسدة أو ضرر على أحد فالتوجه نحوه والتفاعل معه وجعله محلاً للاهتمام ومحوراً في الحياة يعني أن فاعله ينطوي على حب الآخرين وأرادته المصلحة لهم والعمل معهم على اساس ايجابي يسّهل عليهم تجاوز الصعوبات أو يعينهم على تفادي الوقوع فيها مما يؤشر على التقوى وكمال الانسانية وحسن الطويّة. وهذه مقومات لأيجابية الانسان وجعله خيراً من غيره.

اذن فلا بُدَّ لنا ان نحب الخير للجميع ونسعى لاشاعته وتكثير مناشئه وسبلهِ لِيعمَّ فينتفع به اكبر عدد من الناس ممن لهم علينا حق المشاركة في الانسانية أو العقيدة أو الوطن مما يحتم علينا ضرورة المعاملة الحسنة وعدم البخل عليهم بما فيه خيرهم وأسعادهم بالمقدار الممكن المشروع.

والعكس صحيح اذ ان الشر عنوان يجمع كل ما يرفضه الناس من المساوئ والمعايب والرذائل وما يؤدي الى شئ من السلبيات أو التشنجات الاجتماعية أو الفردية بما يجعل الناس مبتعدين عنه رافضين له معرضين عن كل ما يتصل به.

وبطبيعة الحال فاعل الشر شرٌمنه اذ يكشف ذلك عن سوء الدخيلة والحاق الاذى بالغير مما يعني انحرافاً عن الطبيعة الانسانية التي اودعها الله تعالى

لدى الاسوياء من المخلوقين وهذا يؤثر في تحميل المجتمع تبعات مشاكل هذا الفرد الشرير لأن المجتمعَ حقلُ تجاربه ومحلُ تصرفاته اذ لانتصوره يُكِّنُ الشر ويضمر السوء على مخلوقات اخرى أو اناس يبعدون عنه بما لايبلغهم وانما المحيط مِنْ حواليه هو المتضرر بالدرجة الاولى والأخيرة اذ هو المنشأ له فيعاب عليهم سوء تربيته أو عدم الاعتناء به بالشكل الذي ينمي فيه حب الخير وتجنب الشر، وايضاً هو الذي يتحمل أذاه وشره بالتالي.

فلابد لنا ان نمسك على يد الشرير ليكف شره عن الآخرين فلا نتأذى من جرّاء شره سواء كان التأذي مباشرة أو بالانتساب الينا. ولو عملنا بهذا وتحملنا المسؤلية لأمكن الى حد كبير السيطرة على الحالات السلبية في المجتمع ليصفو الجو ويعم السلام.

١٠٧ – قال عليه السلام:

فوتُ الحاجةِ أهونُ مِنْ طلبها الى غير اهلها.

الدعوة الى ان لا يطلب الانسان حاجته من أيٍّ كان، انجازاً لحاجته وتوصلاً لها لأن لذلك آثاراً سلبية عليه كالمنّة والاحتكاك بمَنْ هو في حاجة الى الاصلاح وما يسبّبه ذلك من اتصال وربما اكتساب وتعوّد على بعض ما لديه من سئ الاخلاق وذمائمها وهو ما يؤدي الى اسقاط الفرد في مهاوٍ كان بمنأىً عنها.

بينما نجد الإمام عليه السلام يريد له الرُقي الى مستوى افضل فلا يكون وصولياً يستسهل كل شئ لأجل انجاز مطلبه والتوصل الى حاجته بل عليه الصبر على فوتها وعدم تنجّزها لئلا يخسر بعض اخلاقه اذ ان مَنْ لم يكن اهلاً لطلب الحاجة سيكسب من حيث توصل الآخرين به الى حوائجهم مما قد يعني

له انه على منهج صحيح مع انه انما صار غير مؤهل لطلب الحاجة منه باعتبار تخلّقه أو تصرفه بما هو بعيد عن المبادئ والقيم الصحيحة.

فالاحتكاك والتعامل معه على نفس المستوى مع الآخرين يفتح له الضوء الاخضر للاستمرار في مسيرته نحو الخطأ. بينما علينا ان نتعاون لاستنقاذه مما هو فيه ليكون في الصف المعتدل ويكتسب الاخلاق الحميدة وعندها فلا مانع ولاضير من الاحتكاك به وطلب الحاجة منه.

ففي هذه الحكمة امران:

الاول: ان لا يكون الانسان وصولياً بل عليه ان يحتفظ بمبادئه وكرامته الانسانية لئلا يُغلب عليهما من خلال ضغط الحاجة الموقوتة.

الثاني: تجنب التعامل مع بعض الذوات ممن يحملون صفات ذميمة ليكون ذلك التجنب أو المقاطعة رادعاً له عن الاتصاف بتلكم الصفات غير الحميدة.

لأن الهدف الاسمى للإمام عليه السلام هو كسب الناس جميعاً الى حيث الاستقامة والسلامة في الدنيا والآخرة من كافة ما يعّرضهم الى المساءلة أو التردي في المهاوي.

اذن فعلى الانسان ان يعيش مبادئه وما تعلمه من قيم ومُثل روحاً وفكرة لا مجرد شعارات يرفعها و يتركها عند الحاجة لأن ذلك يعني انهزاميته وعدم ثقته بمبادئه وافكاره وهو مؤشر سلبي.

١٠٨- قال عليه السلام :

في تقلبِ الاحوالِ علمُ جواهر الرجال.

من السهل جداً تكوين العلاقات الاجتماعية على صعيد الافراد أو الجماعات، وبمستوى وثيق أو مصلحي مؤقت، إلاّ أنّ ذلك قد يشكّل مشكلة في يومٍ من الايام عندما يكتشف الانسان ان مَنْ اقام معه العلاقة لم يكن بمستوى يؤهله للاتصال به، وذلك المستوى إما الانحطاط الفكري أو العقيدي أو الاخلاقي أو حتى المستوى المعاشي احياناً والسياسي في احيان كثيرة.

فالدعوة الى انتقاء الأصدقاء وعدم التساهل في ذلك لأنه انما تصح العلاقات وتتأكد وتأخذ طابعاً اخلاقياً مؤكداً عندما تتعرض للتجربة وتخضع للاختبار اما بقصد أو بشكل عفوي وعندها يعرف الانسان معارفه واعداءه، واعوان الزمان عليه، ومَنْ هم مخلصون معه، ومَنْ هم مصلحيّون يتبعون مصالحهم الشخصية، اذ قد تتجلى شخصية فرد في المجتمع فيلتف حوله الكثير الكثير طلباً لفوائد ومقاصد خاصة. لكن على العاقل ان لا يُخدع فيجعلهم رصيداً يتكّل عليه في وقت الضيق وعند الحاجة بل عليه التريث في الحكم طويلاً الى ان تصادف التجربة المناسبة غير المصطنعة -لأن رد الفعل قد يكون مصطنعاً ايضاً- ليكتشف مدى نجاحه في علاقاته الاجتماعية.

فلا يظهر معدن الصديق إلاّ بعد اخضاعه للتجربة ولا يمكن لأحدٍ معرفة جوهر الآخرين إلاّ عند تغيّر الحال في المستوى المعيشي، الاجتماعي، الثقافي، المنصب الاداري، المركز الحساس...

اذ قد تكون العلاقة مبنية على الانتفاع فحتماً يظهر جوهر المقابل بانه مزّيف وغير صدوق في صداقته وليس جديراً باستمرار العلاقة والمداومة عليها لأن الصداقة تحتاج الى تبادل الاخلاص والوفاء والصفاء واما اذا انقطع ذلك من أحد الاطراف فتصاب بالفشل حتماً.

﴿حرف القاف﴾

١٠٩- قال (عليه السلام):

قَدْرُ[1] الرجلِ على قَدَرِ همته، وصدقُهُ على قَدَرِ مروءته، وشجاعتُهُ على قَدَر أنفتِهِ[2]، وعفتُهُ على قَدَر غَيرتِهِ.

الدعوة الى ان يتعرف الانسان على خصائصه الذاتية الحميدة ليحجّم نفسه بالحجم المناسب فلا يكون مجحفاً معها ولا متجاوزاً مبالغاً ومما يتعرف من خلاله:

١- علّوُ الهمة وقوة العزم والتصميم على التنفيذ والانجاز بما يحقق نجاحاً له ومنفعة لغيره، فاذا كان الانسان كذلك كان رفيع الشأن عاليَ الجانب محترماً لدى الآخرين موّقراً بينهم محبوباً لما وجدوه فيه من قوة وإرادة وهمة عالية تدلل على رجولته وكماله واتصافه بخير الصفات فيكون محلاً للثقة ومركزاً للاعتماد وموردا للاهتمام ومحطاً للانظار.

اذن فمَنْ يريد تقدير الناس له واحترامهم واعتمادهم... عليه أن يتصف بالهمة العالية والارادة الصلبة ليستطيع خلالها تحقيق ما يريد وتنفيذ ما يطمح اليه، اما لو تصورنا العكس لتَفَرّقَ الناس من حوله ولقلّ اعتمادهم واحترامهم وتقديرهم له ولزالت ثقتهم أو تزعزت، فيُهْجَرْ ولا يكون مؤثراً في الحياة فيكون حاله كبقية المخلوقات مما لا تترك بصمات ايجابية نافعة على صفحات الحياة بما يخلّد الذكر ويرفع الشأن.

٢- الصدقُ ومطابقةُ القول للعمل وانجازُ الوعد وعدمُ التخلف عنه -مهما كان- فانه يدلل على اتصافه بالصفات الحميدة مما يعني كمال الرجولية

---

(١) القَدْر بتسكين الدال بمعنى الحرمة والوقار، والقَدَر بفتح أو تسكين الدال بمعنى مبلغ الشئ والطاقة والقوة. لاحظ المنجد ص٦١٢ مادة (قدر).

(٢) الأَنَفَة: وهي عزة النفس. المنجد ص٢٠ مادة (أنف).

والنخوة والقوة فمهما تكامل في هذا السبيل كانت نسبة صدقه أعلى من كذبه ومن تخلفه عن وعده والتزاماته.

وهذا ما يحث على الالتزام والانضباط والتعوّد على النظام الدقيق فانه مؤشر على التكامل النسبي وهو مطلوب الغالبية ان لم يكن الجميع ولو ادعاءاً.

٣- الشجاعة، والإقدامُ وهيمنة روح الصمود، والصبر على المواجهة عند الحاجة، مما يدل على عزة النفس والشعور بالكرامة والأصالة فيتقدم في حالات المواجهة على أساس إبائه الضيم وترفّعه من الداخل عن الذلة فلذا يستسهل الصعب من أجل ذلك ليعيش عزيزاً محترماً محفوظ الجانب.

فالأجدر بالإنسان أن يتكامل على خط الدفاع والقدرة على التغلب والوصول الى النصر والظفر من دون ما شعور بالانخذال من الداخل ليتم له ما يريده من عيش كريم.

٤- العفة والكف والابتعاد والتنزه عما لا يحل شرعاً أو لايليق بالانسان ولو عرفاً وعقلائياً، فان ذلك يدلّل على ترّفعه وحميته وانبعاثه في ذلك عن قناعة بعدم استحقاق الغير في مشاركته ولذا يغار ويتحمس للدفاع عما يكره المشاركة فيه.

فالمطلوب اذن ان يكون الانسان متحمساً في مواقف معينة لتُعْرَفْ عفته ونزاهته ولئلا يُرمى بعدم الغَيرة والتسافل الاخلاقي.

فهذه الخصائص: علو الهمة، الصدق، الشجاعة، العفة.. لها اثرها البالغ في الكشف عن شخصية المتصف بها وإثبات جوهره ولو لم يكن معروفاً، مشهوراً، غنيّاً، ذا منصب، ذا قوة، ذا جاه.. فانها تصلح كمعرِّفات ومفصحات عما يتحلّى به الفرد. فلا بُدَّ من المحافظة عليها لتتكامل الشخصية القوّية التي ارادها الاسلام للفرد المؤمن.

١١٠- قال (عليه السلام) :

قُرِنَتْ الهيبةُ بالخيبة، والحياء بالحرمان.

والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب فانتهزوا فُرصَ الخير.

الدعوة الى ان يكون الانسان واثقاً من نفسه ومما يحمله من طاقات فعّالة في المجتمع فلا يتعوّد التردد في اتخاذ المواقف بعدما تتضح له حقيقة الأمر مما يسهل عليه إتخاذ القرار وما يناسبه من اقدام وسعي وتنفيذ وتحمّل المسئو لية فان مَنْ يهاب شيئاً ويخاف من الاقدام عليه فحتماً سيخيب في تحقيقه ويُحْرَمُ من تنفيذه.

اذن الهيبة من الاقدام ومخافة النتيجة المقبلة يلازمها الخيبة وعدم الظفر بالمطلوب وانقطاع الأمل والتراجع خطوات الى الوراء بدلاً من التقدم المأمول وهذا كفيل باسقاط شخصية الانسان داخلياً وخارجياً، عند نفسه وعند الآخرين. إذ حالة التردد والتقاعس وخوف النقد أو عدم التلقي المتوقع ونحو ذلك تهيئ جواً نفسياً يخيم عليه اللوم والندم واحتقار الذات وعدم الثقة بالنفس وهو ما يؤدي الى تأزّم الوضع والاحباط بالتالي ، فلم يفلح في طريق الحياة، وقد يؤدي الى محاولة التخلص من هذا الجو الخانق بمختلف الوسائل.

وايضاً فحالة التردد تقلّل من فرصة اعتماد الغير عليه أو الثقة بآرائه ومستويات تفكيره ومنجزاته وخطواته الاصلاحية مما يؤطره داخل خيبة الامل وعدم الاهمية في المجتمع وهو أمر متعب جداً قد يفضّل الانسان الهروب من المواجهة، المعايشة، الحياة- احياناً- لذلك.

وهذا مما يعني أن ندقق في دراسة المواقف لئلا تُصَاب بالفشل والخيبة، ولا نتورط بالتهور والاقدام غير المدروس المنتج لعواقب وخيمة، وعند اكتمال النظرة المبدئية للحالة يقرر الانسان الاقدام أو التريث فلا تفوته الفرصة في وقتها المناسب.

وايضاً فإنّ حالة الخجل المفرط تثني الانسان عن بلوغ الاماني وتحقيق الطموح وبالتالي يفشل في الحياة وهو ما يتجنبه كل أحد -غالباً- لأنه قد يضيّع الفرصة على الانسان،والفرصة لا تعوّض لأن الحظ يطرق باب الانسان مرة واحدة -كما يقولون-. فان وجده مستعداً أخَذَه الى حيث تحقيق الآمال والنجاح في الحياة، وإلاّ فهناك العديد الكثير ممن هو اكثر استعداداً وتلقفاً لذلك.

فلا بُدَّ ان نقدِّر دعوة الإمام عليه السلام الى الاستعداد للأخذ بالفرصة في الحياة لأن للانسان دوره في التخطيط للمستقبل وينضاف الى ذلك طبعاً توفيق الله تعالى وارادته ولكن نعرف جيداً ان لا أحد يُلْجَأ الى اتخاذ قرارٍ بالشكل الذي تُسحب منه القدرة على التفكير اذن لا بُدَّ ان نسعى لنكون سعداء في الحياة بما لايترك مجالاً للفشل بل يفتح ابواب الأمل امامنا لئلا نكون اسقاطيين بمعنى ان نلقي ونسقط بفشلنا على القسمة، النصيب، الأهل، الحظ، الظروف، مداخلة الغير... بل لا بُدَّ ان نستوعب الحالة بما يجعلنا قادرين على اتخاذ القرار المناسب في وقته المناسب لنتواصل في مسيرة الحياة كما سار السابقون.

١١١- قال عليه السلام :

القناعةُ مالٌ لا ينفد.

الدعوة الى الرضا بالميسور والاكتفاء بالموجود وعدم اللهفة وراء المفقود لأن التعوّد على القناعة يهئ عند الانسان قاعدة صلبة يستقبل عليها كل ما يطرأ من متغيرات الاحوال: الفقر، الغنى، الصحة، المرض، الوجاهة الاجتماعية، عدمها، الولد، فقده...

الاّ ان المقصود هنا بالذات هو تعويد النفس على الرضا بالمقسوم لأن ذلك يوفر له راحة دائمة تقوم مقام المال في احيان كثيرة ولو من حيث الحالة النفسية ليطمئن من الداخل ولا يقلق لعدم وجود المال لتمشية لوازمه الحياتية بل يكتفي بالموجود ويبرمج وضعه الاقتصادي ومستواه المعيشي وفق ذلك وحتماً سيصل الى الكثير مما يريد عن طريق ذلك المال الباقي بما يحتفظ به من رصيد معنوي داخل النفس والناشئ من الايمان الكامل بجدواه كحَلٍ للحالة المعاشة.

بينما لو كان ممن لديه المال وينفق منه فلا بُدَّ من نقصه تدريجاً والوصول الى الرقم الاقل وهكذا حتى تصل الحالة -احياناً معينة- الى الافلاس أي نفاد المال وانتهاؤه.

اذن فلا بُدَّ لنا من القناعة لأنها تخدمنا من حيث نشعر أو لا نشعر وتجعل من حياتنا فرصة عيش مريح بدون قلق وتحسبات مزعجة.

١١٢- قال عليه السلام :

قيمةُ كلّ امرئٍ ما يُحسِنه.

الدعوة الى الارتقاء بالنفس الى حيث التكامل والتنامي وتحسين الوضع في كافة مناحي الحياة المتعددة، وان يبني الانسان ذاته بما ينفعه ويخدمه حاضراً ومستقبلاً وعدم التعويل على الماضي سواء له أو لسلفه من آباء واجداد لأن مقياس التقدير وميزان التصنيف الاجتماعي انما يتم بلحاظ القابليات والمؤهلات الشخصية بغض النظر عن الغير مهما كانت القرابة.

وبهذا علا نجم النجوم واشتهروا، وذاع صيت العظماء والمبدعين.

لا بالنسب أو الرصيد من الاموال أو العدد من الزوجات أو الاولاد... فان انحاء المعرفة التي يتوصل اليها الانسان في حياته هي التي توجد منه انساناً له حضوره في المجتمع، وتخلّده في سجل الحياة بمقدار ما أثّر ونفَع بغض النظر عن صنفه الاجتماعي مبتدأ من رأس الهرم الى مستوى القاعدة فان كل فرد في هذا التسلسل الهرمي له تأثيره في مسيرة الحياة وتكاملها، وسعي الناس نحو التكامل من دون ما ملاحظة للخصوصيات الجانبية للمهن، أو الاهمية للعلوم. وقد صارت هذه الحكمة مَثلاً سائراً[١].

فنستفيد من ذلك التأكيد على مضمون المثل المعروف (كن عصاميّاً ولا تكن عظاميّاً)[٢] مما يعني الاعتماد على النفس والمؤهلات الشخصية لا الاعتماد على الآباء والاجداد ممن صاروا عظاماً نخرة فان مجدهم لهم وليس للانسان منه إلاّ الانتساب فقط.

---

(١) يلاحظ المنجد قسم فرائد الادب حرف القاف.

(٢) لاحظ القاموس المحيط ج٤ص١٥١. ولمعرفة قصة المثل (مجمع الامثال) للميداني ج٢ ص٢٩٣.

﴿حرف الكاف﴾

١١٣- قال (عليه السلام) :

كفى بالأجل حارساً.

الدعوة الى الثقة با لله والتوكل عليه وعدم الاتكال على الإعدادات الشخصية للحماية لأنها مهما كانت دقيقة وحساسة في ضبط الحالة لتطوّرها وتفوقها في مجال الحراسة وتوفير الحماية فإنها تعجز عن ذلك اذا كان المحتوم، بل وتكون اداة مساعدة احياناً على تهيئة الامور بما يجعلها مستجيبة لأمر ا لله تعالى.

فان من اليقين ان لكل مخلوق أجلاً معيناً ومدة يقضيها في الحياة الدنيا ولا يمكن لأحد -مهما كان- ان يختصر من ذلك أو يقلل المدة أو يتدخل في كيفيتها بل ذلك مما ينفرد به الخالق عزّوجلّ، وهذا لوحده كافٍ في تأمين هذا الجانب الحساس الذي يحتل من الانسان جانباً واسعاً من تفكيره وتدبيره.

اذن إنْ تَطرّقَ الشك لدى الانسان في شيء فلا يشك في ان الموعد المقرر لرحيله عن هذه الدار الدنيا الى حيث الدار الآخرة وساحة القضاء العادل والمجازاة، هو الكفيل بابقائه حتى حلول الموعد فهو المدافع والمحامي والحارس.

ولا يعني هذا ان يترك الانسان نفسه عرضة للخطر أو من دون ما اجراءات أمنية مناسبة وحالته الخاصة بل عليه ان لا يمنعه ذلك من الاعتقاد الراسخ بان ا لله هو الحامي القادر على كل شيء ومن دون ارادته وأمره لايتم شيء.

فالمطلوب من الفرد المسلم ان يسلّم أمره لله تعالى ولكن مع اجرائه لتلك الاجراءات المناسبة له كإنسان ومن دون ما اتكال واعتماد بل يعزز ذلك ايمانه بالقدرة المتعالية والاحاطة على كل شيء احاطة هيمنة وقدرة.

١١٤- قال عليه السلام :

كفى بالقناعة مُلْكاً وبُحسنِ الخُلُقِ نعيماً.

الدعوة الى تمثل امرين مهمين في مسار الحياة ليضمن الإنسانُ الحياة الكريمة من دون ما اساءة أو تعكر.

القناعةُ مُلكٌ

الأمر الاول: القناعة بان يكتفي بما يجده ويرضى بما قسم الله تعالى له، وبذلك يضمن عدم اساءة أحد اليه من هذا الجانب بل يعيش الغنى والاكتفاء نفسياً ويمارس ذلك عملياً لا من دافع الارصدة في البنك أو التضخم في الاموال والمقتنيات والعقارات و... مما يفقده معنى القناعة ويكون على النقيض تماماً من ذلك بل يتحرك في المجتمع بكل ثقله من الطمع والجشع وربما أخذ فرص الغير أو تَفَرَّدَ بالفرصة المربحة و... مما يجعلنا نفقد انساناً ونعايش مجمّعاً للمال ونساير كتلة ثراء وغنى الذي يؤثر -حتماً- على المجتمع ولو بنسبة معينة.

فالإمام عليه السلام يشدّ على يد القنوع ويطمئنه بانه من ذوي الملك لكن لا بالتعبير السائد لأصحاب الاموال التي ما عرفت الرحمة والقناعة طريقها اليهم فلم يتذوقوا طعمها.

حُسنُ الخلق نعيمٌ

الأمر الثاني: حُسن الخُلق بان يتعامل مع الغير بأوسع ما لديه من انفتاح وانشراح في المعاملة سواءً قولاً أم فعلاً لا بحدود المعاملة الوقتية بل على الانسان ان يقتنع بجدوى حُسن الخلق فيتلبس به ويمارسه من واقع الاقتناع بضرورته وأهميته اذ ليس من الضروري تحميل الآخرين المشاكل والازمات وحالات الفشل الخاصة الشخصية بل لابد من التساير بما يحقق الجو الملائم

لديمومة عجلة الحياة وبما يجعل الكل في تبادل ايجابي وتعامل مرضي لتكون النتيجة صالحة لكل الاطراف.

فالدعوة قد ركزّت على أمرين مهمين في حياة الانسان الشخصية والعامة ولهما دور كبير في تشجيع الانسان على مواصلة الكفاح في درب الحياة -كما يقولون- فلا يشعر أحد بتفوق أحد من حيث الثراء والغنى، ولايعاني أحدٌ من سوء معاملة آخر بما يجعله متشنجاً ومتعباً.

١١٥- قال (عليه السلام):

كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك.

من المعلوم ان الانسان المستقيم التفكير، السوي الطريقة، يميل نفسياً وسلوكياً في الحياة العملية الى ان يسير بسيرة يكون من ثمارها وصف الناس له انه مؤدب، مهذب، ملتزم، موزون.. وغير ذلك مما يعني المدح والثناء والقبول والارتياح الذي لا يمكن صدوره من الجميع إلاّ اذا تحققت في الفرد الممدوح شرائط السيرة الصحيحة والتعامل المحافظ على الخطوط العامة لقواعد المجاملات الاجتماعية وهو أمر ليس بالسهل -دائماً بل غالباً- لما هو معروف من تعدد الاهواء وتشتتها وعدم اتفاقها على أمر واحد فقد يرضى شخص بالتصرف المعين في الوقت الذي يغضب منه آخر، أو قد يثني انسان على قول معين في حال ان انساناً اخراً ينتقده بما يجعل عملية إرضاء الجميع غير سهلة فكان دور هذه الحكمة هو رسم طريقٍ لو سار عليه الانسان في حياته العملية لأوصله الى الهدف المنشود الذي يسعى اليه ويميل نحوه بحسب طبيعته القويمة وفطرته الاولى وان (الانسان مدنيٌّ بالطبع) ومعالم هذا الطريق واوصافه قد اختصرها الإمام عليه السلام بان يجعل الانسان نفسه مقياساً لمعرفة حالة القبول أو الرفض لدى الآخرين لما يصدر منه شخصياً من اقوال أو افعال وذلك بان ما يجده الانسان

مقبولاً وسائغاً من الغير فيعرف انه مقبول وسائغ منه والعكس صحيح ايضاً وان ما ينتقده الانسان من الاقوال والافعال ويعتبره امراً مستهجناً من الغير فعليه ان يتجنبه ويبتعد عنه ولايتورط به لأنه يشكّل علامة سلبية عليه في اذهان الآخرين.

ولو التزم الانسان بهذا المقياس فجعله ميزاناً يزن به اقواله وافعاله فما يرضاه من الناس لو صدر منهم يفعله، وما يرفضه منهم يتركه ليضمن بالتالي انه مؤدّبٌ لنفسه وكفى بها تقييماً يعتز به بل ويفخر به العقلاء المدركون لأحوال التعامل الاجتماعي وما يلزم في ذلك المضمار.

اذن فالدعوة الى ان يلتزم الانسان تأديب نفسه وتهذيبها والسيطرة عليها من خلال الابتعاد عن كل ما يكرهه ويتجنبه وينتقده من اقوال الغير وافعاله بما يجعل القاعدة متوازنة اذ الناس[1] بحسب الخلقة والطبيعة الانسانية متساوون في الانسجام مع امور والابتعاد عن اخرى فمن الممكن جداً ادراك المقبول والمرفوض اجتماعياً ليتجنبه الانسان ليكون بذلك مصدر راحة للاخرين.

---

(١) وهذا مع غض النظر عن العوامل البيئية أو الجغرافية أو الدينية التي تعترض ذلك احياناً بما يضفي عليه الخصوصية ويجعله ضمن حدود معينة فلا يتجاوزها الى الآخرين من الناس الذين يعيشون ضمن حدود اخرى.

١١٦- قال (عليه السلام):

الكلام في وثاقك[1] ما لم تتكلم به فاذا تكلمتَ به صرت في وثاقِهِ، فاخزن لسانك كما تخزن ذَهَبَكَ و وَرِقِكَ[2] فرُبَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة.

الدعوة الى أمرين، **الاول**: التحفظ الشديد، والتحرز، والتدقيق فيما يستّجره الكلام من عواقب، وحساب الاحتمالات في ذلك ليتعرف الانسان على موارد النفع أو الضرر في كلامه، اذ أنه قبل ان يتكلم هو مالكٌ له ولايعرف أحد ما يريد التكلم به كما يعرف هو فهو مسيطر ومتوازن، واما بعد الكلام فيصير مملوكاً للكلام إنْ خيراً فمصيرٌ محمود يحمد ا لله تعالى عليه، وإنْ شراً فمصيرٌ مذموم وموقف لا يُحسد عليه وهو يستعيذ با لله من شر ذلك الكلام الذي كان هو مصدر بثهِ، ولولاه لما أدانه أحد، ولذا جاء التشبيه بما يكون مشدوداً ومأمون الجانب لإحكام القبضة عليه من خلال المَشد فلا يُخاف من افلاته بينما اذا أفلت صار مصدر ازعاج وتعب حتى تُعاد السيطرة عليه ثانياً وهذا ان أمكن في بعض الحالات فلا يمكن في حالة عدم ضبط اللسان لأن آلات التسجيل الطبيعية أو المصنعة قد حفظته ومن العسير محوه وعندها تكون المشكلة.

الثاني: معرفة الانسان ان اللسان يُحفظ من الغير كما تُحفظ الاموال عن الغير بل احياناً يكون حفظ اللسان أشد أهمية وألزم من حفظ الاموال لأن الاموال عرضة للزوال والتجدد وأما اللسان فاذا كان الكلام لغير صالح المتكلم

---

(١) الوَثاق والوِثاق: ما يشُدبه من قيد وحبل ونحوهما. المنجد ص٨٨٦ مادة (وثق).

(٢) الوَرِق والوَرْق والوَرَق: الدراهم المضروبة. (القاموس ج٣ ص٢٨٨)، اقول لما كانت الفضة هي المادة الاساس لتصنيع وسبك الدراهم -قديماً- فلذا قد عُبّرَ بما معناه الدراهم خاصة عن الفضة لهذه المناسبة هذا بلحاظ المقابلة بين الذهب والفضة واما بلحاظ المناسبة بين الذهب الذي تُسَكُّ منه الدنانير قديماً- وبين الورق الذي هو الدراهم المضروبة فهو صحيح ايضاً بعين الاعتبار.

فان ذلك يعني الزوال الى الأبد من دون ما عودة وفي ذلك متاعب شخصية، أسرية، اجتماعية لما يتركه الانسان من فراغ بحسب وضعه الخاص. مضافاً الى ان الذي لا يسيطر على لسانه يكون قد أعانَ على نفسه فيأثم بذلك والمقصود من الاعانة عليها أنْ سَهَّلَ الطريق واعطى مستمسكاً لأجل إدانته وتعريضه للأذى.

وانما جاء هذا الحث على حفظ اللسان مع انه باللسان يتوصل الانسان الى غاياته ويبّين مقاصده ويظهر مستوى تفكيره فقد يكون اللسان سُلّماً لرُقيِّه وعلو شأنه- لأن الانسان في حالات الانفعال النفسي أو الاثارة أو التأزم أو الغضب أو التفاعل مع قضية معينة قد يفقد السيطرة -وهو كذلك غالباً- فلا يلتفت الى لوازم كلامه كما هو حاله في حالات الاستقرار النفسي والسيطرة على اللسان لعدم الغضب أو التأزم فكان هذا الحث في محله جداً لأنه كـ جَرَسِ تنبيه وجهاز انذار في حالات دنو الخطر وقربه ولعلها آخر فرصة للإنقاذ.

وقد عقّب عليه السلام ببيان حالتين تحدثان جرّاء عدم حفظ اللسان وهما..

إما زوال حالة رخاء، وتنعّم بأيِّ مستوى كان وأياً كان مظهره،

وإما حدوث أزمة وضيق ومتاعب ومن بعدها المصاعب،

مما يجعل الانسان مقتنعاً تماماً بضرورة ضبط اللسان وعدم اعطائه الضوء الأخضر دائماً بل لا بُدَّ من برمجته وفق القواعد الصحيحة.

١١٧- قال (عليه السلام) :

كلّ مُعاجَلٍ يسأل الإنظار، وكلّ مؤجّلٍ يتعلّل بالتسويف.

الدعوة الى انجاز المهمات المطلوبة وعدم المماطلة في أدائها خصوصاً اذا لم يكن هناك بديل. اذ ان الانسان اذا لم يواجه حالةَ تحدٍ -ولو في إطار ضيق- فلا ينجز بكفاءة اذ يتعلل بضيق الوقت أو قلته أو عدم إعطاء الفرصة أو طلب المزيد منها أو..أو... هذا إن كانت المهمة المطلوب انجازها على نحو السرعة والعجلة. واما ان كان على المدى البعيد فيتعلل بالنسيان أو تراكم المشاغل أو كثرة الشواغل أو طول المدة بما جعله مقدّما لغيرها أو..أو...

اذن فهو في كلتا الحالتين معتذرٌ، غير منجز للمطلوب وهذا مما يعني تأخّره في هذا المجال وتقدّم غيره عليه ممن يكتب لـه التوفيق والنجاح في انجاز المهمة المطلوبة -هذا على اساس التنافس المشروع الذي لا بأس فيه لتحفيز الهمة وبعثها أكثر فأكثر نحو العمل والمواصلة بما يرفد مسير الحياة-.

فالمطلوب مواجهة الحالة بشجاعة والإقدام على العمل المطلوب القيامَ به ولا يعتذر بضيق الوقت أو طول المدة ونسيانه بل لا بُدَّ ان يحتل مرتبة من تفكيره بما يجعله معايشاً له حتى الانجاز.

١١٨- قال (عليه السلام) :

كلُّ مقتصَرٌ عليه كافٍ.

كلمةٌ مختصرةُ الالفاظ، جزلة المعاني، ضخمة الاهداف، بعيدة الاعماق بما يعطي درساً وعظياً، تربوياً للانسان ليستفيد منه في مسيرته اليومية وفي جميع شؤ ن حياته الخاصة والعامة بما يجعله يعيش القناعة روحاً وفكرة ومضموناً وتصويراً بكل تعابيرها ومدلولاتها.

فلو تعلّم الانسان هذا الدرس واستوعبه جيداً لضمنّا الى -حدٍ كبير- عدم حدوث ازمات : اقتصادية، سياسية، بيئية،... لأن المطلوب هو الحصول على الحّد الكافي الذي يؤمِّن الحاجة ويوفرها من دون ما إلجاء الى الادخار أو الاحتكار أو الاستغلال أو الاستبداد بالامور بما يوسّع الفجوة بين طبقات المجتمع الواحد أو المجتمعات المتوحدة أو المتعددة.

فيحس البعض بالحاجة الماسّة بينما يفيض المخزون عن حاجة البعض الآخر بما لايكون منسجماً مع قواعد التوزيع والتنظيم العادلة الصحيحة ولو من وجهة انسانية وليست دينية وان كان هما توأم يتعايشان معاً لأن الدين منقذ الشعوب، ومن أهم اهدافه رفاهية الانسان وإسعاد الانسانية أينما تواجد افرادها.

ولو عرف -الانسان- ايضاً أنَّ ما حَصَلَ عليه وسدَّ احتياجه هو المضمون له وما عداه فهو في عداد الآمال والطموحات التي قد تتحقق وقد لا تتحقق -لو عرف هذا- لوَفَّرَ على نفسه مؤنة المتاعب، وعلى غيره مؤنة الحاجة والشكوى ولتكافئت الى حّد كبير نسبة الحصول والاستفادة ولم تتكدس في جانب دون آخر.

فالدعوة الى ان يكون الانسان عقلانياً في طريقة جمعه وتجميعه للامور المادّية -طبعاً- اذ المعنويات مما ينبغي التسابق لحيازتها مهما أمكن.

١١٩- قال (عليه السلام) :

كم من أكلة منعت أكلات.

ان هذه الحكمة تبيّن نظاماً غذائياً مفيداً لو ألتزم به الواحد منّا بحيث ينظّم أكله بما يلتئم مع حالته و وضعه الصحي والنفسي فلا يسرف على اساس انها فرصة ولا يترك على اساس الزهد.

بل يتوازن بما يحفظ له قوامه، ويعينه على مقاصده المشروعه واهدافه المرجوة في الحياة، لأن الله تعالى خلق الانسان وأراد إسعاده، وخلق الدنيا وما فيها لخدمته وتذليل الصعوبات المواجهة له بما يجعله القائم بحكم الله في الارض.

فلا مانع اذن من التنعم بالمأكولات والالتذاذ بها لكن مقياس السيطرة متروك تحت يد الفرد ذاته لا يتحكم فيه سواه اذ هو على نفسه بصيرة، فلا يبقى جائعاً، شرهاً، متطلعاً لما عند غيره يَنْفَس (يحسد) عليهم نِعَمَ الله...

ولا يتحول الى حاوية طعام وشراب بما يخرجه عن حد الانسان الطبيعي وقد يلتحق بغيره من المخلوقات التي تقضي اوقاتها بالأكل.

وبهذا نأمن عدم حدوث ازمات صحية وكذلك اقتصادية فلا نشكو مجاعة أو حصاراً أو تضييقاً وانما الجميع يتوازن وفق هذه الحكمة التي تؤكد ان بعض الأكل يهدد وجود الانسان أو يمنعه من الألتذاذ بالأكل مرة اخرى والى الأبد -احياناً- فيكون طبيب نفسه من دون ما مشاورة واستشارة طبية فلا امراض القلب ولا السكر ولا الضغط ولا الربو ولا امراض المعدة بعوارضها المختلفة ولا.. ولا.. مما يتعرض له الانسان بسبب التركيز على بعض المأكولات ولو في سنٍ معين أو مدة معينة ولو كان لظروف خاصة فللأكل تأثيره على الانسان مهما كان.

فالدعوة الى أن يلتزم الإنسان بما يوافق مزاجه ويلائم طبيعته، وأن لا يسرف في الأكل لأنه سيتحمل -وحده- بعد ذلك تبعات عدم الالتزام، والاسراف في الأكل.

١٢٠- قال عليه السلام:

كم من مستدرَج[١] بالاحسان اليه، ومغرورٍ بالستر عليه، ومفتون[٢] بحُسن القول فيه، وما ابتلى[٣] الله سبحانه أحداً بمثل الإمْلاء[٤] له.

إنَّ من المعلوم ان الله تعالى كريم لايبخل في ساحته عزّ وجلّ ينعم على مَنْ يعرفه ويوّحده وعلى مَنْ لا يعرفه بل وينكر وجوده إلاّ ان ذلك لا يعني في حال من الاحوال تساوي الحالين فانه يفيض بنعمِهِ الواسعة على مخلوقاته لأنه المنعم والخالق والغني المطلق عن أي أحد مهما كان والقوي والجبّار والمهيمن والذي تسع رحمته كل شيء والذي أوجد الاشياء من العدم مما يعني ان الجميع خلقه لم يفرّق بينهم سوى ان المخلوقين انقسموا الى قسمين:

قسم آمنَ بخالقه وموجده ومدبره فعبده ونزّهه عن الشريك، والوالد والولد والصاحب، ونفى عنه الاحتياج...

وقسم انحرف وابتعد عن الصواب ولم يفلح بالايمان والتوحيد...

وكل منهما لم تتدخل القوة في اختياره وانما قد وُضّحَ له المسار وحُدّد له الطريق الموصل الى الخير فكان توجهه بمحض ارادته من دون ما إلجاء أو جبر... ولكن من الطبيعي سيكون القسم الاول اقرب وافضل حالاً من القسم

(١) أي مخدوع.

(٢) أي مُعْجَبٌ.

(٣) أي اختبر.

(٤) الإمهال والتأخير. المنجد ص٧٧٥ مادة (مَلَوَ).

الآخر ولذا حصل المطيعون على امتيازات، كما حُرِمَ العاصون من بلوغ درجات لا يصلون اليها إلاّ بالايمان والتوحيد والتقوى كما هو الحال في القسم الاول.

ولكن هذا لا يعني حرمان القسم الآخر من جميع الاستحقاقات الطبيعية لهم كمخلوقين بل لهم ذلك ثم تأتي مرحلة الاختبار ليُكشف من خلال ذلك مدى الاعتبار والاتعاظ اذ ما من شيئ خلقه تعالى إلاّ وفيه موعظة وعبرة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد فاذا استفاد أحدٌ من هذا واجتاز الاختبار وكانت النتيجة الاهتداء والايمان فيكون له ما للقسم الاول واما لو لم يستفد بل تمادى على اساس القوة والاغترار ببعض القابليات -التي لم يلتفت الى انها مخلوقة لله تعالى ايضاً- فسوف يمهل ويؤخر عسى ان يرعوي ويرجع الى صوابه ورشده وإلاّ فمصيره النار وساءت مصيراً وقد اودى بنفسه هو الى هذا المصير ومن دون ظلم أو انحياز ضده أو جناية من أحد عليه لأنه تعالى غني عن العالمين لاتنفعه طاعة المطيع ولا تضّره معصية العاصي بل النفع والضرر في دائرة العبد فقط وسيندم ويشعر وقتئذ بانه جنى على نفسه بذلك الانخداع بتوالي الفرص والذي قد ظن ان ذلك الاحسان وتتابع النِعم عليه يعني انه على الطريق الصحيح حسباناً منه انه لو لم يكن كذلك لما تواصلت النعم عليه لكنه غفل عن انه تعالى قد حدد الطريق لكل أحد وبيّن المستقيم من المعوج ثم أوكل الأمر في الاختيار والسلوك الى ارادة العبد من دون ما تأثير أو ضغط.

ويعرف ايضاً ان عدم اخذه بالعذاب وعدم تعجيل العقوبة له على المعاصي انما هو ستر من الله تعالى الخالق العظيم الرؤف الرحيم اللطيف الحنّان المنّان وليس عجزاً عن ايقاع العذاب وبالشكل المناسب حسب ما يشاؤه تعالى.

فالدعوة اذن من خلال هذا البيان الى ان يراقب العبد ربّه، ويستشعر وجوده، ويؤمن بقدرته، وانه مطلّع على كل شئ حتى خطرات القلب ولحظات العين وما يجول من افكار ولو لم يبدها لأحد، فعندئذ يكون العبد على جانب كبير من التقوى ، والورع عن محارم الله عزّ وجلّ بما يوفر له حالة الاستقامة باجلى صورها وابهى مظاهرها فينعم بها ليصل الى رضوان الله وما فيه خير الدنيا و الآخرة.

فلابد للعاقل حينئذ من ان لا يغتر باقبال الدنيا عليه وكونه محظوظاً اذ من الممكن ان يكون ذلك اختباراً فلا بُدَّ ان يكون متوازناً محافظاً على القواعد الصحيحة التي تضمن له عدم المساءلة أو المحاسبة.

١٢١- قال عليه السلام :

كنْ سَمْحاً ولا تكن مبذّراً، وكنْ مقدِّراً ولا تكن مقترّاً.

الدعوة الى اعتماد موازنة متعادلة الطرفين بالشكل الذي يضمن الانسيابية والاستقرار الاقتصادي ولا يضر بالمستوى المعيشي بما يهدد الوضع الاجتماعي من جهات عديدة.

وذلك يعني ان يتعوّد الانسان على الانفاق في ضرورياته وما يحتاجه ولو كانت من الكماليات الثانوية ولكن لا يتعدي الحدود المعقولة لذلك، ولا بتجاوزٍ ولا بافراطٍ بما يشكّل علاقة سلبية ضده فيوصف بعدم التوازن أو السفه أو قلة التدبير أو سوء التوزيع أو عدم القدرة على الانضباط وكل ذلك بل بعض ذلك كفيل بتقليل فرص الاعتماد عليه اجتماعياً أو مهنياً.

لأن الناس اتفقوا بحسب الحالة الطبيعية المودعة لديهم على جلب المصلحة ودفع المفسدة بمختلف الصور والمظاهر ومن الواضح ان صرف المال من دون توازن: من المفسدة وايضاً صرف مقدار يفي باللازم واستبقاء غيره

يُعَدُّ من المصلحة فمَنْ لم يوافقهم على ذلك ولو لحالة طارئة عليه فلا يعاملوه ولا يستأمنوه، وفي ذلك من الضرر بشخصية الفرد ماهو اوضح من ان يخفى على أحد.

فلا بُدَّ ان نتصور فارقاً بين ان ينفق الانسان على ما يريد ولكنه لا يسرف بمعنى انه لا يتجاوز الحد المعقول، وبين ان ينفق بالشكل الذي يتعدى معه الحد المعقول فيصبح مبذراً مفرّقاً للمال من دون ما حكمة ومنفعة وعائدة.

فمن الواضح ان البذل مع التقدير والحساب ومراجعة الميزانية لا يتنافى مع قواعد الجود والكرم أو البذل الوجاهي بل ان ذلك يعني الانضباط والنظام اللذين يعززان الثقة بالفرد وقدرته على التقدير من دون ما تقتير وتضييق في النفقة.

فالالتزام بهذه الموازنة يضمن عيشاً مستقراً، مناسباً،مسايراً للوضع الخاص بكل فرد أو مجتمع لأن النسبة يتحكم بها نفس الشخص بقيمومة العقل ورعاية الضمير. فهو يتماشى مع وضعه الاقتصادي بالشكل الذي لا يرهقه من أمره عسراً كي لا يحتاج الى اقتراض أو استيهاب أو تحايل ونحو ذلك من وجوه تحصيل المال المحللة أو المحرمة لأن الانسان ان سيطر على رغباته و وازن بين وارده وصادره تمكّن جيّداً من الانفاق من دون ما اجحاف ولا تقصير.

١٢٢- قال عليه السلام :

كن في الفتنة[١] كابن اللَّبون[٢] لا ظهر فيُركب ولا ضرع[٣] فيُحلب.

ان لهذه الحكمة أهمية خاصة اذ قد نشأ على حفظها الصغار وشابَ على ذلك الكبار جاعلين لها قانوناً يتّبع، ونصيحة يؤخذ بها من دون ما مناقشة وما ذاك إلاّ لأنهم تأكدوا من سلامة فكرتها وصحة هدفها وأحقيّة غايتها بما يجعلهم مقتنعين بها غاية الاقتناع ومترسميها في خطى الحياة بحيث صارت شيئاً مسلّماً حتى عند من لا يبالي بالتعاليم السامية.

ولعل من أهم اسباب ذلك انها تكفلت بتبيان خط عام يضمن لسالكه السلامة والامان من الاخطار المحدقة وذلك هو المطلوب للجميع حتى صارت مَثَلاً يستشهد به في حالات تلّبد الاجواء بالمشاكل السياسية أو الازمات المحلية.

وايضاً مما حقق لها انشداد الناس وانجذابهم نفسياً ان الإمام عليه السلام قد وَضّحَ ذلك بالمثال القريب من فهم عامة الناس فمن المعلوم ان ولد الناقة -وهي انثى البعير- لا تكون له مشاركة فعّالة وذلك لعدم احتماله وضعف بنيته فلا يستفاد منه ركوباً وامتطاءً أو حملاً ونقلاً هذا ان كان الولد ذكراً واما لو كان انثى فالفائدة المتوخاة منها هو ادرار اللبن فلو كانت بذلك العمر فهي بعدُ لم تتأهل اذ لابد من تلقيح الفحل حتى يتكوّن اللبن.

---

(١) المحنة والابتلاء. المصباح المنير ج٢ ص٦٣١.

(٢) ابن اللَّبون : ولد الناقة يدخل في السنة الثالثة.. سميّ بذلك لأن اُمّهُ ولدت غيره فصار لها لبن. المصباح المنير ج٢ ص٧٥٢.

(٣) الضرع: مُدَرُّ اللبن للشاة والبقر ونحوهما وهو كالثدي للمرأة. المنجد ص٤٥٠ مادة (ضرع).

فاذا عرفنا هذا عرفنا ان الانسان اذا اراد السلامة لنفسه فلا بُدَّ وان لايدخل في متاهات لا تؤدي به الى نتيجة، فعليه بالابتعاد حتى يحقق لنفسه الحماية والكفاية مما يحذر.

فالدعوة اذن الى التوقي والحذر من الدخول في كل ما يعرض للانسان في حياته العملية من قضايا سياسية أو خلافات قَبَلية، عائلية، أسرية، بين الاصدقاء، بين الشركاء، بين الزملاء،...

وعليه ان لايجنح وانما يتخذ موقفَ المحايد ان لم يتطلب الامر التدخل وإلاّ فعليه ان ينصر الحق ويتدخل الى جانبه وإلاّ كان معاوناً للباطل ومناصراً للظلم. فليس المراد من الحكمة التخاذل والابتعاد عن المسؤولية بل التحفظ كيما يتضح الامر ويتجلى الحال بما يجعله مسدّداً في اتخاذ القرار المناسب ليسلم من العواقب الوخيمة التي تكون عادة بعد ارتجال المواقف أو تصديرها لحساب حالات ضغط فكري أو مادي أو...

﴿حرف اللام﴾

١٢٣– قال (عليه السلام):

لا تجعلنَّ ذَرَبَ[١] لسانك على مَنْ انطقك، وبلاغة قولك على مَنْ سددّك.

يمكن ان نستفيد من هذه الحكمة معنيين قد يهدف الى كل منها قسم من المتأملين في الحكمة:

الاول: انها دعوة الى عدم استعمال اللسان وهو نعمة[٢] انعمها الله تعالى على عبده يمكنه من خلاله التوصل الى توضيح المقاصد والتفاهم مع

---

(١) الذَرَبُ: بَذاءُ اللسان. المنجد ص٢٣٤ مادة (ذرب).

(٢) ذكر د.خالص جَلَبي في كتاب الطب محراب الايمان ج١ص٢٢٨ (ولننظر الان الى هذا اللسان =

القريب والتصويت للبعيد و..و.. مما يدخل في مهمات البيان والتعبير، وايضاً يمكن من خلاله تذوّق الطعوم وادراك الحرارة والبرودة والحلاوة والمرارة كما يساعد على المضغ والبلع والذوق.

وهذه المنافع مهمة جداً في حياة الفرد ولها دور كبير في تسيير وضعه اليومي، ولو تعطلت أو افتقدها فسوف يعاني في سبيل التعويض والوصول الى المطلوب بل يعاني كثيراً حتى ينسجم مع البديل المعوِّض.

فالإمام عليه السلام -على هذا المعنى الاول- يريد اشعار الانسان بأهمية اللسان البالغة، فعليه ان يعرف قدر ذلك فلا يستغله في المعصية سواء كانت أكلَ أو شربَ بعضِ المحرمات المنهي عنها شرعاً أو التعبير به عن الافكار الهدّامة والمسمومة التي تروّج للالحاد أو الباطل عموماً لأن استغلال اللسان في ذلك يعني استغلاله في غير الجهة المخصّصَة أو المرجّوة له لأنه تعالى لا يحب الباطل بكافة اشكالِهِ ومظاهرِهِ ومختلف مستوياته وغاياته.

الثاني: انها دعوة لاحترام من كان تولّى التربية وكان يقوم بدور المعلم منذ البداية والنشأة الفكرية للانسان ملتزماً جانب الادب ومتبعاً قواعد اللياقة والاحترام فلا يتسلط ولا يتعالى عليه يوماً من الايام في مقال أومجلس أو.. أو... لأن اساس هذه القدرة المتنامية انما هي ببركة تعليم المعلم فلا بُدَّ من حفظ ذلك والوفاء معه ولا يعقل ان يجرب ذلك مع المعلم الذي يعود فضل التفوق اليه.

= العجيب الذي يحتوي على (١٧) عضلة للحركة، وعلى غشاء مخاطي يغلفه، وعصب خاص لتحريكه في كل نصف، أي عصبان رأسيان هما العصب تحت اللسان الكبير في كل جانب و(٦) ستة اعصاب لنقل الحس...).

اذن فالحكمة تدعو الى حفظ الحق وعدم تناسيه سواء كان للخالق تعالى لأنه المنعم، أو للمؤدب المعلم لأنه الذي حاول تطبيع الانسان (المادة الخام) وتحويله الى مفكر له أفقه الخاص في التفكير والتحرك نحو عالَم أوسع.

١٢٤- قال (عليه السلام):

لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، اذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فإقدِمُوا.

الدعوة الى التطبيق وعدم الاكتفاء برفع الشعارات ومجرد الادعاء بل لأبُدَّ من تعزيز ذلك بشواهد عملية تطبيقية ليكون الأمر واقعياً صحيحاً لينتفع به الجميع وإلاّ فما الفائدة العامة مما يختص به الإنسان لنفسه.

١-والعلم مما يجب تعميمه بصورة وأخرى للجميع ليستفيدوا منه وليتفقهوا في أمور دينهم ويعرفوا الصحيح من الخطأ فلا ينحرفوا خصوصاً وأن المُضلات التي تصرف الإنسان عن الواقع الصحيح كثيرة جداً، فلا بُدَّ من تطويقها بما يجعلها محدودة الدائرة لئلا يتورط بها الجُهّال الذّين قلّ نصيبهم في العلم أو انعدم -أحياناً-.

ولذا قال عليه السلام (إذا علمتم فاعملوا)، اذن فهو يريد التطبيق ولا مجال للتأخر والتماهل والتباطؤ لأن الإنسان إذا عرف الكفاءة من نفسه وكان بمستوى المسئولية لم يكن له عذر في التقاعس عن أداء واجبه أزاء المجتمع بل وأزاء نفسه لأنه بذل الجهد الجهيد حتى تعلّم فهل يصح أن يبقى في عداد الجُهّال لأن المعادلة واضحة من تعلّم يعمل ومن جهل لا يعمل.

فإذا تعلم ومع ذلك لا يعمل فهو الجاهل كما أنه إذا لم يتعلم ومع ذلك حاول العمل يقع في مشاكل ومطبّات عديدة.

٢-وأيضاً اليقين إذا حصل للإنسان فاطمـأن قلبـه وعـرف الواقـع ولم يلتبس عليه شيء فلا خيار أمامه إلاّ التطبيق والعمل وفق يقينه.

فإذا ما ترك العمل بعلمه، أو ترك الاقدام على تطبيق ما تيقنه فإنه يحوّل نفسه الى شيء آخر لا يطلق عليه عالم، متيقن.

لأن الفائدة المنتظـرة مـن العلـم، اليقـين هـو التطبيـق والعمـل والتنفيـذ الكامل لما يقررانه -العلم، اليقـين- فـإذا مـا تجاهلهمـا فإنـه الـوأد لهمـا وعـدم التقدير لشأنهما وهذا ما لا يريده عليه السلام منّا بل يعلّمنا الواقعية والشـجاعة واصالة الرأي ليقرر الإنسان مصيره بنفسه ولا يتعلل بعد ذلك بشيء لأن العلم، اليقين هما الحد الفاصل بين العالم والجاهل، وبين الواثق المتيقن والمتردد الشاك.

١٢٥- قال عليه السلام:

لا تسأل عما لم يكن، ففي الذي قد كان لك شغل.

الدعوة الى ترك البحث عما لايعنـي وعما لم يأتِ بعد، وعمـا سيصير لأنه مشغلة للانسان بما لا ثمرة فيه ولا جدوى من أثره خصوصـاً وأنـه لاينتهـي الى حدّ لفرض عدم حصولـه وتحـدده بـل يبقـى في اطـار الاحتمـالات الكثـيرة والمتشعبة بما يجعل الانسان في متاهة متعبة.

فالافضل للانسان والاليق بـه ان يعتـني بـأمره الفعلـي فيصـرّف أمـوره ويدبّر شؤنه ويبحث عما هو مفيد له في ذلك الظرف ويتـابع المسـتجدات بمـا يقوّم وضعه وحاله ولا يتهرّب من ذلـك بالتوجـه الى المسـتقبل الغـامض الـذي لايعرف مداه ولا ثمرةَ التباحث فيه.

لأن ما حدث وانتهى وما يحدث فعلاً يكفي لمـلء فـراغ الانسـان مـن جميع النواحي النفسية، الفكرية، الزمانية، الاقتصادية،.. ويسد عليه اوقاتـه الـتي كان يعوزها الامتلاء بما لايترك له مجالاً للتفكير بأمور اخرى.

ولهذه الحكمة هدف سامٍ يكتسب أهمية بالغة في الوقت الحاضر لما يعانيه العالَم عموماً من أزمات ومشاكل نفسية تؤدي في بعض حالاتها الى ما لايحمد عقباه وذلك -الهدف- هو :

ان الإمام عليه السلام يحث الانسان على ان يكون عملياً اكثر فأكثر ولايكون من البطّالين والمقصود من ان يكون عملياً ان يتولى مسؤوليته اتجاه نفسه وعياله: زوجة وأولاد وسائر من يلتقيه، بتوجيه النصح، بمتابعة الدقائق ليضمن عدم الزلة، عدم الانحراف، عدم الخروج عن الخط الصحيح انسانياً أو عقائدياً، لأنه لو ترك تلك الامور لغيره فليس من المضمون اداؤه لها بكفاءة ان لم يساعد على تحطيم بعض الاسس المتبقية في النفوس والاذهان مما يخلخل كيان الفرد المستقيم وعندها تكون المشكلة أكبر من أنْ يحتويها ويصعب وجدان الحل أو يتعسر القيام به مما يعني التأخر عن المسيرة فيعطي فرصة لأصحاب النوايا السيئة بالسيطرة والاستيلاء.

وأحسب ان مَنْ يستوعب هدف الإمام عليه السلام يوقن يقيناً صادقاً ويؤمن ايماناً راسخاً لاشك فيه ان الإمام يرعى الانسانية من قبل زمان بعيد ويخطط لحفظ الاجيال كي لاينزلقوا أو ينحرفوا أو يتورطوا فهل يبقى عذرلأحد لو صار بطّالاً يبحث عما لايعنيه ويتدخل في حسابات القادم مع أنه لايضمن بقاءه حتى حصوله. فهذا درس اجتماعي تربوي يحسن بمن يريد السير وفق المنهج الصحيح استيعابه والاستفادة منه وعدم نسيانه مهما مرّت السنوات.

١٢٦- قال عليه السلام :

لا تستحِ من إعطاء القليل فإنّ الحرمان اقلُّ منه.

الدعوة الى ان يساهم كلٌّ بمقدار مكنته وجهده وان لايستحي لعدم مساواته مع غيره ممن يشارك في دفع الاكثر، وذلك على اساس ان الوجود خير من العدم ولابأس على الانسان ان يقدّم ما يمكنه، بل البأس عليه ان يخل بذلك أو ترك محتاجاً من دون ما اعانة ممكنة.

وهذه المشاركة تختلف باختلاف الموارد والاشخاص ولا تتحدد عند حدود اعطاء الفقراء والتصدّق عليهم بل ذلك من بعض الموارد ولايعني ان المعطي المخاطب بهذه الحكمة هو مَنْ كان محدود الدخل فقط بل يعم جميع الافراد خصوصاً وان بعض الاغنياء ممن يبحثون عن الشهرة والأبّهة والوجاهة الاجتماعية قد يمنعه من المشاركة:انه لايستطيع -لأي سبب كان- المشاركة بما يقتضيه وضعه الاجتماعي فيّرد أو يتملص أو يتخلص بوسيلة واخرى من المشاركة لئلا يعيّر بالقلة أو الافلاس أو ان غيره فاقَهُ في ذلك فتضيع عليه فرصة معاونة الغير، هذا كله باعتبار المعونة المادية بكافة صورها، واما العون بالجاه والوجاهة وما يمكن ان يحققه الانسان من دون ما تقديم الاعيان فأيضاً على الانسان ان لايفرط في الشئ القليل منه ولايزهد فيه لأنه ليس من المتوقع -دائماً- القيام بجميع الدور بل يكفي دفع العجلة بمقدار الامكان.

فالحكمة تعطي محفزاً لأن يقوم كلٌّ بدوره في اسعاف المحتاجين -مهما كان الدور ضئيلاً- لئلا تتعطل الحالة وتكثر الشكوى وتكون عندئذ من المشاكل الاجتماعية التي يتفاقم حلّها شيئاً فشيئاً والله تعالى يراقب الجميع فمن سعى بمسعى كريم كافأه أحسن الجزاء ومن بخل وتعطل أحوجه الى ذلك ليجد ألم الرد وصعوبة الجَبْه والرد.

١٢٧- قال (عليه السلام) :

لا تصحب المائق[١] فانه يزّين لك فعلَهُ، ويوّد أن تكون مثله.

الدعوة الى انتقاء الصاحب، والصديق، والمعاشر، واختياره واخضاعه لاختبار أخلاقي، أُسري، عقائدي، بما يجعل الانسان في أمان من شر الانعكاس، والأخذ السلبي، وانتقال الصفات السيئة، فيخسر الفرد نفسه عندئذ جرّاء الصاحب المعاشر.

وقد حذّر عليه السلام من صحبة الاحمق لأنه يعاني من نسبة خلل عقلي بل قد ورد تعريف الحمق في بعض المصادر اللغوية[٢] بأنه فساد العقل فتكون النتيجة أشد. فهو وان يبدو للناظر وكأنه متوازن التصرفات إلاّ أنه سرعان ما يُفْصِحْ عن هويته من خلال تصرفاته ونزعاته وتوجهاته و رغباته مما يترك الخيار للفرد في قطع الصلة أو الاقتصار على المجاملات الخالية من المصاحبة الأكيدة، أو المواجهة مع تحمّل النتائج الناجمة من طول المصاحبة وكثرة المعاشرة والتوطن لذلك ولايظننّ أحدٌ ان من الممكن تفادي الوقوع في ذلك بأخذ الجيد واكتسابه وترك الرديء لأن الكرة لاتكون في ملعبه دائماً -كما يقولون- بل قد يتأثر تلقائياً، وعلى مرّ الزمان يتعوّد، خصوصاً اذا لم يكن الفرد ذا تجربة وخبرة يؤهلانه للانتقاء والاختيار فيقع في مطبّات تُفْقِدُه السيطرة على وضعه.

ومن المعلوم ان الصاحب والصديق يكون قوي التأثير على صاحبه الآخر لذا يفوق احياناً تأثير الوالدين أو الاقرباء فاذا عرفنا ذلك وآمنّا به أدركنا سرّ تحذير الإمام عليه السلام ودعوته الى ان لانصحب الاحمق الذي قد علّل نهيه عليه السلام عن ذلك بأنه يُحَسّنُ ويُحَبّذُ لصاحبه مشاكلته ومتابعته وتقليده على اساسٍ من وحدة الحال، ومن الانفتاح، وسائر الضغوط التي يُعتاد

---

(١) الاحمق. المنجد ص٧٨٠ مادة (موق).

(٢) يلاحظ مثلاً المصباح المنير والمنجد.

ممارستها في مثل ذلك. مضافاً الى أنه يتمنى ويحب ان لاينفرد بالعمل لوحده بل يكون معه غيره فان كانت لائمة وسلبية في الموقف فلتكن على غيره أيضاً.

فلا بُدَّ للشباب والشابات خصوصاً مَنْ هم في سن لاتؤهلهم – مرحلياً– لأستبطان الأمور واستخبار الحقائق ان لايعمّقوا أواصر العلاقات المدرسية أو المهنية أو في سائر المجالات الاخرى التي تكون تجمعاً للالتقاء بل يكتفي بمجرد التعارف من دون منح المزيد من الثقة لئلا يصدمه الواقع المرير والحقيقة القاسية المؤلمة فتكون عداوة بعد صداقة، وقطع بعد مواصلة وهي خسارة وقد تشكل متاعب نفسية احياناً كثيرة فيتعّقد من الانفتاح على الآخرين فيكون منطويا، مع ان الحياة تريد منه الانفتاح المعقول، المدروس، المسيطَر عليه لا الانفلات.

١٢٨– قال عليه السلام :

لاتظُنّن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءً وانت تجد لها في الخير محتملاً[١].

الدعوة الى حُسن الظن واشاعة الثقة بين افراد المجتمع والابتعاد عن سوء الظن والتهمة، وأن لايفسح المجال للتحسبات السيئة وبذلك تسود الطمأنينة ويغلب جانب الخير ويشيع ويكون هو العنصر الفعّال الذي يسعى لعقد الاتفاقات بين افراد المجتمع و لاتكون حزازات أو أحقاد أو عداوات أو ضغائن بما يجعل الصدور مدخولة بالشر والسوء وتحتفظ بالمواقف التي كانت نتيجة سوء الظن مما يؤجج الحقد ومحاولة الانتصار.

ولهذا عدة آثار محمودة يعمر بها المجتمع، منها ان الكل يعيش الثقة والاطمئنان والصدق والتصديق بأجلى المظاهر من دون حاجة الى وسائل إقناع

---

(١) وردت في بعض النسخ (محملاً) والمؤدى واحد.

وتأكيد إذ قد يتغلغل من بينها الكذب والتزوير بما يجعل المظهر يختلف تماماً عن المخبَرْ وعندها تسود حالة الارتياب والتكذيب وعدم الثقة وسوء الظن فلا تسري الأمور بطبيعتها بل بمؤثرات الصداقة أو العلاقة أو القوة وما الى ذلك مما يجعل التعامل بين الاجسام والصور الخارجية لا بين الارواح الانسانية التي اذا تحاورت باخلاص عمرت الارض بالخير، لأن الله تعالى خلق في الروح الانسانية تفاعلات مع الارواح الاخرى بما يجعل حالة من الألفة والتلاقح الفكري والتلاقي ضمن أطار المحبة وعدم الاضرار مهما كان، إلاّ انه عندما طغت العناصر الماديّة الممقوتة تبدّلت بعض الارواح فصارت تتفاهم على حساب المصلحة، واساس الانتهازية، ومنظار المنفعة ولذا صار المجتمع مثقلاً بأشكالات بدأت تلقي بظلالها فافتقد الأمان والاستقرار والوثوق بالآخرين والانفتاح للقريب و.. و... بل تحوّل المجتمع -الذي يُفترض فيه أنه أسرة واحدة كبيرة- الى تكتلات متشرذمة، البعض يؤول كلام البعض على احتمالات و وجوه قد لايتصورها نفس الشخص المتكلم وفي هذا من الاثر السيء على الاولاد والنشء الصاعد الشيء الكثير فيتعلّمون الازدواجية وإساءة الظن بما لايتناسب ومراحل اعمارهم.. فلا بُدَّ ان نلتزم هذه الحكمة ليكون التفاهم والوئام والثقة فلا نحتاج الى تأكيدات وأيمان وصكوك وأوراق ومستندات إلاّ في أقصى الحالات وأندرها، اذ يُلغى وجود ذلك كله اذا توفرت الثقة والشعور بمسؤُ لية الكلمة والانفتاح على الغير كما هو على النفس وعدم اضمار السوء والغش وما الى ذلك بل يحب لغيره ما يحبه لنفسه ليكون مسلماً بحقٍ وحقيقة.

١٢٩- قال عليه السلام :

لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فانّ الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجُّ بها عليك يوم القيامة.

دعوة الى عدم التسرّع في الكلام والتأني قبل الجواب فإن عدم الجواب خير من الجوابِ غيرِ المناسب لما يستلزمه من كذبٍ وتغييرٍ للحقائق.

والى عدم التسرّع في تبيان جميع المعلومات لأن بيان بعضها مورِّط والعاقل بطبعه يبتعد عن المورِّطات.

ولايمكن انكار شئ لأن جميع ما ينطق به الانسان موثق عليه بما يدينه -احياناً- وتكون مادة تجريمه والتحريض عليه من خلال اعضاء بدنه[1] .

اذن فاللازم عدم قول ما نجهله وعدم قول كل ما نعلمه بل يتوازن الانسان بين المواقف التي ينبغي التكلم فيها أو السكوت أو قول بعض والسكوت عن البعض الآخر ليحفظ نفسه أو غيره ولو لم يلتزم بهذا لتعرض للسؤال لأنه مراقَب من حيث لا يمكنه التنصل والإنكار ولم يُترك ليتصرف بما يحلو له فيفعل ما يريد ويترك ما يريد بل على الإنسان أن يلتزم بما افترض الله تعالى عليه من واجبات والتزامات لئلا يضيّع فرائض الله عليه.

---

(١) اذ قد أخذ الله تعالى عليها ان تشهد عندما يُطلب منها ذلك يوم القيامة فتُفْصِحُ عن كل ما ارتكبه الانسان من خلالها وكل عضو يدلي بشهادته حسب موقعه واختصاصه والشاهد على الجميع هو الله تعالى وقد قال تعالى ﴿يوم تشهدُ عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يُوفّيهم الله دينَهُم الحق ويعلمون أنَّ الله هو الحق المبين﴾ سورة النور(٢٤). وقال تعالى ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ سورة يس(٦٥). وقال تعالى ﴿وما كنتم تستترون أنْ يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيراً مما تعملون﴾ سورة فصلت(٢٢).

مما يؤكد حقيقة اطّلاعه على كل شئ وعندما يدين العبد فانما يدينه بإقراره لتكون الشهادة أبلغ وأثبت.

ومن أراد التعرف على تفاصيل الفرائض فعليه مراجعة وصية الإمام عليه السلام لولده محمد بن الحنفية[1]

١٣٠- قال (عليه السلام):

لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

دعوة الى تقديم ما يرضي الله تعالى في سائر المواقف قولاً أو عملاً على ما يرضي الناس، فان أمكن الجمع بينهما فهو الخير وإلاّ فتترجح كفة رضا الله تعالى لأنه المضمون العاقبة بينما رضا الناس يتغير بتغيّرهم وتتوزع اتجاهاته باختلاف رغباتهم وتوجهاتهم والفرد المسلم بل العاقل عموماً لايستبدل المضمون بغيره ولايقدّم المتأرجح على المتوازن الثابت ومعلوم ان الله تعالى لايرضى إلاّ الصحيح وما فيه خير الانسان.

بينما المخلوق قد يرضى الصحيح وقد يرضى غيره، كما قد يختار ما فيه الإضرار بالغير من منطلق المصلحة إلاّ أنه تعالى منزّه عن النقائص ومن جملتها الاضرارُ بالغير.

اذن فالحكمة تمثل درساً من دروس ترسيخ العقيدة وأعطائها دوراً كبيراً لا هامشياً يتغيّر بتغير الظروف والمؤاتيات الوقتية.

ومتى رسخت هذه القاعدة لدى المسلم أمكنه التغلب على كافة الصعاب لأنها قاعدة الايمان با لله والثقة بعدله وحكمته والتسليم له والحب فيه والتفاني من أجله .

وكل هذه العوامل مساعدة على نجاح مسيرة الانسان لأنه مخلص في ولائه فيستحق الامدادات الالهية التي تغنيه عن المخلوقين.

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ص٣٨١ ط النجف.

بينما لو قدّم المسلم رضا المخلوقين لعدم ترسخ تلك العوامل المؤلفة للقاعدة العقيدية فسوف يترآى له الخذلان في جميع مرافق حياته ويتصور له في كافة مجالاته لأن التوفيق والوصول الى المطلوب انما هو بتقديم رضا الله تعالى وقد انعكست الحالة عند هذا الفرد فواجه مصيراً مؤسفاً. اذ قد خاف مخلوقاً ولم يخف الخالق!!

١٣١– قال العَلَيْهِ السَّلَامُ:

لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة.

يبيّن عليه السلام في هذه الحكمة اموراً قد تخلّى عن التمسك بها الكثيرُ من الناسْ لحسبانهم انها من الماضي الغابر الذي لم يعدْ نافعاً في عصرهم فأراد عليه السلام اعادة الرونق والنضارة لها والكشف عنها بما يجعل المتصف بها عارفاً بأهميتها وقيمتها المعنوية.

١– العقل: اذا تم للانسان ان يدرك الاشياء بواسطة (نور روحاني به تدرك النفسُ ما لاتدركه بالحواس)[1] فانه سيتمكن من معرفة الاشياء المواجهة معرفةً أقرب ما تكون للصواب والدقة ويكون قوياً في إصدار الاحكام والجدل في القضايا لأنه يستند الى ذلك المصدر الوثيق الذي يكشف عن الأمور كشفاً دقيقاً فاذا كان كذلك فهو غني بفكره ومصدر تحريكه للأمور فلا يشكو عوزاً في استيعاب القضايا حتى لو كان فقيراً بالحسابات المادية ولغة الارقام لأن العقل يهديه لاستحصال المال (المشروع طبعاً) بينما الذي يحوز المال الكثير وهو مفتقر للعقل لا يمكنه –دائماً– الاستهداء لشئ أو حلّ مشكلة بواسطة المال، واذا أمكنه ذلك فهو بواسطة شراء العقول والاعتماد عليها فهو فقير عقلياً وان

(١) المنجد ص٥٢٠ مادة (عقل). وقد تقدم نقل بعض التعريفات للعقل في شرح الحكمة (١١) فراجع.

حسب نفسه ممن يملك عقلاً. وفي هذه الفقرة من الحكمة تسكينٌ لآلام الفقراء ذوي الطاقات المبدعة وشدٌّ على سواعدهم ليتواصلوا في كفاح الحياة ليحققوا الانجازات الممكنة وان تجاهلهم الاغنياء فهم ينتظرون من الإمام عليه السلام هذه اللفتة والتقدير لا أحد سواه.

٢- **الجهل**: ضد العلم بالشئ وهو من المعلومات الواضحة.

وقد تبين مما تقدم ان الجهل يعني الحاجة والعوز وعدم الكفاية وذلك بإعتبار المقابلة بين العقل الذي يعني العلم والانفتاح والمعرفة، وبين الجهل الذي هو مقابلها ولذا كان في اختيار التقابل بين كلمتي الغنى والفقر وبين كلمتي العقل والجهل -كان- حُسْناً بلاغياً له أثره اللطيف في ربط المعاني وايصالها الى الذهن بحيث يتأثر بها السامع ليقتنع بها.

فالجاهل ولو كان غنياً بلغة الارقام والمقتنيات هو الفقير حقاً والمحتاج واقعاً. ولا يحسبنّ في وقت يمرّ عليه انه من الاغنياء لأن الغنى الصحيح هو الثراء العقلي لأنه الذي يقوّم الامم ويهدي الشعوب ويحقق الآمال ويهدف الى تحقيق المنافع وتوسيع قاعدة المصالح وليس ذلك كله بالمال وأن تمّ بعضه بالمال فهو بإعتباره أحد الوسائل لا أهمها.

٣- **الأدب**: ان يكون لدى الفرد محاسن الاخلاق ومكارمها وأن يتعوّد فيتطّبع على ذلك بحيث ينشأ ويظل على ذلك التطبع حتى يكون طبيعة من خصائصه الذاتية.

ومن هذا الشرح المبسط للأدب المقصود في الحكمة هنا يتضح وجه أنه خير ما يورثه الانسان لأبنائه والجيل الناشئ من بعده لأنه يغذيهم المحاسن والمكارم ويربيهم حتى يتعودوها وتكون شيئاً عاديّاً وطبيعياً ومن دون كلفة عليهم بل ينطلقون فيه من ارض القناعة والتصديق الأكيد بالفائدة.

وبهذا يكون قد ساعد على اصلاح المجتمع وإسعاده وتعمير بعض جوانبه المهدّمة باندفاع غالب أفراده نحو الماديّات بما جعلهم مهملين للمعنويات والتي منها محاسن الاخلاق ومكارمها وكل فضيلة ... فخوت قلوبهم وتبائسوا ولم يظهر عليهم أي أثر للتقدم والسعي الحثيث الذي قدمّوه في سبيل الوصول الى هدفهم المادي.

فكأن الحكمة في هذه الفقرة تتوجه نحو الأولاد الذين لم يحصلوا على قدر من الميراث المادي كما هو شأن البقية، فتصور الأمر بان الاموال زائلة مهما كانت وبلغت بينما الاخلاق الراسخة في النفوس والتربية الصالحة هي التي تبعدهم عن السجون ودور الاصلاح ومراكز التأديب وهي التي توفر لهم العيش الكريم وهي التي تحفظ لهم الصورة الناصعة والمحترمة في أنظار الآخرين وهي.. وهي... مما يطول بتعداده الكلام وهو معلوم لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بما يجعله في عداد الأساسيات التي لانقاش في ثبوتها.

٤–**المشاورة:** هي مفاعلة من المشورة بمعنى بيان وجه الصواب وتقديم النصيحة، وقد قال عليه السلام كما يأتي شرحه ان شاء الله تعالى في محله (من أستبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولهم) مما يدل ويؤكد على نقطة حساسة يغفل عنها الكثير مكتفين بتجاربهم ومعلوماتهم وأحياناً استبدادهم وتسرعهم وهو الذي يغيّر مجرى الاحداث الى حيث الورطة وصعوبة التلافي عندئذ.

بل ينبغي للعاقل ان يعتمد رأي أحدٍ ويستند الى خبرة خبير ولو بمجرد العلم بوجوه الآراء وتوجهات الاشخاص ومديات أنظارهم ومستويات أفكارهم وأطروحاتهم للحلول المناسبة والحالة المعينة، وبعدها فلو لم يجد أياً منها مقنعاً للعدول عن رأيه أمكنه الوقوف عند رأيه والعمل به من دون ما تقيّد بآراء الآخرين لأن مَنْ يسدي النصيحة ولا يقصّر في إبداء الرأي ويستجيب

للأشارة عند طلبها منه انما يقـدّم حصيلـة خبرتـه في الحيـاة، وعصـارة افكـاره، وغاية ما توصّل اليه وهو غير متهم بشئ لأن المفروض أنه قد تقدم اليه المستشير بطلب الاشارة وإبداء المشورة فأشار حتى سميت مشاورة فـلا بُـدَّ مـن التوقـف جيداً عند قوله وعدم الاستعجال بالرفض أو إتخاذ قرار معـاكس في تعاملـه مـع القضايا لأن ذلك هو الحمق بعينه وقلة الحكمة بل انعدامها.

ولهذه الأهمية عبّر الإمام عليه السلام بانه لاظهير كالمشـاورة والظهـير هو المعين[1] فلم يعبّر بذلـك عـن الامـوال الـتي يكنزهـا الانسـان ويحتفـظ بهـا للشدائد ولم يعبّر عن الأولاد الكثيرة أو العشيرة والأتباع أو عن الجاه والمنصـب وقوة التأثير و.. و... بل قـد خـص المشـاورة بذلـك الوصـف الدقيـق لنعـرف أهميتها في نضج القضية المطلوب التوصّل الى حلّها.

اذن فالدعوة الى تعظيم شأن العقل وان لايستقله الانسان أن رُزق به

والى التخلص من الجهل مهما أمكن لأنه فقر يلاحق حتى الغني.

والى اكتساب الأدب والتحلّي به والمحافظة عليه وتعميمه للأتباع.

والى عدم الاستبداد بالرأى بـل بالـتروي وطـرح القضيـة علـى بسـاط البحث والنقاش لتتمخض المناقشة عن أفضل الحلول للقضية.

ولو اتبعنا ذلك في حياتنا وحاولنا -ولو جاهدين- تطبيق بنودها لعرفنا الطريق الى تحصيل الغنيمة من دون ما قتال.

١٣٢- قال (عليه السلام):

لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض.

يحرص الكثير من الناس على القيام ببعض الأمور الثانوية بينما يتقـاعس ويتماهل عن الاساسيات بما يجعله يخسر الثمرة ولايربح مـن اتعابـه شـيئاً يذكـر

---

(١) المنجد ص٤٨٢ مادة (ظهر).

يستحق كل ذاك الجهد الجهيد، وهذا أمرٌ منطقي في جميع المجالات يصح الحكم به حتى في العبادات ، فالكل يعرف ان الله تعالى أوجب الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر و موالاة آل بيت النبي(ص) ومعاداة اعدائهم، مضافاً الى برّ الوالدين وصلة الرحم وصدق الحديث واداء الامانة والانفاق على النفس والزوجة والولد، والوالدين أحياناً- وحفظ الجوار والانصاف والعدل وغير ذلك، ولكن قد يتجاوز ذلك ليأتي بما هو أقل أهمية فمثلاً يصرف الوقت الطويل أو المال الكثير في تأدية الصلاة المستحبة أو المبّرات والمشاركة في المشاريع الخيرية إلاّ أنه في ذات الوقت لا يُحسن اداء الصلاة بالشكل المطلوب المجزي، أو لايؤدي الحق المفروض في امواله المنقولة وغيرها«النقدية و الاعيان»فيقصّر من هذا الجانب الذي سيحاسب عليه حتماً والذي لايسد مسدّه ذلك العمل المستحب الذي انما يؤتى به لأجل تتميم نواقص الواجبات وترميم الوضع العام ليحصل على نتيجة ثواب أجزل وأفضل.

فلم تبق هناك فائدة و لم تكن مقرّبة و لانافعة لأنها قد ألقت بضلالها على الواجبات المفروضة فأدت الى إعدادها إعداداً ناقصاً مما يعني عدم الامتثال المسقط للتكليف.

وكذا مَنْ يعين المحتاجين ويترك والديه أو قريبه وهكذا من ينفق على اصدقائه ويمسك عن عائلته مع ان الانفاق عليهم واجب والى غير ذلك من الامثلة التي تدخل تحت عنوان النوافل والتي هي جمع النافلة وهي:(ما تفعله مما

لم يُفرض ولم يجب عليك فعله)[1] أو كل (زيادة على الفريضة)[2]، وتحت عنوان الفرائض والتي هي جمع الفريضة وهي: (ما أوجب الله على عباده)[3].

فلا بُدَّ من الاهتمام بتأدية الفرائض في كافة جوانب الحياة المتعددة ثم اتمامها بالنوافل والاعمال التي يؤتى بها تقرّباً لله تعالى وطلباً لمرضاته واستزادةً من الأجر والثواب الأخروي.

اذ ليس من المهم استقصاء النوافل بقدر ما يهمنا امتثال الفرائض لأن هذه تستعقب العقوبة وتلك تستعقب الاجر والمثوبة والمهم عقلاً دفع العقوبة اذا زاحم جلب المثوبة.

١٣٣ – قال (عليه السلام):

لا يترك الناسُ شيئاً من أمر دينهم لأستصلاح دُنياهم إلاّ فَتَحَ الله عليهم ما هو أضرُّ منه.

تحذير من التمادي في التعدي على الاوامر الشرعية والخروج عن خط الالتزام بالضوابط والاحكام اللازم اتباعها على المسلمين لأن الاسلام والالتزام به كـ دين وعقيدة يقتضي التعهد التام بعدم الخروج وبعدم الانفلات عن القيود المفروضة وذلك كما هو الحال في سائر الاديان أو المبادئ ولو الوضعية فانها تحدد مسار المتبعين ضمن الخطة المرسومة وإلاّ فيستحقون الجزاء المفروض في مثل الحالة المرتكَبَة.

ولا بُدَّ للانسان ان يفهم جيداً ويقتنع تماماً ويوقن يقيناً ثابتاً لا يخالطه ادنى شك بأن أمر الدين مقدّم على أمر الدنيا فلا بُدَّ من اعطائه الاولوية،

---

(١) المنجد ص٨٢٨ مادة (نفل).

(٢) المصباح المنير ج٢ ص٨٥٠.

(٣) المنجد ص٥٧٧ مادة (فرض).

وعدم التفريط فيه أو التسامح في أداء ما يحتمه الالتزام الديني بل يجب أن يؤدي حق الدين كأحسن ما يكون وإلاّ فإنه يحكم على نفسه بالخسران لأن الجانب الديني مهم جداً ولا يمكن التساهل في تقديم غيره عليه لأنه يعني عدم صدق الإيمان والعقيدة من الداخل وهذا ما لا يصح من الفرد المسلم. وهذا لا يعني إغفال الدنيا والزهد فيها بل هي مكملة للدين وفي المرتبة اللاحقة بحيث يصلح ان يكون كلٌّ منهما جزءً يتمم الآخر مع تقدم ذاك الجانب لأولويته المذكورة، فاذا كان الأمر هكذا فلا يصح عقلاً ان يفرّط الانسان فيما هو الأهم، والأسبق رتبة، والذي يتكفل بمعالجة قضايا يعجز عن معالجتها غيره ليقدّمْ عليه ما هو زائل، ومؤقت، لأن الدنيا بحسب النظرة العامة تمثل المحطة، وحقل التجارب، وساحة الانتظار، والموصل الى ما هو أرجح وأنفع ومن المؤكد المعلوم لكل أحد أن هذه ظروف مؤقتة... لا يمكن القياس عليها.

فإذا لم يقتنع أحدٌ بما تقدم فقدّم الدنيا لعدم فهمه تقدّم الدين بل قد يعتبره عائقاً أو عاملاً مساعداً على تقليص الحالة الانشراحية في الدنيا بما يجعله شيئاً عسراً في مرحلة انسيابية الدنيا والتعامل فيها فيكون جزاء هذا ان يواجه حالات من المتاعب والمصاعب والمشاق ما يجعله يندم على تمرّده وعلى تقديم المصلحة الزائفة، اذ كان يمكنه الجمع بينهما بان يقدّم ما قدّمه الله تعالى و يهتم بأمر الدين كشيئ له أولويته و أهميته مع تمتعه بالدنيا وما تفتحه من عالم فسيح رحيب لا يتنافى مع خط الدين ولا تكون بينهما أية معارضة على كافة الصُعُد لأن الله تعالى حكيم في افعاله لم يخلق الدنيا عبثاً أو لتكون مصدر متاعب ومسائلة للخلق بل ليُظهروا طاعتهم ومكامن الابداع في نفوسهم بما يلتقي مع خط التعاليم الشرعية لتعمر الارض بالتوحيد والايمان ولتظهر للخلق مظاهر عظمته تعالى وقدرته و عجز غيره عن الاحاطة بالاسرار الدقيقة التي جعلها في المخلوقات العجيبة الكائنة في الدنيا.

كما أنه لم يجعل التعاليم -بما تحمله من الاوامر والنواهي على اختلاف درجات تركيزها وشدة أو ضعف الالزام بها- لتكون مصدر قلق للانسان في الدنيا.

بل لتكون مرشداً له يساير من خلالها الحياة بكافة ابعادها المتجددة يوماً فيوماً ولتكون مصدر حماية له لئلا يتعرض للعوادي ولو النفسية التي يعّبر عنها بالنفس الامارّة بالسوء فتسوّل له ارتكاب محظور أو التسلط على محظور مما يجعله في دائرة المحاسبة والمساءلة.

١٣٤- قال (عليه السلام):

لا يُزَهِّدَنَّك في المعروف من لا يشكرُ لك، فقد يشكرك عليه مَن لا يستمتع منه، وقد تُدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر[1] والله يُحبُّ المحسنين.

قد يواجه الانسان المحسن الذي أدمن فعل المعروف وتعوّد على عمل الخير بعض الصعوبات بحيث تُعكّر عليه صفوه ولا تشجعه على الاستمرار بل تثبطه عن ذلك لأنه يُقابَل بالنسيان والتجاهل وهو ما يصعب على الانسان غالباً فتثور ثورته الداخلية ويقارن بينه وبين غيره الذي لم يفعل المعروف فيراه يُحترم ويُذكر وقد تفتعل له مواقف فيُشكر عليها مع انها لم تصدر منه بينما يرى نفسه منسي المواقف تُكفر مواقفه، وتُنسى وتُتجاهل، وتغلب عليها قضايا اخرى من الحساسية، والمشاحنات، ونكران الجميل، وهذا كله مما يجعل البعض زاهداً، غير راغب في عمل المعروف بل يفضّل الانصراف عنه، ومقاطعته، لعدم التلقي المناسب، ولما يتحمله من متاعب نفسية من جرّائه، فيعلن مقاطعته، وعدم قيامه بعمل المعروف بعد ذلك وفي ذلك من الآثار السلبية على المجتمع ما

---

(١) الذي جحد النعمة وتناساها وهو ضد الذاكر. يلاحظ المصباح المنير والمنجد وغيرهما.

حفّز الإمام عليه السلام لتوجيه كلمة في المقام لتكون علاجاً وتهدئة للنفوس وتطيبياً للخواطر لئلا تقلّ فرص عمل المعروف أو تنعدم من قائمة اعمال بعض الافراد لشدة صدمتهم وأليم تأثرهم النفسي مما صادفهم، فكانت هذه الحكمة: بأنّ على الانسان ان لايعزف تماماً ويتعقد من فعل المعروف لو لم يتلقَ الرّد المناسب بل من المؤكد بان الله تعالى يشكره ويتلقاه بالقبول فيمنحه التوفيق ويمّد العبد الفاعل بكل ما يجعله متميزاً متقدماً في مسيرة الحياة المليئة بالعثرات، مع أنه تعالى غير محتاج لذلك بل احياناً لم يكن الدافع وراء العمل التقرّب له تعالى وانما هو لغايات خاصة ولكن مع ذلك يتولى الأمر بلطفه وتفضلّه ليشجع المحسنين ويجعلهم يتواصلون في ذلك الطريق المحبوب لديه والمفضّل عنده اذ به تعمر الدنيا وتستمر الحياة متواصلة رغم المصاعب والمشاق التي تفرزها اعمال العباد بكل ما فيها من سلبيات تجعل الدنيا في ضنك ، وفي سبيل تغيّر، وانقلاب حال إلاّ ان تلك الافعال الحسنة واعمال المعروف تخفف الوطأة وتساعد على تمرير المشكلة. هذا لمن يكتفي بشكر الله تعالى له، وأما مَنْ يتوقع ذلك من العباد فأيضاً يتهيأ له مَنْ يشكره على عمله الحسن والايجابي ولو لم يكن منتفعاً به بل ليشجعه على الاستمرار والمواصلة ، إذن فالشكر حاصل ولو لم يكن من المنتفع ذاته فلا بُدَّ من المضي قدماً في طريق فعل الإحسان وعمل الخير من دون تعلل بعدم الشكر لأن فعل الإحسان وعمل الخير مما يحبه الله تعالى ولذا يهيء للمحسن ألسنة الثناء والشكر بمختلف الوسائل ومن مختلف الأفراد لكي يداوم على ذلك ولا يمنعه إغضاء المنتفع وتناسي المستفيد وقد أكدّ الإمام عليه السلام بانّ ما يصل لفاعل المعروف من الجزاء الاوفى خيرٌ بمراتب ودرجات مما مُنع عنه.

وفوق كل تلك التطمينات والضمانات كانت البشارة بان هذا الانسان محسنٌ والله تعالى يحبّه وهذا ما لايُدركه إلاّ سعيد الحظ ومَنْ اراد الله تعالى به خيراً.

١٣٥- قال (عليه السلام) :

لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث باستصغارها لتعظُم، وباستكتامها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ.

ان من الامور التي تتغلب -احياناً- عند الانسان حبّه لذاته بشكل يؤثر على غيره ومن ذلك انه لو توفّق لأن يساعد اخاه الانسان في انجاز امرٍ مهم، وتتميم عمل ناقص، وازاحة مشكلة عالقة، فانه يستعمل أدوات (الأنا) التي تتضخم لديه في مثل هذه المواقف فيبدأ بالتحدث عما انجزه مع أنه قد يضّر غيره بذلك، كما انه يذكره مستعظماً له متبهراً منه، وفي حالات عديدة يكون بطيئاً في انجازه للعمل اذ انه لم يعانِ من وطأة الحاجة الى التسريع والتعجيل. وهذه أمور تحول دون قضاء الحوائج لما في كل أمر منها من الحساسية بالنسبة للآخرين لما يستلزمه من المّنة أو التباهي أو التباطؤ.

وهذا مما يتفق حدوثه اكثر من مرة، مع شخص واحد، ومن شخص واحد، وفي حالة واحدة مما يسبب الاستياء والتذمر من قبل الآخرين، أو الانكسار من البعض لما يستجره من تشهير بحاجتهم واحتياجهم، أو الشعور بالفخر والتعالي والاعجاب بالنفس مما يساعد على الغرور الذي هو من الآفات الاخلاقية التي تضيّع على الانسان فرص خيرٍ كثيرة واعمالاً جليلة.

فلذا بادر عليه السلام يدعونا الى ضرورة الابتعاد عن تضخيم الامور واعتبار ما أُنجز وما قُضي امراً عظيماً بل يجب ان يعتبر كشيئ عادي لم يتسم بطابع سوى انه طبيعي وعندها سيكون له أثره التام في النفوس فيعظُم لوحده، مضافاً الى ضرورة عدم اشاعة ذلك ونشره بل التستر عند العمل حفاظاً على مشاعر الغير لئلا يشعر بالضعف والحاجة وعندها سينتشر من حيث لا يعلم فيكون مادة دعاية ومصدر احترام فهو قد حفظ الغير فحفظه الله تعالى اذ انه تعالى متكفل بحفظ حرمات المؤمنين جميعاً ولذلك عدة صور ومظاهر بما

يجعلهم في مأمن من التشهير وتعريف الغير بوضعهم المتدني ومَنْ يكون محافظاً كذلك على حرماتهم يجزيه تعالى بان يجعل له ذِكْراً حسناً بين الناس بما يغنيه عن مصدر دعايته الخاص.

مضافاً الى ضرورة التعجيل والاسراع لأن صاحب الحاجة يكون في أمسّ الاوقات الى انجازها من أي وقت فلا بُدّ من مراعاة مشاعره وحساب مصلحته الشخصية واتمام جميل المساعدة بالصورة التي تمكنه من الوصول الى هدفه بالوقت المطلوب ، لا محاولة المماطلة والتماهل والتباطؤ بل على الانسان الذي توفق لأنجاز الأمر ان يحسب الأمر كما أنه له فمِنْ المؤكد أنه يرغب عندئذ بانجازه بأسرع وقت، فعليه أن يكون شعوره مقارباً إن لم يكن كذلك – واقعاً– عندما ينجز الأمر لغيره. اذن فالدعوة الى ان تسود روح الأخوّة.

ونبذ مظاهر المنّة والتباهي وكل ما من شأنه التشهير بالآخرين بما يحرجهم اجتماعيا.

وانتظار الجزاء الأوفى من الله تعالى.

وان لا تستغل فرصة للظهور والمعرفة الاجتماعية وان في ذلك مجالاً لحسابات معينة، لئلا يضّر بالثواب المعّد لأمثال العمل.

١٣٦– قال عليه السلام :

لا يصدق ايمان عبدٍ حتى يكون بما في يد الله[1] أوثق منه بما في يد غيره.

في هذه الحكمة توجيه مهم نحتاجه في حياتنا المعاصرة فإن الكثير ممن

(١) تعالى الله عن ان يكون جسماً فالمقصود باليد القدرة والقوة والنعمة، وقد عبّر بها كذلك حتى في القرآن الكريم لما تعطيه من دلالات يفهمها العرب اذ كانت تستعمل عندهم اليد للقدرة ولما يكون به التسلط على الاشياء والتمكن منها تنزيلاً لما يتمكن منه ويقدر عليه منزلة ما في اليد العضو (الجارحة).

يعتمد في تدبير شؤن حياته على كدّ يده أو على ما يفكر به بحيث يدرّ عليه المنافع الماديّة أو على علاقاته الأخرى، يتناسى مصدر الخير المطلق وهو الخالق تعالى، فلا بُدَّ له اذن من ان يتوكل عليه سبحانه ويثق به ولا يتكل على مجهوده الشخصي من دون ما عون إلهي ولو بالتوفيق والرفد بالنجاح في مجالات الاختيار ومواقع العمل لأن الاعتماد على الله تعالى والثقة به من اساسيات إيمان العبد بخالقه.

هذا كله بعد ان يقوم العبد بانجاز ما عليه لكي يفوز بنتيجة مرضية يكللها توفيق الله تعالى له وتسديده وتأييده بما يجعله متقدماً في ميادين الحياة.

ولعلّنا نستخلص من هذه الحكمة رداً على أولئك المرتادين لأماكن المشعوذين الذين يوهمونهم بأمورٍ لا واقع لها ولانصيب لها من الصحة فقد يرسمون لهم خارطة حياتهم متكاملة مع انهم يعجزون عن ترفيع مستواهم المعاشي، الاجتماعي، أو معرفة ما تحت اقدامهم وما في غد بما يجعلهم في مستوى أرقى وأليق من كونهم عرّافين، قارئي الكف، الفنجان...

فعلى المؤمن ان لاينخدع بذلك ويسترسل مع الاوهام التي لا توصله الى شيء بل عليه ان يؤكد ايمانه بالله وقدرته وانقياد الجميع لارادته فلا يكون إلاّ ما شاء تعالى وفق حكمته المتعالية، ﴿وما تشاءون إلاّ ان يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً﴾[1] .

---

(١) سورة الانسان (الدهر)، آية (٣٠).

١٣٧- قال عليه السلام :

لا يُعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

وعدٌ بأن الذي يصبر على نوائب الدنيا بمختلف أشكالها وأبعادها المؤلمة سيصل الى مطلوبه ولو بعد حين فلا ييئس لطول المدة ولا يظننّ أنه من المنسيين بل عين الله ترعاه، وقد سُجّل في قائمة المظلومين الذي تكفّل الله تعالى بنصرتهم ولكن بشرط التسليم والانتظار، لما يجهله من مصالح تخفى على مستواه الفكري لأنه محدود الافق مهما كان مفكراً ويزعم لنفسه أفقاً واسعاً. فإذا جاء الوقت المناسب سيتمكن من المرام وتتحقق كل المنى والاماني فعليه أن لا يجزع ولا يتجاوز حدود الأدب في التعامل مع الله تعالى.

وهذا وعد وضمان من عاقل مجرب فضلاً عن كونه تلميذ رسول الله (ص) الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى فعلينا أن لا نتجاوز مرحلة العبودية في تحركاتنا اليومية ضمن اطار الحياة فنجزع ونعترض ونريد إنجاز كل شيء سريعاً ونرغب بإنزال العذاب فيمن آذانا لأن لكل شيء حد لا بُدَّ من بلوغه حتى يكون في محله المناسب.

١٣٨- قال عليه السلام :

لا يقلُّ عملٌ مع التقوى، وكيف يقلُّ ما يُتقبل.

الدعوة الى التقوى ومجانبة المحرمات لنكون من المتقين حقاً لا مجرد رفع الشعارات التي يُعتاد رفعُها لدى قطاع المتدينين مما يجعل القضية تدور ضمن إطار العادة والاعتياد بل لا بُدَّ أن نكون صادقين فيما نقول، مستعدين للتطبيق غير متنازلين عن المبدأ مهما حصل لنكون حقاً من المتدينين المتقين وإلاّ لأصبح الاسم غير مطابق للمسمى ولكانت التسمية أقرب الى الادعّاء منها الى الواقع والحقيقة.

فلا بُدَّ أن لا يعتبر العمل قليلاً أو صغير الحجم أو من دون بذل مجهود كبير فيُستقل لذلك لأن العمدة القبول والتوصل من خلال العمل الى رضا الله سبحانه والبركة والتوفيق وسائر ما يتمناه لأنه عندما يُقْدِمُ على عمل ما فانه لولا المحفزات القبولية لما كان متشجعاً نحو إنجاز العمل.

إذن فالهدف هو القبول، والقبول مقرون بالتقوى، وقد قال تعالى ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[1]، فإذا قُبِلَ العمل فهذا أقصى المُنى وإلاّ فما الفائدة من الكثرة[2].

فالدعوة الى أن يقرن الإنسان اعماله بإرادة رضا الله تعالى ومسايرة التقوى في جميع الأمور بما يجعل الأمر وفق المقاييس الشرعية وإلاّ فلا يقبل مهما كان حجمه أو تأثيره لأن المدار والاعتماد على المقبول من الاعمال لا غير، فليكن همّنا قبول اعمالنا لا كمية اعمالنا، والقبول لا نحرزه إلاّ بالتقوى، وفقنا الله تعالى لذلك.

---

(١) سورة المائدة، آية (٢٧).

(٢) قد يدور في ذهن البعض في لحظة ضعف يواجهها من نفسه وأمامها فلا يهتم بالمعروض عليه على أساس قلة حجمه أو عدم الكلفة فيه وقد افترض في نفسه القيام بالصعاب والمهمات وهذا عمل قليل غير صعب فيوكل القيام به الى غيره ممن هم اقل قدرة منه، ونحو ذلك مما يفكر به البعض بل ويتعاملون على أساسه وكأنهم قد اختاروا لأنفسهم مواقع معينة يخدمون من خلالها أنفسهم والمجتمع من حوائجهم غير مبالين بما هو أهم وأهم من القبول والوصول، ولكنهم قد نسوا المطلب الأسمى الذي يسعون إليه ألا وهو القبول وهو ما لا يحصل إلاّ مع تقوى العبد وورعه عن محارم الله وخوفه من الله عز وجل.

١٣٩- قال عليه السلام :

لا يُقيمُ أمرَ الله سبحانه إلا مَن لا يُصانِعُ [١] ، ولا يُضارِعُ [٢] ، ولا يتّبِعُ المطامع.

اعطى الإمام عليه السلام صفات الإنسان المثالي الذي يمكنه إقامة حكم الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسيطر على ذلك الأمر الخطير سيطرة متكاملة بما يحجّم المنكر بكافة اشكاله وصوره ويجعله محدود الانتشار وهذا الإنسان المثالي لا بُدّ أن يكون:

أولاً: غير محابٍ ولا مجامل ولا مدارٍ ولا مداهن ولا متنازل على حساب مبدأه ودينه وما يأمره به من الاستقامة.

وثانياً: غير خائف من العواقب وغير خاضع لأحد حتى تبقى هيمنته في القلوب والخوف منه في النفوس ولا يخشى سطوة أحد أو سلطان متغلب بل يحيا وكأنه لوحده لا يرى سوى الله تعالى ليكون أقدر وأقوى إرادة وعزيمة على تنفيذ الحكم الآلهي في حق أيٍّ كان.

وثالثاً: أن يكون نزيهاً بعيداً عن الاغراءات المادية والميول نحو شيء لأنه لو كان غير ذلك فمعناه سهولة التغلب عليه ولو من خلال رغبة مؤقتة كما هو شأن قضاة وحكّام المتنفذين والمتغلبين كأنهم يدارون مناصبهم ومراتبهم ومرتباتهم الجارية من الأموال أو النفوذ وما الى ذلك مما يسيل له لعابه فيعرض عن دينه ويتوجه بكامله نحو مطامعه.

---

(١) صَانَعَ مُصانعه، صانَعَهُ: داهَنَهُ، داراهُ. المنجد ص٤٣٧ مادة (صَنَعَ).

(٢) ضَرَعَ اليه: خضعَ وتذلل. المنجد ص٤٥٠ مادة (ضَرَعَ).

فالدعوة الى الاستقامة والاعتدال وعدم الانحناء أو الخضوع أمام المغريات لأن ذلك يفسد القضية ويحكم عليها بالفشل والخسران ولا يمكن إقامة العدل على وجه الارض. لأن الحاكم إنما يستمد القوة والجرأة وإمكانية مواجهة المنحرف، بما يمتلكه في داخله من إيمان وعقيدة وتصميم على التنفيذ لأدق التفاصيل وعدم التخاذل أو الانخذال النفسي أمام السطوة والقوة وما الى ذلك مما يتبع مع أمثاله.

ويمكن استيحاء الشمولية في الافراد المنطبق عليه وصف المقيم لأمر الله تعالى فلا يقتصر فيه على الحاكم والقاضي والمنفذ ورجل الدين والشريعة وما الى ذلك بل يشمل رب العائلة ومعلم التلاميذ ومربي الأجيال وكل مَنْ يمكنه إيصال صوت الحق الى أفراد معينين فإنه يجب أن يتحلى بقوة الشخصية وعدم الخنوع لأحد وعدم الخضوع أمام المغريات ليتمكن من قول الحق وتطبيقه من دون ما تأثير أو غلبة.

١٤٠- قال عليه السلام:

لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ اخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته.

للصداقة احكام والتزامات وتحفّظات قد يغفل عنها الكثير فيطلقونها على تعارفهم الاجتماعي وعلى زمالات العمل أو الدراسة أو مراحل الحياة الاخرى التي يمر بها الانسان، بينما الصداقة مشتقة من الصدق والود والنصح[١] يقال صادقته المودة والنصيحة[٢] وقد فسرت الصداقة بالمحبة[٣] مما يعطيها معنى دقيقاً يختلف عن المستهلك المبتذل القائم على المصالح واستنزاف الاطماع والمطالب ولهذه الالتزمات والشروط بيّن عليه السلام ما يمكن للانسان ان يكون صديقا ويتحقق به مفهوم الصداقة فيكون هو من افراد ذلك المفهوم ومصاديقِه الخارجية.

اولاً: ان يعينه فيما ينوبه من مشاكل وهموم ويساعده في تجاوزها ويخفف عنه مهما استطاع فلا يتخلى عنه ولا يتركه لوحده ولا يساعد عليه ولا يتشمت به ولا يتنصل من الصداقة والمعرفة الشخصية لان ذلك من علامات ضعف الشخصية واهتزاز البناء الداخلي للذات والا لقاوم وتحمل ازاء صاحبه ومن كان يعتبره صديقه.

وحالة النكبة تعني حلول المصيبة[٤] وهو ما يحتاج فيه الانسان لمن يسلّيه ويواسيه وينسيه ما حل ونزل به ليقاوم ويواجه بصلابة من دون ما انهيار نفسي أو جسدي لان ذلك من موارد الامتحان والشهامة وما من أحد إلاّ وله

---

(١) يلاحظ المصباح المنير ج١ ص ٤٥٨ مادة (صدق).

(٢) يلاحظ اساس البلاغه ص ٣٥١ مادة (صدق).

(٣) القاموس ج٣ ص ٢٥٢.

(٤) يلاحظ المصباح المنير ج٢ ص ٨٥٨ مادة (نكب).

اعداء ومبغضين يتمنون وقوعه في محنة ومعاناة ليأخذوا دورهم المناسب في القيل والقال واشاعة الخبر وترويج الاخبار الكاذبة المغرضة كأحد وسائل الحرب النفسية والاعلامية المضادة لإضعاف قدرات الطرف الاخر.

ثانياً: ان يتساوى حال الحضور والغياب ففي الكل يبقى مناصراً له محافظاً على المحبة والود فلا يطعنه بكلمة أو فعل أو أيّ شيء يسيء اليه وهذا لا يعني السكوت عن الحق أو المعاونة والمؤازرة حتى في الباطل بل المفروض ان هذه التجاوزات الشرعية بعيدة ولم تدخل معترك النزال وإلاّ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وتتقدم نصرة الحق على الباطل ولو كان على حساب الصداقة.

ومما يكثر وجوده في الصداقات العامة العائمة غير المرتكزة على مركز الصدق والحق هو ان يكون الاندفاع مقتصرا على حضور الشخص وما عداه فلا مانع من الاصغاء أو المساهمة فيما ينال منه من كلام أو تعريض، وهذا مما يعكر صفو العلاقات ويجعلها مجاملات فارغة. كما هو المفترض في مبدأ اشتقاقها، وقد يجد البعض هذا اللون في الازدواجية في التعامل من احد انواع الشطارة والقدرة على المراوغة وكسب الناس و.. و... مما يتوهمونه، لأنه بعيد عن الثابت الاصلي من القيم والمبادئ.

ثالثاً: ان يكون وفياً حتى بعد وفاته سواء كان الوفاء لذكراه، لعائلته، لأولاده، لأقربائه، لأبويه، لكل ما يذكِّر به حتى الاصدقاء كل ذلك رعاية للصديق فاذا ما كملت هذه المواصفات والُتزمت هذه الشروط صار المتصف بها صديقاً صدوقاً صحيحاً فيما أعلنه من صداقة وفيما ادّعاه من انشداد وقرب روحي.

١٤١- قال عليه السلام :

لا ينبغي للعبد ان يثق بخصلتين: العافية والغنى، بينا تراه معافى إذ سقم، وبينا تراه غنياً إذ افتقر.

يتعرض الانسان لحالات تطغى في تدفق امواجها على عقله وتفكيره فلا يعير اهمية لكثير من الملامح الفكرية ويكون ضعيفاً ومهزوز الشخصية أمام المغريات المعروضة فينسى اساسيات الموقف ومهمات القضية ولذا حذّرهُ الإمام عليه السلام بان لا يغتر اذا تعافى لان العافية وكونه في حال صحية لا يشكو فيها مرضاً أو ألماً يغريه بالتعالي و العمل على اساس انه غير محتاج لأحد وعنده صحة فيمكنه ان يتصرف ما شاء لا يمنعه أحد ، كما يتوهم أنَّ من حقه ممارسة اي شيء حتى المحرمات والممنوعات الشرعية أو الوضعية القانونية على اساس ما يتراءى له من نشاط جسماني يؤهله لذلك فيتعدى المقبول من التصرفات الى المرفوض وعندها تكون النكسة عقوبة له وليظهر له ان قوته وما كان يتوهمه من قابليات لا يحول دونها شيء، ومن المؤكد ان سبب ذلك الانتكاس هو تناسيه لقدرة الله تعالى وتجاوزه على القواعد الصحيحة وهذا مما لايقبل بحال.

واظن ان الشواهد على قوله عليه السلام (بينا تراه معافى إذ سقم) كثيرة فكم من ماشٍ يصبح أو يمسي قاعداً أو نائماً لا يستطيع حراكاً، وكم من مصارع وملاكم وحامل اثقال وما الى ذلك مما يفتخر به احياناً لكونه قويا في جسده يهزم منْ امامه إلاّ انه في نهاية المطاف ينتهي به الامر على كرسي متحرك، وكم من متكلم يتسابق مع غيره على اظهار قدراته اللسانية فاذا به اخرس يستعمل الاشارة وقد يصدر اصواتاً هي اشبه ما تكون الى اصوات بعض المخلوقات ، وكم من متنصت متسمع لما يدور من همس واصوات غير معلنة فاذا به لايسمع بل لايعي مَنْ بجنبه واكثر الشواهد اثارة وفيه عنصر التشويق

للمتابعة هو حال من كان مقيما على بعض المعاصي ثم يتحول الى جسد خاوٍ لا يدفع عن نفسه الذباب أو لا يمنع تجاوزات الاخرين أو لا يستطيع الصبر على شيء فيبكي لاجل رغبة أو حتى يصرخ احياناً وما الى ذلك مما يندهش له الانسان ويقف مذهولا، اهكذا إمهال الله تعالى ثم اخذه اخذ عزيز مقتدر لا يفوته شيء ولا يعجزه أحد ؟!!

وايضاً حذّر الامام عليه السلام من اغترار واندفاع الانسان عندما يرى من كثرة الاموال، وطويل قائمة الممتلكات، وعدِّهِ من الاغنياء فيُحدِثُ ذلك في نفسه فخراً وعزاً وشموخاً على الاخرين وتعاليا على احكام الله تعالى وتناسيا للفقراء الذين جعل الله لهم في اموال الاغنياء حقوقاً يجب اعطاؤهم اياها وقد قال الامام الصادق عليه السلام (مياسير شيعتنا امناؤنا على محاويجهم فاحفظونا فيهم يحفظكم الله)[1] فيكون لزاما على الاغنياء المياسير الذين تيسرت عليهم الحياة بما حووه من اموال اقدرتهم على تجاوز الصعاب والازمات الاقتصادية فمن الضروري تَكَفَّلُهُم ببعض شؤون الفقراء ولو بمقدار الحق الشرعي الذي يعاقَبُ مَنْ لم يؤدِهِ، ولا احسب ان ذلك يتعبهم أو يؤدي الى خسارتهم في اسواق المضاربة بل يفتح لهم ابواب رحمة الله تعالى،وليعتبروا الانفاق على الفقير الذي ينقذوه من الجوع أو الالم من بعض ما ينفقوه في غداء العمل أو ما يُصرف في السهرات لاجل إقناع الطرف الاخر بالتعاقد وما الى ذلك مما يصرفوه على المباذل واحياناً الملاهي المحرمة من دون ما توقف أو تورّع،بينما يتناسى الانسانُ اخاه الانسان وتكون لديه من القسوة ما تجعله لا يعتني ولايحرك ساكنا لو تضوّر امامه الفقير من الجوع أو تلّوى من الالم، مع انه قد يلقى نفس المصير ومن المحتمل القوي ان ينتهي حاله الى مثل هذا الحال بل أشد وأوهى وأهون وأذل.

---

(١) اصول الكافي ج٢ باب (فضل فقراء المسلمين) ح٢١.

إذن الدعوة الى عدم الاغـترار باقبـال الدنيـا، بالصحـة، أو المـال، بـل التذكر دائما ان الامر سيؤل الى مثل ذلـك لـو لم يـؤد حـق ا لله تعـالى سـواء في امواله أو أخلاقه أو جسده أو تعامله أو سائر تحركاته في الحياه بما يجعلـه عبـداً شكوراً مؤدباً غير متجاوز، وهذا أمـرٌ عـام لا يخص المتمـرد علـى احكـام ا لله والعاصي لأوامره بل يشمل غيره لئلا يزّين له الشيطان مستقبلاً ان ينحو منحـاه ويسلك مسلكه لأنه لا ضمانة في البقاء على الخط المستقيم إلاّ من عند الإنسان نفسه لأن توفيق ا لله تعالى متوفر دائماً فإنه سبحانه يفيض على عباده ما ينفعهم إلاّ أن العباد قد يحولون دون الوصول بسبب بعض ما يصدر منهم.

١٤٢- قال عليه السلام :

اللّجاجة[1] تسل الري.

مما يتعرض له الانسان في المناقشات العلنيـة الـتي تـتم أمـام مشـهد مـن الناس مهما قلّ أو كثر العدد: هو حالـة الاصـرار علـى الـرأي وعـدم الاذعـان للرأي الصواب وهذا الاصرار على الـرأي ممـا يعـني العنـاد والتواصـل في الخـط السلبي للمناقشة وهو ما لا يقبل في امثال ذلـك لان القـاعدة الـتي يسـير عليهـا المتناقشون -عادة- هو التسليم للحق اينما ظهر ومتى ما ظهر من دون ما تردد أو تعصب، واما لو حدث العكس فسـيؤثر سلباً على رأي المعـاند المصـر فـلا يحترم رأيه ولا يصغى لقوله بل قد يتعامل معه بـالمثل فتخـرج القضيـة عـن حـد المعرفـة الى حـد إثبـات الوجـود وابـراز العضـلات والتحديـات الممقوتـة في المناقشات العلمية التي يتطلب من ورائها الوصول الى الحقيقة، وهذا أمر مستمر

(١) الخصومه: القاموس ج١ ص ٢٠٥، وفي جمهرة اللغة ج١ ص ٥٤ عمود ٢ (لَجَّ يَلَجُّ لجاجاً اذ محِك في الامر) ومحك بمعنى نازع في الكلام وتمادى في اللجاجة. وفي المنجد ص ٧١٣، مادة (لجّ) (لجّ .. لجاجةً): عَنَدَ في الخصومة.

في سائر الازمان ولا يتحدد بزمن دون آخر بل تجده حتى في ارقى المراكز العلمية وازهى العصور الثقافية لان ذلك الاصرار والعناد نابع من اصالة الانسان في الداخل وتجذر الحالة الانانية عنده وهو شيء طبيعي لكن يؤمل من المناقِش النزيه التخفف منه شيئاً فشيئاً لتتمحض القضية بانها توصلٌ الى الحقيقة لا تغلبٌ على الخصم وإنما الخلاف ما دام النزاع قائما فاذا انتهى انتهت بذلك السخونة الحوارية التي تولدت من احتكاك الطرفين أو الاطراف بالكلام وعلو الصوت وما الى ذلك من طبيعيات المناقشة والمذاكرة العلمية.

وقد دعا الامام عليه السلام الى التنزه والابتعاد عن روح المقاومة السلبية والاصرار على الرأي من دون ما دليل مقنع وموجّه لان الانسان طالب حقيقة فاذا وصل اليها لا بُدَّ له من الاذعان والاعتراف بانها حقيقة يجب الوقوف عندها وترك المجادلات الجانبية لانها لاتثمر شيئاً مرضياً.

فالدعوة اذن الى الرفق في المناقشات وعدم التعنت والتعند بل (وجادلهم بالتي هي احسن) ليتضح الامر لكل متعلم ولا يتيه في غمار المناقشات والاصوات العالية والأخذ والرد والجدل بل على المتناقشين ادراك حقيقة مهمة وهي امانة تاريخية بأنْ يحفظوا الجيل المتعلم الناشئ فلا يُظْهِروا امامه سلبيات نفوسهم وعقدهم الحياتية وتأثراتهم الشخصية بما لا ينتج نتيجة والاّ لفقد الرأي احترامه وما ذلك إلاّ من اللجاجة.

١٤٣- قال عليه السلام :

اللسان سَبُعٌ[١] اذا خُلي عنه عقر[٢].

تقدم في شرح بعض الحِكَم السابقة بيان ان اللسان نعمة، وتقدم ايضاً تعداد بعض فوائده وخصائصه وما يوفره للانسان من منافع إلاّ انه في ذات الوقت يشكّل خطراً على الانسان ان لم يحسن سياسته و لم يرع اصول الحفظ والاحتراس من ضرره فانه اذا لم تحدد له ضوابط معينة وتُرِكَ على حاله و لم يُسيطر عليه فانه يكون سبباً مباشراً وقوياً -ومقتضياً- لإلحاق الضرر بالانسان وانزال الاذى به وتوجيه اللوم والعذل له بما يجعله متندماً متأسفاً كئيباً حيث لاينفع ذلك -احيانا-.

وقد كان وصف الامام عليه السلام دقيقا عندما وصفه بانه (سَبُع) فقد اعطاه تشبيها دقيقا ووصفه بمَنْ يماثله في الصفات العدوانية والخصائص الذاتية وهو المفترس الذي تتغلب عليه النفس السُبُعية التي تحركه وتحثه شديداً نحو الانتقام والافتراس واقتناص الفريسة، واللسان له ما يشبه هذه الصفات من حيث انه يظل ملحا على صاحبه حتى يحركه فيفصح عما لم يدرسه من افكار ويتكلم بما لم ينضج من آراء بل بمجرد خيالات مما يجعله مقتنصا للفرصة ولايرى غير ذلك.

فاللازم ملاحظته ومراعاته وحفظه والالتفات اليه وعدم الغفلة عنه وعدم الاهمال له لانه سلاح ينفع من جهتين فلا بُدَّ لمن يمسك به ان يعي ذلك جيدا ويحترز منه لئلا يؤذيه فاللسان يمكن ان يستعمل في كلام الخير مطلقا فيؤجر على ذلك ويُحترم ويُوقر، ويمكن ان يستعمل في الشر وكلام الفتنة والنميمة والغيبة والفحش والبذاء والتدخل في شؤ ن الغير و.. و... مما يحمّل

(١) السَّبُع والسَّبع : المفترس من الحيوان مطلقا، المنجد ص٣١٩ مادة (سبع).

(٢) جرح، يلاحظ المصباح المنير ج٢ ص٥٧٥ مادة (عقر)، والمنجد ص٥١٩ مادة (عقر).

الانسان تبعات وتبعات كثيرة تثقله وتوقفه للمسائلة الصارمة، وعندها يعرف اثر السكوت وفائدة السيطرة على اللسان.

وان هذا الانفلات اللساني لمن آفات المجتمع ولذا تكثر الخصومات والنزاعات وعدم الود والوئام بين الافراد جراء عدم التوازن في الكلام والجري وراء العواطف وغليان المشاعر وتأجج الحسابات القديمة بما يترك جرحاً في النفس ولذا يصعب التجاوز عن ذلك بل تبقى عقدة في النفس وقد تتجاوز الاشخاص المباشرين الى اخرين من الاعقاب والاقارب فاللازم تجنب ذلك قدر الامكان وذلك بحفظ الانسان لسانه والمحاسبة على كلامه لئلا يطول وقوفه بين يدي ربه عز وجل، ولايترك في نفوس الناس آلاماً يصعب عليه مداواتها وعليهم بجاوزتها.

١٤٤- قال (عليه السلام):

للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر[١] القوم الظلمة.

تحذير من عواقب الظلم، ونصيحة بالابتعاد عنه من خلال بيان اوصافه وعلاماته ليتجنبه الانسان فلا يتورط فيه لئلا تكون المشكلة اوسع من ان تطوّق.

العلامة الاولى: ان الظالم يخالف امر ربه اذ (الظلم يقال في مجاوزة الحق)[٢] فكلما تجاوز الانسان وتعدى وخالف احكام الله تعالى من الاوامر أو النواهي فانه ظالم، وقد يضاف الظلم الى حيثيات وخصوصيات معينة فيطلق

(١) يعاون - يلاحظ المنجد ص ٤٨٢ مادة (ظَهَرَ).

(٢) مفردات الراغب ص٣١٥ مادة (ظلم).

على الغاصب والزاني والسارق والكاذب والمغتاب والمزوِّر والمدلّس... سواء الرجل أو المرأة ويقال انه ظالم باعتبار كل واحدة من هذه المعاصي.

وهو بهذه الارتكابات قد ظلم ربه إذ لم يتبع احكامه ولم يقف عند نواهيه ولم يمتثل اوامره فهو غير متعاون بل هو عنصر سلبي يحمل حالة من الجرأة واللا التزام مما يجرأ الغير على التجاوز ويجعل احكام الشريعة غير مطبقة لان الافراد اذا اتحدوا واجتمعوا على ان يطبقوا الاحكام الشرعية كانت لها هيبة في النفوس وتعظيما في القلوب بحيث لايمكن للمتهتك ان يفصح عما بداخله رعاية للكلمة المجتمعة وخوفا من الردع الجماعي أو مجرد الاستنكار والاستغراب، اما اذا تحلل الافراد من ذلك فيتسببون في اشاعة المعاصي وانفلات العصاة لعدم وجود رادع أو مستغرب .

العلامة الثانية: ان الظالم يتسلط على سائر المخلوقين ويقهرهم ويمنعهم حقوقهم فيكون مبغوضا منهم غير محبوب لديهم قد خسر محبة الناس وفَقَدَ ثقتهم بما يجعله بشكل الانسان وتصرفات غيره إذ لم يراعِ قواعد الانسانية وما تحتمه من رقة في التعامل وأدب في التخاطب ومرعاة للحقوق ومحافظة على المشاعر وما الى ذلك من مظاهر الاهتمام والاحترام بما يعني أنَّ العكس فانه ظلم لهم والظلم يبغضه كل أحد مستقيم الطبع، سليم الطوية والقلب. وإنَّ هذا الظالم قد خسر رصيده في المجتمع، واعظم به من رصيد.

العلامة الثالثة: ان الظالم يعاون الاشخاص المتجاوزين على احكام الله وقوانينه الواجبة الاتباع، واللازمة التنفيذ والضرورية التطبيق، فهو مثلهم بل ويعاضدهم وسوف يحشر محشرهم، ولا اظن انسانا يحترم فكره ويود لنفسه الخير يحب هذا الوصف ويتمنى هذا الحكم عليه بل الملحوظ ان الظالم نفسه يبتعد عن التصاق هذه الاوصاف به مما يعني انها سلبية وغير محببة ومن اسباب البغض والكراهة الاجتماعية واثارة الحقد في النفوس فيتحتم الفرار من

الاتصاف بها واذا ما عرف الانسان ان الظالم يتصف بهذه الاوصاف البغيضة فيكون لزاما عليه التخلي عن موقع الظالم مهما كان اثره الاجتماعي، المادي، الوجاهي... لان ذلك هو منطق العقل في القضية فضلاً عن حكم الشرع .

١٤٥- قال (عليه السلام) :

لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث.

قد تكرر من الامام عليه السلام في مناسبات عديدة حث الانسان على عدم الاغترار بالمال وعدم الاعتزاز به وانه زائل لايبقى،وانه قد يكون غنياً لكنه يتحول بعد ذلك الى فقير،فلا يصلح له الاعتماد على المال لانه في طريقه الى الانتقال، وهذه الحكمة قد جاءت مكملة لغيرها وباسلوب وعظي جديد وهو: ان الانسان الذي يجهد نفسه لجمع المال سينتقل عنه الى الدار الاخرة ويتركه للورثة الذين فرض الله تعالى لهم الحق والا فيكون المال من دون مالك وهو محال بل لا بُدَّ له من مالك يحوزه سواء كانت الحيازة مباشرة أو بالتسبيب كما في ملكية الورثة لاموال مورثهم فانهم يملكونها بسبب موت المالك المباشر الاول اذن فلا جدال في هذا.

فاذا كان الانسان يعلم يقيناً انه يرحل ويترك المال فلماذا البخل ومنع نفسه أو أهله وذويه،أو منع الفقراء من حقوقهم،ولماذا التكالب والتناحر والجمع المكدي والحوي المضني اذا كان ما بعده رحيل وتوديع فالورثة شركاء للمالك رضي ام لم يرضَ.

وايضا الشريك الآخر حوادث الدهر ونوائبه وما يصيب مال الانسان من خسارة أو غرق أو حرق أو سرقة أومصادرة أو محاولة إلتفاف عليه وابتزاز له وتزوير ونحو ذلك مما يتعرض له الانسان في حياته، فهذه شاركته ولو لم يرتض شركتها.

فاذا كانت شركتها تحمل طابع المفاجأة والمباغتة وعدم الاستئذان وإلغاء شرط الموافقة فلا بُدَّ للعاقل ان يتحسب للامر جيدا فينفق المال حيث لا ندم ولا تمني فرصه التراجع وما ذاك إلاّ ان يصرفه فيما يحرز فيه ويتيقن معه من رضا الله سبحانه.

فالدعوة الى التغلب على النزعات النفسية والدوافع الانانية في جمع المال وعدم انفاقه في المطلوب.

١٤٦– قال عليه السلام:

لم يذهب من مالِكَ ما وَعَظَك.

يتعرض الانسان في حياته العملية لصدمات وحالات يفقد فيها ماله بعضا أو كلا مما يجعله مواجهاً لعملية مراجعة الحسابات واعادة النظر في المصروفات والواردات بما يترك له فرصة التفكير والتأمل والتأني والتمهل عند هذه الحالة الحادثة، وفي كل ذلك فرصة ثمينة إذ انها تجعل الانسان ذا خبرة وتجربة فلا يلدغ من هذا الموضع مرة اخرى ولا يخدع ثانية اذن ما خسره وافتقده من المال انما هو واعظ ومذكّر وقد أثراه من حيث لا يشعر فهو شاكر له ولو بمنطق اللاشعور وذاك واعظ له ولو بمنطق أخذ العبرة مما حدث لئلا يتكرر مرة اخرى فتكون الخسارة ذات وقع شديد.

فالدعوة الى أنْ لا يتأسف الانسان لما يذهب منه اذا كان ذلك كفيلاً بتفتيح منافذ إبصاره القلبي والعيني وجعله متفهما للحياة ومسايراً لها وفق المدارات المختلفة التي يمر بها الانسان، فالمهم عدم التكرار وعدم الوقوع في المحذور وليس المهم –كثيرا– ذهاب المال.

١٤٧- قال عليه السلام :

لو رأى العبدُ الأجلَ ومصيرَه لأبغض الأملَ وغرورَه.

يتضح من خلال استعراض كلمات الامام عليه السلام واستفهام معانيها واستجلاء مقاصدها انها نابعة من قلب عطوف مشفق يحب الناس ويسعهم ويود لهم ما يوده كلّ لنفسه ولكنه يتحرك بعيدا عن الانانيات الطبيعية المتحكمة في الانسان ، فالامام عليه السلام يتعامل معاملة الوالد، المعلم، المربي، القائد، المحاسب، المسؤ ل، الذي ينطلق من موقع الاهتمام المباشر بالامر و لم يتعامل اطلاقاً كانسان مجرد وبعيد عن هذه الاحاسيس والمشاعر النبيله وكانت هذه الحكمة من احدى الادلة على ذلك اذ قد تكرر منه كراراً ومراراً وفي مناسبات عديدة نصحه وحثه واهتمامه على ان لا ينساق الانسان مع الامل والحرص والركون للدنيا بل عليه ان يحاذر ويحترز فيها لانها سرعان ما تتغير وتتحول فيبقى المتعلق بها كالواقف في جزيرة صغيرة وسط البحر الخضم الموّاج الضخم لا ساحل ينجيه ولامنطاد ينتشله ولا يد تخلصه مما هو فيه فعلى العاقل ان يُحْكِمَ امره جيدا ويفكر في عاقبة انجرارهِ للدنيا وما يؤ ل اليه مصيره في الاخرة فان الدنيا وما فيها من اغراءات واقبالات وتوجهات توقع الانسان في حبال الامل ببقائها -انما هي- زائلة، ويختزن في داخلها من عوامل التبدل والتغير ما يجعل الانسان اللبيب حائرا مبهوتا في سرعة التحول وتبدل الولاءآت، فبينا هي مقبلة على أحدٍ، وإذا بها مدبرة مولّية عنه...

فالامام عليه السلام يدعو لاخذ العظة والعبرة من الموت وما بعده من قبر واهوال وحساب ومساءلة دقيقة ومصير مجهول وحالة ترقّب ورجاء للشفاعة، كل ذلك مما يجعل الانسان من عمّال الآخرة الاكفّاء غير المضيعين جهودهم واوقاتهم على شيء يعود عليه بالخسارة والندم، بل يكونون من المبغضين لكل ما ورطهم في الابتعاد عن الخط السليم واساس ذلك طبعا الامل

البغيض ببقاء الدنيا والعمل بما تمليه من مواقف غير متوازنة مما يحكم عليه بالفشل والخيبة.

ولا يفهم من هذا سلبية الموقف من الدنيا بل مرحباً بها ما دامت مزرعة للآخرة، وما دامت فرصة لاكتساب الفضائل، واقتناص الفرص الصالحة، لإحراز المراتب العالية المتقدمة في الآخرة، وما دامت زاداً ليوم يلقى الانسان فيها ما عمل حرفيا ومن دون ما ظلم أو تحريف. وبطبيعة الحال العكس صحيح فالمقاطعة والرفض التام وكل عبارات الشجب والتأنيب لها إنْ كانت مصدر توريط للانسان، فهي سلاح ذو حدين يمكن كل احد الاستفادة منه ولكن بعد استيعاب التعليمات ومعرفتها جيدا.

١٤٨- قال عليه السلام :

لو لم يتوعد الله على معصيته، لكان يجب ان لا يُعصى شكراً لنعمه.

الدعوة الى اجتناب المعاصي والابتعاد عن كل عمل لا يرضي الله سبحانه لدليلٍ عقلي يستوعبه عامة الناس ويدركه الكل ويوافق عليه الجميع وذلك من باب وجوب شكر المنعم.

فاذا عرفنا بالدليل الملموس والمشاهَد المحسوس ان الله تعالى واهب العطايا والحياة وكل ما في الوجود للانسان تفضلا منه وابتداء وقد منّ على الانسان بنعم متعددة يعجز عن تعدادها الانسان لانها متجددة آناً فآناً وغير محصية لوفرتها وعدم التعامل مع العباد بمقياس الكثرة والقلة.

عرفنا لكل ما تقدم أنه تعالى يستحق الشكر، وللشكر عدة مظاهر ومبرزات فقد يكون بالقول واللسان وقد يكون بالفعل والتصرفات وقد يكون بالكف عن المنهيات والمحرمات والابتعاد النهائي عنها بحيث لا يكون له اندفاع

نحو ذلك مهما مسّت الحاجة أو دعت الضرورة المتوهَمة فاذا تم ذلك من العبد كان ذلك مظهرا من مظاهر شكر الله تعالى.

هذا لو لم يُصَرَحْ بالنهي و لم تأتِ الرسل مبلغين عنه تعالى تحريمه ونكيره فكيف والحال انه تعالى صرّح، وهم قد بلغوا، وقد عرف الجميع تلك الحقيقة ووعوها حتى ان المتجاوز المتعدي لحدود الله تعالى يعرف انه يعصي الله وانه يخالفه وانه.. وانه... مما يدينه ويجرّمه اذن بلغت المسألة حداً من الوضوح بحيث لا يصح لأحد الاعتذار بعدم المعرفة أو عدم وصول الخبر بل قد تبلّغ الجميع وفهموا، فلو صدرت المعصية فالمؤاخذة والمعاقبة تكون رداً في محله وتأديباً لاهله وايقافاً لتجاوزٍ قد صدر من العارف بالشيء العالم به.

واعتقد ان هذا الطرح منه عليه السلام إنما هو مستوى من مستويات النصح والارشاد: بأنَّ على الانسان ان ينزجر ويكف عن عمل المعاصي لانها مبغوضة على كل حال ولايناسب صدورها من الانسان على كافة الاحتمالات فلا عذر لمعتذر بعدها.

١٤٩ – قال (عليه السلام) :

ليس بلد بأحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك.

هذه الحكمة لها اثرها البالغ في تشجيع الايدي العاملة والطاقات الشابة والقدرات المعطّلة المهمَلة في بلادهم على السعي وراء العمل والكفاح في الحياة بما يوفر فرصة عمل توفر لقمة العيش الكريم وتهيء مجالا للتوسع والترقي ورفع المستوى المعاشي، الاقتصادي، الاجتماعي، وتحسين الوضع العائلي بما يجعله مرفِهاً على نفسه وعلى عياله ليُمَكّنَهُم من العيش الرغيد أو الذي يبلّغ الحاجة أو يسدها، فقد يواجه البعض ممن يرغب بالهجرة للعمل بمعارضة ومقاومة على اساس ان البلد احوج ما تكون الى ابنائها وليس من الوفاء ان تربي ويستفيد

غيرها و.. و... مما يردده البعض من المنظّرين الذين لا يحسون بالآم الاخرين ولا يواجهون ما يجعلهم يفكرون فيما هو اصلح وانفع واقوم لحياة مجاميع كثيرة من الناس ممن تشكو من العوز والفقر والحاجة مع ان بامكانها ان تعمل شيئا لتكون الفائدة مزدوجة لهم ولغيرهم.

وقد عالج الامام عليه السلام ذلك بأنّ: على الانسان ان يبحث عن فرصة للعمل ومجال الابداع ولو في بلد آخر غير بلده ولكن - طبعا مع الحفاظ على انتمائه وهويته ووطنيته لان ذلك مما يجب ان لا يتناساه احد، فيمكن الجمع بين الوجهتين بان يعمل في بلد آخر لو لم يمكنه ذلك في بلده ولكنه يبقى وفيا لبلده بطاقاته، بخبراته، باستثمار امواله، بمشاريعه الانمائية سواء المستثمَرة أو الخيرية... مما يبقي الصلة ويقوي الروابط ولا يجعل الانسان يشعر بعمق الغربة والوحشة في داخل نفسه بل يكون متجاوبا مع الحياة ، لم يستسلم للأمر الواقع الذي واجهه في بلده بل تماشى معه وبذل جهدا ولم يفلح حتى بلغ به الامر الى الاغتراب من اجل العمل والعيش بكرامة لئلا تموت أو تُستغل جهوده، افكاره ،طاقاته... للاعداء ولو المبرقعين الذين لا يظهرون بشكلهم غير المحبب بل بمظهر الود والانكسار على الطاقات المهدورة لكنها تستغل ذلك في سبيل اغراض غير انسانية وغير شريفة فتكون عندها الخسارة مؤلمة جدا لاننا فقدنا شبابنا وفقدنا طاقاتهم، وتكون الواقعة شديدة لذات السبب المزدوج مما يحتم ان نفتح المجال ولانعرقل مشاريعهم للمستقبل وتخطيطهم للحياة بما يعمرها وبما ينعشهم ويجعلهم ينعمون كأُناس لهم آمالهم وتطلّعاتهم.

فلا بد من استيعاب الحكمة جيداً للمساعدة في تقليل البطالة في العالَم والمشاركة في تحريك عدد من البلدان المحتاجة للإعماراو التقنيات الخدمية في شؤ ن الحياة مما يحتاج فيها الى عنصر الانسان المفكر المخطط، المهندس، العامل، المراقب،...

وبذلك ننعش القلوب ونحقق الامال... ، ويمكننا أن نستشف من هذه الحكمة أنه عليه السلام قد سبق القائلين بالنظرية الأممية التي كان يُروَّج لها إلاّ أنه عليه السلام طرحها بالشكل المتوازن الباقي ما بقيت الدنيا لأنه قائم على الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية، لا تأسيس خط آخر مقابل خط الشريعة فلذا استمر هذا واندحر ذاك والحمد لله.

١٥٠- قال (عليه السلام):

ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن.

الدعوة الى عدم التفريط بالثقة بين افراد المجتمع من الاخوان والاصدقاء والمعارف وان لايخسره الانسان لمجرد ظنونٍ سوءٍ واحتمالاتٍ مقابَلَةٌ بمثلها ونحو ذلك مما يعطي انطباعا هشاً وغير سديد عن سبب الجفاء وانقطاع العلاقة فلا بُدَّ ان لايترك الانسان مَنْ عرفه بالوثاقة لمجرد انه ظن به سوءً لأنَّ المفروض ان العلاقة كانت قائمة على اساس متين فلا بُدَّ ان لا يفرّط بها لإحتمالٍ وسوء ظنٍ بل على الإنسان أن يدقق كثيراً في أحكامه فلا يطلق القول كما يحلو له وإلاّ كان مجحفاً بحق الغير متجاوزاً غير منصف وهذا ما لا يرضاه أحد لنفسه، وفي هذا تهذيبٌ للافراد وإصلاحٌ للمجتمع لئلا تكثر فيه الاحكام الجائرة أو غير المدروسة التي تُرتجل ويكون مصدر تحريكها الانزعاج النفسي أو عدم الانسجام ونحو ذلك مما يحول دون بقاء العلاقة مستمرةً.

فلا بُدَّ ان يتريث الانسان في الحكم لئلا يجور ويتجاوز العدلَ والمعروفَ والحكمةَ في تصرفاته والاّ فيندم وقد لا ينفعه فتفوته فرصة التعويض والاصلاح وتهدئة النفوس اذ يكون بذلك كسراً للنفوس وهدماً للاركان المشيدة بين الاصدقاء والمعارف مما يعني خسارة ليس من السهل تعويضها.

﴿حرف الميم﴾

١٥١–قال عليه السلام :

ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند مَنْ تقطره.

وصف دقيق ولطيف يستوعبه كل احد بعدما يتأمل فيه ويترك لنفسه لحظة تفكر ليعرف ان الذل له عدة محاور يتوصل منها الى الانسان فمنها السؤال وطلب الحاجة مهما كان شأنها واهميتها وحجمها ومهما كان المطلوب منه ، ومهما كانت الظروف الملجئة فان النتيجة واحدة والحال واحد وهو تقديم ماء الوجه وما يعطيه من معنى كنائي عن العزة والكرامة،ومعنى تقريبي عن تحصن الانسان بذلك عن ان يقتحمه احد باستمنان أو استعراض مواقف معينة ليتميز من خلالها عليه ، كل ذلك يقدمه بنفسه ازاء الحصول على مطلب ومرام مؤقت فلا بُدَّ ان يوازن الانسان فيما يربحه من ذلك المطلب والمرام المؤقت وما يحققه من مكاسب هل تستحق التضحية والتنازل عن الثوابت الشخصية ام لا فيفضِّل الحرمان من تحقق المطلب والانتظار لوقت آخر لأجل الاحتفاظ بالمعاني السامية التي ترفده وتعينه في مواقع كثيرة في الحياة العملية.

وإلاّ لوصف بانه (وصولي) يهدف لمصلحته ولو على حساب كرامته ويريد التوصل بشتى الطرق والوسائل، وهذا ما يلحق به العار.

وهناك طبعا في الضفة الاخرى البعض ممن يتعشقون الكرامة ويأنفون للعزة فيحيون ما حييت ويموتون من اجلها فلا يذلون ولا يقطرون ماء الوجه إلاّ عند مَنْ يستحق ذلك وهم قليل بل اقل القليل وهذا هو السمو الروحي والشعور بالكرامة الذي يريده الامام عليه السلام لئلا يخلو الانسان من كل شيء حتى هذا التسامي والاعتزاز اذ –بعد ذلك– يسهل عليه كل شيء حتى دينه وعرضه و.. و...

١٥٢–قال العليه :

ما أخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلّموا.

الدعوة الى ان يأخذ كلٌ موقعه ويقوم بدوره ولا يتخلى عن واجبه، فالجاهل يبحث عمّنْ يعلّمه ويرشده الى ما يقوّمه ويطبّعَهُ بالطابع الاسلامي الصحيح، ولايبقى مصرا على جهلهِ أو مستحيا من إبداء ذلك لئلا يقال ما يقال.... بل يُقْدِمْ واثقاً ويطرح اسئلته –ان وجدت– بكل شجاعة من دون ما تردد ليجاب عنها فلا تدوم حالة الشك والحيرة أو الجهل والضلالة بل يتحول الى ان يقوم بدور المرشد المعلّم لغيره بما يقلل عدد الجهال بالاحكام الشرعية.

وكذلك العالِمْ يبذل ما لديه ولا يدّخر من وسعه شيء حسب طاقته البدنية، العلمية، حالته الامنية، الاقتصادية، بما لا يشكّل إحراجاً أو إرهاقاً، ولو قد يفترض فيه التنازل عن حقوقه مراعاةً لحق الاخرين وتقديما لارشادهم على حقه الشخصي ، وهذا الافتراض صحيح، غايته لو توفرت له كافة المستلزمات والمقومات واما لو بدى الخلل من احد الاطراف لفشلت المحاولة ولما تمت، فمثلا لا بُدَّ من وجود جاهل بالحكم الشرعي مستعد للتعلم، للتطبيق والتنفيذ، لنقل الحكم الى امثاله، ولا يكون من النوع الاتكالي، المتقاعس، الذي يتوهم ان القيام بذلك ينحصر بالعالِم بما يرفع المسئوليه عن الباقين، بل لا بُدَّ من التجاوب والتفاعل بما يشجّع العالِم على تقديم ما لديه بروح منفتحة ، وهنا لا بُدَّ من معرفة شيء مهم وهو ان العالِمَ انسان طبيعي يتميز عن غيره بالعلم، اذن فله مزاجه الخاص، نفسيته المنفتحة على الغير أو المنغلقة، خصوصياته الشخصية، المؤثرات الخارجية التي قد تُعَطّل فيه مواطن القابلية والإبداع . وان اُفترض فيه المثالية والاندماج بالدور الملقى عليه إلاّ انه يبقى انسانا ويطالب بحقه في ذلك، فاذا توحدت الجهود وكان كلٌ من

العالِم[١] والجاهل[٢] يبحث عن موقعه ليحتله ويكون مؤديا لوظيفته الشرعية بما يلغي عنه المسئولية ويخفف عنه التبعة والمؤاخذة، لأثمرت تلك الجهود حالةً متقدمةً في مستوى التثقيف الاسري، المهني، الاجتماعي، الافرادي... حتى لقلّما يوجد عاطل عن دوره المناسب له ولكن...

فاللازم على الجاهل ان يتعلم ويسأل قال تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٣] ، واللازم على العالِم ان يُعلّم ويجيب بحدود القابلية والامكانية العلمية، قال تعالى ﴿واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾[٤] .

ولو اُتبعت هذه الحكمة وحاولنا الاخذ بها لوجدنا اثرها الواضح في معالجة هموم وقضايا نعاني منها جميعا ترهق كاهل الافراد المكوّنة للمجتمع الضيق كأسرة، أو الموسع كمجموعة اُسر تؤلف مجتمعا مستقلا، ولو عرف الله تعالى منا صدق النيه وقوة العزيمة لأخَذَ بأيدينا الى حيث نريد، ولكنا تقاعسنا وتواكلنا واتكلنا خصوصا في مسألة التعلم والتعليم للحكم الشرعي، وتركنا مجالا كبيرا فصار الكثير يحسب ألف حساب قبل أن يتعلم المسألة الشرعية التي هي مما يدور يوميا ويحتاجه المكلف، ونحن في ضمن هذا كله متغافلين عن الجواب المناسب الذي نقدمه لو سُئلنا عن هذا...

---

(١) ولو لم يكن بمستوى فكري متقدم بل بمجرد علمه بالحكم الشرعي.

(٢) ولو كان من ذوي المهارات العملية أو الخبرات العلمية الا انه يجهل الحكم الشرعي.

(٣) سورة النمل آية (٤٣) وسورة الانبياء آية (٧).

(٤) سورة آل عمران آية (١٨٧). يلاحظ تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٢ ص٥٥٢، وتفسير الميزان للطباطبائي ج١ ص(٣٨٩ ٣٩٠)، وتفسير مواهب الرحمن للسبزواري ج٧ ص١٥٨، والتفسير الكبير للفخر الرازي ج٩ ص (١٣٠ ١٣١) المسألة السادسة، والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص١٠٨، وتفسير النسفي ج١ ص١٩٩.

ويمكن ان نستفيد من هذه الحكمة شموليةً في لزوم السؤال على الجاهل، والجواب من العالم في مختلف ميادين العلم والمعرفة من دون ما انحصار بعلوم الشريعة وان كانت تحتل موقعا متقدما باعتبار الحاجة الماسة اليومية من كافة المكلفين بينما غيرها من العلوم الاخرى قد تدعو الحاجة اليها احيانا فلا تأخذ نفس المستوى من الاهمية، فهي واجبة سؤالا دفعاً للضرر، وجواباً اداء للواجب الكفائي[1] عند اللزوم والحاجة والتي يفترض فيها عدم الاستمرار بينما اذا بلغ المكلف سن التكليف الشرعي صار في مرحلة الاحتياج اليومي المباشر لها.

فالدعوة إذن الى ان يتعلم الجاهل والى ان يعلّم العالِم.

١٥٣–قال (عليه السلام) :

ما اضمر[2] أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

من الجميل جدا في الحياة حالة الصدق وعدم إبطان السوء، والمصارحه بالواقع اذا كان مناسبا بحسب الزمان والمكان وسائر الاحوال الاخرى المطلوب مراعاتها، اما اذا اعلن شيئاً وهو منطوٍ ومضمِرٌ لغيره فحتماً سينكشف امره بلا نقاش وان حاول اخفاءه مدة معينة إلاّ انه سيتضح الحال لكل احد من دون ما مماراة.

فالدعوة الى ان يحسن الانسان ما يضمره وما ينعقد عليه قلبه حتى اذا انكشف لا يخجله ولا يوقعه في ورطات ومشاكل جانبية اذ من المؤكد ان الانسان قد يمكنه التحكم في السيطرة على بعض اعضائه بسهولة إلاّ انه قد يفقد السيطرة على لسانه ومعالمه الخارجية والآثار المرتسمة عليها كالحمرة أو

(١) ما يلزم الجميع اداؤه ولكن لو قام فرد سقط عن الباقي ولو لم يمتثله الجميع تعرضوا للمساءلة.

(٢) أي أخفى.

الصفرة أو التلعثم أو الاندهاش أو علامة الاستغراب أو الخوف وما الى ذلك بحيث يستطيع المقابل قراءة افكاره من خلال ما ظهر على شاشة الوجه فانها تعرض ما يظهر امامها من داخل النفس.

ولاشك ان العاقل لايرضى لنفسه الافتضاح أو مجرد علم الاخرين بحاله الذي لا يود انكشافه لكل احد فلا حيلة لديه الاان يفكر بالخير ويتعامل مع الاخرين في نفسه بايجابية وانفتاح من دون ما لف ودوران لانه حتما سيُعرف زيفه من واقعه ومعدنه فاذا ما اعلن هو فسيهون الامر ولا يكون مفتضحا بالشكل المزري الذي لا يتمناه احد، اما اذا اُكتشِفَ من قبل الاخرين فتكون النتيجة في غير صالحِهِ حتما.

وهذه الحكمة يؤخذ بها في كافة ميادين الحياة وفي مختلف المراحل العمرية للانسان ولا تختص بميدان دون اخر أو مرحلة دون اخرى فالصغير والكبير، والمرأة والرجل يتساويان في لزوم ذلك التحفظ.

١٥٤–قال عليه السلام:

ما ظَفَرَ مَنْ ظَفَرَ الأثمُ بهِ، والغالبُ بالشرِ مغلوبٌ.

يقوم البعض باستعراض قواه الجسدية، وابراز عضلاته ليدلل على قوته وامكانية وصوله نحو الهدف بما يجعل النفوس منه مرعوبة ليحقق بذلك انجازا لنفسه، لكنه لم يلتفت الى ان القدرة والقابلية واحراز التقدم وامكانية التغلب والمواصله... إنما هو في جانب الخير والاعمال الايجابية لانها تعاكس رغبة الانسان بشكله العام، ومن دون لحاظ للمقومات الشخصية كالعصمة أو العلم أو التدين أو التقوى أو الخوف... لما لها من أثر كبير في تقويم الإنسان أو صرفه عن بعض توجهاته فيمكنه السيطرة على الرغبة والهوى الغالب.

بل الحديث عن الانسان بطبيعته وتوجهاته الذاتية فانه يعاني المشاق ويبذل الجهود لاجل ان يكون ايجابيا فمثلا لو اراد قهر نفسه فلا يتقدم نحو الحرام: السرقة ،الغيبة ،النميمة ،الفتنة، الاعتداء على الغير، النيل من الغير، شرب الخمر، معاونة السلطان للوصول الى الهدف، تحدي الغير، الانتصار بالقوة، كسر شوكة الطرف المعتدي، الاحتيال وغيرها مما يدخل ضمن خط الحرام، وكذلك عندما يتقدم نحو اداء الواجب فانه يغالب هواه.

فهل تأدية الصلاة بالاوقات المعينة مع كافة الالتزامات الخاصة، وبانواع الصلاة الواجبة المتعددة وبسائر الخصوصيات المعتبرة مما يرغبه الانسان دائما وفي مختلف حالاته البدنية، النفسية، الامنية، الاقتصادية، العاطفية...؟!

ام هل الصوم يلاءم الانسان بما في الصوم من امساك واداب لا بمجرد الامساك عن المفطرات المعينة...؟!

ام هل دفع الحقوق المالية توافق رغبة الانسان بحسب حرصه على جمع المال واستبقائه وعدم التفريط به أو توزيعه...؟!

ام هل الجهاد يتفق مع حب الانسان لنفسه وتشبثه بالحياة...؟!

ام هل طاعة الوالدين تكون دائما على وفق مزاج الولد...؟!

ام هل عون المحتاج مما يسهل دائما على الانسان؟! ام.. ام... من سائر الواجبات بمختلف مستويات الالزام بها وعلى مختلف الصُعُدُ المثبتة للوجوب بالدليل الشرعي أوالعقلي فانها تحتاج الى اقبال وتوجه نفساني واستعداد للتنفيذ من دون ما ترك أو تواكل لئلا يعتبر عاصيا ومقصرا.

ولكن جانب الشر اسهل وصولا الى نفس الانسان لانه يتجاوب مع اهوائه ويتناغم مع حالاته النفسية التي تقدم -احيانا- الشهوة بكافة متعلقاتها، انزال العقوبة بالمعتدي بمختلف الوسائل...

فالدعوة الى ان يضبط الانسان نفسه ويتوازن في تصرفاته فلا يفخر لو غلب بالشر على اختلاف مراحله ومستوياته في التاثير، وليعرف ان ذلك يعود عليه بالضرر ولو بعد ذلك فلا يفوت ولايفلت من المقابلة بالمثل فلا يفرح كثيرا فانه لن يدوم عليه ذلك لان الله تعالى خلق الانسان واراده ان يعمر الارض وفق الموازين التي وضعها له من دون ما تجاوز أو تغليب للنوازع الشخصية والا لغابت الارض اشبه ما تكون بغابة الحيوانات، واهلها اشبه ما يكون وحوش كواسر متجول. وهو ما نزه الله تعالى عنه الانسان فليجرب كل منا نفسه ليرى مدى استجابتها للترويض... ولا يفاخر بالقوة.

١٥٥-قال عليه السلام :

ما المبتلي الذي قد اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.

اسلوب بليغ لتحذير الانسان من الاغترار بالعافية وعدم الابتلاء بما أصاب غيره،لان الانسان تمر به حالات من الاغترار فيتمرد حتى على موجده وخالقه،وذلك بعدم الانصياع للاوامر والنواهي على اساس انه معافى البدن، آمن لا يخاف احدا... وما الى ذلك مما يتوهمه فيدرج على ذلك إلاّ انه يجهل أو يتجاهل ان أمر ذلك كله بيد الله تعالى وتحت قدرته فان تجاوز العبد الحدود فعليه ان لايأمن الغضب والعقوبة.

وقد حذّر الامام عليه السلام من هذه الحالات وتمكّنها في النفوس ببيان ان الكل يتساوى في احتمالية الاصابة فلا يظن احد انه بمعزل ومأمن بل الجميع معرّضون، والكل يستأهل الشفقة، وما من احد إلاّ ويُطلب له من الله سبحانه الخير ويدعى له بالكفاية، فلا يتفاوت حال المصاب حاليا أو مَنْ يصاب مستقبلا. الكل على صعيد واحد.

فالدعوة الى ان يدعو الانسان من الله سبحانه لان يعافي المبتلى ببلية –أياً كانت– ولان يجير غير المبتلى الذي هو فعلا لم يتعرض لشيء إلاّ انه في معرض ذلك لو شاء الله تعالى. اذ لا قدرة للانسان مهما بلغت عظمته الدنيوية ان يدفع عن نفسه ما يريد الله له أو عليه وفق ما يناسبه من مصالح وحِكَم تخفى على العباد ويعرفها هو تعالى فقط. فهذه الحكمة في الواقع درس اخلاقي مؤثر لمن يتمعن ويفكر...

١٥٦–قال (عليه السلام):

المرء مخبوء [1] تحت لسانه.

الدعوة الى تقييم الانسان على اساس المنطق وسبك الكلام لما لهما من أثر في شد المستمعين الذي يعني اصغاؤهم ثم انشدادهم ثم تأثرهم بالكلام المسموع ثم التطبيق في كثير من الاحيان .

والدعوة الى عدم الانتقاص والازدراء بالمتكلم حين يكون غير مقبول الهندام والهيئة الخارجية المظهرية، أو مجهول الهوية، اذ من الممكن جدا لاجل تكوين القناعة الكافية والانطباع عن الاخرين ان يصغي السامع للكلام وصياغته الجيدة واسلوب المنطق والحوار فانه هو الشئ الوحيد الذي يتغلب على التزييف لان يعرف المتصنع من المترسل والمتكلف من غيره والحافظ من المنشئ وهكذا يتبين الحال ان كانت قابليته ذاتية أو مقتبسة من الاخرين وقد سطا عليها وانتحلها هو. بينما الامور الاخرى تقبل التمظهر ومحاكاة الاخرين ولا تظهر لكل احد حقيقتها إلاّ بعد دقة وامعان فمثلاً يمكن لأي احد ان يلبس قيافة شخص آخر بعد اجراء تعديل وتحوير ولكن يبدو واضحا للعارف بالمقاييس الصحيحة الملائمة لمقاسات الاشخاص ان هذه مصنّعة لتناسبه و لم

---

(١) أي مستور لاحظ المنجد ص١٦٦ مادة (خبا).

تكن كذلك سابقا، وهكذا عمليات التجميل الخاصة بالممثلين أو بالنساء وهكذا استعمال الاكسسوارات والشعر (الباروكة) وما الى ذلك مما يعرفه الحاذق بل وغيره ايضا . اما صناعة الكلام ودلالته على المتكلم فيتضح امرها - كما تقدم- وقد تسبب الكلام وحسن المقال في نجاة اشخاص كانوا في مواقف حرجة، ودلّ على مكانتهم فلاقوا احتراما وتبجيلا بعدما عانوا العكس.

اذن لا بُدّ من احترام المقابل بمقدار ما يدل عليه كلامه ومنطقه وحسن مقاله من فعل وادب وحكمة.. لا بمقدار ما تدل عليه قيافته ومظهره الخارجي القابل للتغيير

١٥٧-قال عليه السلام :

مسكين ابن ادم : مكتوم الاجل، مكنون العِلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، تقتله الشرقة، وتنتنه العرقة.

تأسفٌ على حال الانسان من مشفقٍ عليه يدعوه لخيره ولما فيه اسعاده ورفعته ليكون قدوة في مجتمعٍ انحسرت فيه المثل والمبادئ وحلّت محلها الماديات بمختلف صورها المقيتة والمقبولة فبدا الانحلال عليه واضحا وصار الناس وكأنهم مجموعة من الكائنات الحية التي لا تربطهم رابطة ولايوحدهم دين واعتقاد.

وقد دعا عليه السلام الانسان الى ان يكتشف قدره ومحله من بين الموجودات بنفسه بعدما يستعرض:

اولاً: انه لا يعلم وقت موته ولا مدة عمره فهو معرّض في اي لحظة الى الانتقال الى عالمٍ اخر، ومع ذلك يدّعي لنفسه ما يدّعي...

ثانياً: انه يحتوي على مجموعة من العيوب الخَلقية والخُلقية فقد يكون فيه نقص ولادي أو عوق طارئ بما لا يجعله سويا وقد يكون ممن يعاني من عُقَد نفسية تقصر به دون بلوغ المرتبة المتكاملة للانسان الاعتيادي، أو يشعر

بحقد أو حسد أو ضغينة أو توجه نحو بعض الخطوط الملتوية أو انحراف الى جهة مغايرة وما الى ذلك من العيوب الخُلقية التي تحول دون التفاخر والتشامخ – الفارغ– مضافا الى انه في معرض الابتلاء بالمزيد من الآلام والاعراض التي تغيّر من طبيعة حياته ومجراها فيكون اسير الفراش لا يستطيع دفع الذباب عن نفسه.

ثالثاً: انه مرصود من جهات تحصي عليه اعماله ولا يعرف النتيجة هل لصالحه ام لا، خصوصا وان حالة المراقبة والمتابعة تتعب الانسان نفسيا مما يجعله خائفا وجلاً تنغص عليه عيشه فهل يترك هذا مجالا للمغرور وقول انا و انا.. ؟!

رابعاً: انه من الرقة بحيث تؤثر فيه البقة مع انها حشرة صغيرة ما عساها تقوى على شيء سوى مدّ خرطومها الدقيق لتمتص ما يمكنها من الدم ومع ذلك يهيج ويتأثر ويتألم ويتوجع ويشكو -احيانا- من ذلك الكائن الصغير الحجم الذي لا يهتم احد لوجوده، فاذا كان هكذا حاله فهل يعني -الانسان- شيئاً كثيراً.

خامساً: انه يعيش بنظام دقيق بحيث يتنفس وفق عمليات معينة فاذا اختلت وانسد مجرى الهواء بدخول حبة طعام فيه أو قطرة سائل فيغص وقد تكون نهايته بذلك لانقطاع سلسلة النظام الطبيعي لحياته فكيف يشمخ بانفه على غيره اما يخشى ان تفاجأه غصة من تلك الغصص وكم من الناس مَنْ مات بسبب الغصة والشرقة.

سادساً: انه لو لم يُزِلْ الاوساخ عن جسده مادة معينة لفاحت وانتشرت منه رائحة منتنة تنفر منه الناس ولو كانوا ذوي قربى، ولشكوا ذلك اليه بما يخجله ويوقعه في المأزق. فاذا كان هذا حاله في الدنيا والمعطرات والمساحيق المنظّفة بجنبه فكيف به فيما وراء الحياة وفي عالَم القبر، فهل يمكنه بعد هذا التفاخر بكيت وكيت بما يوجع قلوب الاخرين ويؤذيهم بالقيل والقال مع انه يحتوي على كل هذه... واعتقد ان التأمل في هذه الدعوة منه عليه

السلام كاف للتخفف من غلواء النفس وحِدّتِها بما يجعلها متعالية متغطرسة بل يُهَدّأ من طبع الانسان، فهو والحالة هذه أهون من ان تُسلّط عليه اقوى المعدّات للابادة بل يفقد راحته بالبقة، ويفقد حياته بالشَرْقَة، ويفقد احترامه بين الناس بالعرق ونتانة ما يشمون منه، وهو قبل هذا ومعه وبعده لا يهتدي الى سبيلٍ إلاّ بتوفيق الله تعالى وتسديده وعونه، فاحسب ان التدبر ومحاولة العيش في هذه الاجواء كفيلٌ بان يعيد الواحد منا حسابه ليتعامل مع ربه ونفسه وغيره ممن حواليه باسلوب اكثر مسؤولية وأرقّ تعاملاً لئلا تبدو المعايب، فيهرّج بها الاعداء ويتألم لها الاصدقاء.

وهذه الحكمة تصلح تعريفا جامعا لافراد الانسان بما يكشف النقاب عن الخصائص والمميزات.

١٥٨ـقال عليه السلام:

مقاربة[1] الناس في اخلاقهم أمنٌ من غوائلهم[2].

الدعوة الى التعايش السلمي، وعدم المواجهة مع الآخرين مهما امكن، وعدم المعاكسة في الطبائع وامثالها مالم يتعارض مع بعض الثوابت الشرعية او العرفية الاجتماعية وما عدا ذلك يلزم الانسان ان يدنو من المجتمع بما يجعله احد افراده وغير بعيد عنهم فلا يُستفرد به ولا يُعتدى عليه ولا يغبن حقه ولايظلم ولايشطب من قائمة الافراد الاعتياديين، لان لمؤشرات الناس أثراً يهتم به العقلاء. بما ان الفرد واحد والناس جماعة فلو انعزل ولم يدنو منهم فلا يضرهم ذلك إلاّ قليلا بينما اذا انعزلوا عنه وقاطعوه أو اجتمعوا على عدم مخالطته أو

---

(١) قارَبَ، مقاربةً، قاربه: داناه. المنجد ص٦١٧ مادة (قرب)، ونحوه في اقرب الموارد ج٢ ص٩٧٧ مادة (قرب).

(٢) الغائلة: الفساد والشر. المصباح المنير ج٢ ص٦٢٦ مادة (غول).

اتفقوا في حكم معين عليه فسيضره ذلك ولو من الناحية الاجتماعية التي هي المنفذ الوحيد له على العالَم الاوسع، اذ لا يمكن التخلي بسهولة عن احكام الناس ولا يستغنى عنهم لأتفه الاسباب بل لابد من المداراة والمداناة بما لايحرِّم حلالاً ولا يحل حراماً ليستفيد من خيرهم أو ليستكفي شرهم.

وهذه الحكمة نصيحة ناصح مشفق قد جرّب الحياة واهلها وخبرهم جيدا حتى عرف ان الانسان مهما بلغ لا يستغني عن المواصلة والاجتماع واللقاء ولكن بحدود اللياقات العامة، واما لو زهد في هذه النصيحة احد فلا يلومنّ بعد ذلك إلاّ نفسه، بل ويؤشر رفضه وعدم قبوله عن عدم نضجه بل وانعدام خبرته في الحياة.

١٥٩–قال (عليه السلام):

مَنْ ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

الدعوة الى عدم الاعتماد على النسب، والحسب، والمفاخره بالاباء والاجداد لان ذلك امر ليس بعملي ولا يدوم طويلاً بل يسايره ما دام في بلد يعرفونهم أو زمان قد ادركوهم فيه، أو اناس يحترموهم واما ما عدا ذلك فلا ينفعه شيئا بل يدل على اشياء واشياء لاتخدمه ولا تساعده على تكوين شخصية مستقلة.

والدعوة الى ان يتوجه الانسان الى اثبات وجوده والاستدلال على شخصيته وما يبرزها وما يؤطرها ضمن الاطار المحبب له من خلال العمل بمختلف مستوياته المقبولة واشكاله المتعددة التي لا تخالف الشرع أو العرف أو العقل –طبعا–.

فان عنوانه الاجتماعي يتكون ويكتمل بمقدار ما يقدمه من خدمات وانجازات، وما يتركه ليخلّده بين الناس وان ابتعد ببدنه عنهم.

فالحكمة في الواقع ترشد الى ان يُجْهد الانسان نفسه في مجال من مجالات الابداع والانجاز ولا يتكل على غيره أياً كان لأن ذلك إنما يلمّع صورته ويجلّيها لو كانت هناك صورة، وذات تستحق الوجود، واما ما عدا ذلك فلا يستحق ان يذكر ولا ان يقرن اسمه مع الاسماء بل من الضيم ان يسجل اسمه في عداد الاشخاص الذين يحترمون انفسهم ولهم عقول ومستويات تفكير رقت بهم حيث لم يصل اباؤهم ولا اجدادهم وانما نحتوا في الصخر ليكوّنوا شخصية بعيداً عن الامجاد الموقوتة، وأقرب مثال على ذلك ان الانسان يحتاج في سفره الى وثيقة سفر صادرة ومؤيدة من الجهة الخاصة فاذا ما انتهى مفعول سريانها أو الغي نفادها فهل ينفعه الاحتفاظ بها مؤطرة محفوظة ام لا بُدَّ من ان يبحث عما يعززها لتكون رديفا ومعرّفا يستفاد منه في بعض الحالات الخاصة. فالواقع ان الانتساب شرف للمنتسِب اذا كان بحجم الانتساب وبمستوى لا يلحق العار والشنار أو الفضيحة بالمنتسَب اليه. وينبغي ان نتعلم من هذه الحكمة درساً تربوياً في الاستقلال والاعتماد على الذات والمنجزات التي ترفع من مستوى الشخص لتتحرك عجلة الحياة بما ينفع الجميع بينما يختص النفع في حالة الانتساب بالمنتسِب خاصة.

ولعل ما حداه عليه السلام لان يقول مقالته هذه ما كان يومها من رواج المفاخرة بين الاشخاص بالآباء والذي ما زلنا نعاني بعضها اليوم في بعض المجتمعات من الاشخاص الذين لم يقدمّوا شيئاً يذكر للبشرية بل هم عيال على غيرهم ووبال على المجتمع ولكنهم في مقام التفاخر والانتساب لا يسبقهم غيرهم.

ومن الآثار السلبية للمفاخرة انها تستثير الحزازات القلبية لدى البعض الذين لم يسعفهم الحظ بقائمةٍ من الاجداد ولا سلسلةٍ من المآثر فيكون ما يكون...

١٦٠–قال (عليه السلام) :

مَنْ اتجر بغير فقهٍ فقد ارتطم[١] بالربا[٢] .

الدعوة الى ان يتعلم مزاولُ التجارةِ – مهما كان مستواه التجاري السوقي– احكامَ دينهِ الفقهية خصوصاً الأحكام التي تتعلق بالمعاملات والقضايا التجارية ليسلم من مشاكل الربا الذي يتورط فيه الكثير انطلاقاً من مبدأ الربح وزياده رأس المال و..و..مما يترك آثاراً سلبية على المجتمع اذ تتجمع الاموال لدى فئة وتكون عدة فئات عاملة لدى تلك لا يرتفع مستواهم الاقتصادي، الاجتماعي،... ولا تزيد رؤس أموالهم بل لهم أجرة العمل وهذا مما يولّد:

تضخماً في الثروة في جانب.

وهزالاً بيّناً في جانب آخر.

وفراراً من عمل المعروف لانه لا تشد الانسان الى اخيه الانسان غير الماديات فلا يصنع معروفا بعد ذلك إلاّ مقابل منفعة،فلا بُدَّ ان يعمل كلٌّ حسب قابليته وامكانيته وما يستطيع ان يؤديه وينتجه ليحصل بالمقابل على الربح المناسب لمادة العمل وليس بالضرورة مزاولة العمل شخصيا بل يمكن من خلال عدة حالات المهم فيها عدم استغلال جهود الاخرين اذ من الآثار السلبية للربا انه يفضي الى قسوة القلب وعدم الرقة وعدم الاهتمام بالمشاركة في حل مشاكل الغير، بل الاهتمام البالغ بتصعيد الحالة الاقتصادية التجميعية واللامبالاة بحالة الغير بما يتركه من مشاكل قد تؤدي الى ما لا تحمد عقباه من

---

(١) رَطَمَه: أوحَلَه في الامر لا يَخرج منه فارتطم... وارتطم عليه الامر لم يقدر على الخروج منه. القاموس ج٤ ص١٢٠ مادة (رطمه).

(٢) رَبَا المالُ يربو في الرِّبا أي: يزداد. كتاب العين للفراهيدي ج٨ ص٢٨٣، والربا على قسمين:

الأول: ما يكون في المعاوضة مع الزيادة وهو المسمى الربا في المعاملة. **الثاني:** ما يكون في القرض وذلك بأن يقرضه مالاً بشرط الزيادة وهو المسمى الربا في القرض. ولمزيد التعرف على تفاصيل الأحكام للقسمين تراجع المصادر الفقهية.

الجريمة والسرقة والاحتيال و..و..وكان سبب ذلك كله هو الربا، ولو فُرِضَ ان مجتمعاً كان الربا فيه حالة سائدة فانه -حتماً- يعاني من سوء توزيع الثروة وتدهور الحالة الاقتصادية للافراد بما يجعلهم تحت وطأة الديون والحوالات وما الى ذلك مما يعني عجزاً كبيراً بحيث يكون المدخول اليومي لايغطي الاحتياجات والمتطلّبات الحياتية.

ولو حاولنا التعرف على احوال المجتمع قبل الاسلام وما عُرِفَ فيه من الاستغلال والوصولية وعدم الرابطة الاخلاقية بين الافراد إلاّ بالمال والعوائد التجارية والتسلط على الضعيف وحرمانه من فرصة العمل إلاّ وفق الشروط التي تُملى عليه ليبقى عُمْرَه كادّاً فيعطي لمكتنزي الاموال ومجمّعيها لينشأ جيل من العاملين البؤساء لتسديد لهو وعبث جيلٍ آخر من الخاملين التعساء المستغلين الجشعين الذين لا تعرف الرحمة الى قلوبهم طريقاً وقد قاطعوا الرأفة والانصاف وحب الخير وتعميمه فعاشوا في الحياة كما لو لم يكونوا من بني آدم أصلاً.

وقد شدّد الله تعالى النهي عن ممارسة الربا فاوعد عليه بالنار وهي اقصى العقوبات واقساها لانها حكم طويل الأمد في جهنم خالداً فيها.

وقد نعى على جماعة انهم يأخذون الارباح اضعافاً مضاعفة وأمَرَهم بتقوى الله ليفلحوا، مما يؤشر ضمناً عدمَ تقواهم وعدمَ فلاحهم فأيُّ نصيب لهم من الخير اذن وقد ابعدهم الله تعالى بسوء اعمالهم عن الرقة والرأفة، وعن الاحساس بالآم الناس والمشاركة في تحقيق آمالهم من خلال الربح المعقول.

ويستفاد ان ممارس الربا وآخذ الزيادة سواء في المعاوضات ام في الديون يُبتلى بانه لايستطيع الانفكاك والتراجع وهذا ما يعني التورط والتوحل وعدم امكانية التراجع اذ قد يتصور البعض انه يرمم وضعه المادي ويحسّن وضعه الاقتصادي ثم يتوب ويتراجع إلاّ انه يتوهم القدرة على ذلك بل اذا تعوّد على ذلك فسوف يكون همّه الوحيد لانه كالمجنون لا يرى امامه إلاّ وهمه

الذي يقوده الى حيث النهاية المؤلمة ولذا نجد ان المرابين يموتون انتحاراً، أو الديون متراكمة عليهم، أو خسارة أو.. أو... مما لم يكونوا اعدّوا عدّته و لم يكونوا يتوقعون تلك النهاية التي لا يحسدون عليها. وقد قال تعالى في آية (٢٧٥) من سورة البقرة ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرّم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومَنْ عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾. وقد روي [1] عن الامام الصادق (ع) انه توعّد آكل الربا بالقتل، كما وقد روي ان درهما واحدا منه اشد من سبعين مرة يزني فيها الرجل بمحارمِهِ وفي بيت الله[2] . وبعض هذا التحذير يكفي لمن كان مؤمنا با لله تعالى غير متمرّد على أوامره ونواهيه، وأما ذالك فلا يكفيه الامشاهدة النهاية المؤسفة ليشاهد مصيره وما ادى اليه أكل الربا.

ومن خلال هذه المعلومات اتضح ان الربا حرام يجب تجنبه والحذر من التورط فيه وذلك كما بيّنه عليه السلام بان يتعلم الأحكام الفقهية لئلا يتوحل في الربا فلا يستطيع الخروج منه كما هو حال التجار الذين يمارسون التجارة من دون ما معرفة لأحكامها الشرعية ومن دون مراجعةٍ للخبير في ذلك.

فالدعوة الى ان لا ينسى المسلم دينه فينساق وراء المغريات المادية والارباح التجارية وكل ما يلهيه عن دينه من تدفق الاموال وارتفاع الرصيد المالي في البنك واقتناء المزيد وتوسع مدار العمل التجاري، بل على المسلم الانتباه جيّداً لئلا يدخل في معاملة ربوية من حيث يعلم أو لا يعلم. والمشكلة ان التبعات تترتب مهما كانت الاسباب والدوافع ولا مخلص إلاّ التعلم المسبق وإلاّ لما أمكنه الخروج ولذا عبّر عليه السلام (فقد ارتطم بالربا) ليشعرنا بان

---

(١) لاحظ الوسائل ج١٢ باب ٢ من ابواب الربا، ح١ ص ٤٢٨.

(٢) لاحظ الوسائل ج١٢ باب ١ من ابواب الربا، من ص ٤٢٢ الى ص ٤٢٨.

الربا إذا اصطدم به الإنسان كان من الصعب عليه التخلص منه وذلك إما للاغراء المادي أو لعدم معرفة الاشخاص المتعلق بهم الحق أو.. أو... إذ أن كثيراً من المشاكل التجارية يصعب جداً التخلص من تبعاتها ومتعلقاتها.

فالحل الأمثل هو التفقه ولو بمقدار ما يحتاجه المكلف بحسب وضعه التجاري.

١٦١ـقال عليه السلام :

مَنْ أَحَدَّ سنان[١] الغضب لله قويَ على قتل اشدّاء[٢] الباطل.

الدعوة الى ان ينتصر الانسان المسلم لله تعالى ولدينه ولا يخشى شيئاً ولا يخاف احداً فانه إنْ قويت عزيمته وصدقت نيته في ذلك امكنه الوصول الى ما يصعب على غيره الوصول اليه لانَّ المهم ان يحدَّ سيفه غضباً لله تعالى لا لنفسه أو لاحد بحيث لا تكون بينه وبين المقابل أية عداوة أو حزازة أو ثار، واذا لم يكن شيء من ذلك فلا يتوجه نحوه بذلك الدافع بل بدافع اقوى وعزيمة اصلب وهو ان يثأر لدين الله تعالى وينتصر له عزوجل.

وعليه فانه يتغلب حتى على الاقوياء الابطال لانه مزوّد بطاقةٍ خارقةٍ خاصةٍ يتزود بها منْ كان فدائيا لدين الله سبحانه. ومعلوم ان الانسان يواجه في حياته اليومية الكثير من حالات التمرد والعصيان واعلان المعارضة القوية لاحكام الله تعالى وشرعه مما يثير حفيظة المؤمن فيكون بين أمرين إما أنْ يتكلم بكلمة الحق لحساب الحق وبدافع إيماني، واما أنْ يسكت فيكون خاذلاً عاصيا خانعا ضعيفا، فاذا ما عرف المؤمن انه موعود بالنصر والغلبة ما دام قصده وهدفه نبيل ولم تتدخل الحسابات الشخصية في الاثناء فانه يندفع نحو الهدف

(١) السِنّان: نصل (أي حديدة) الرمح. لاحظ المنجد ص ٣٥٣ مادة (سن).

(٢) اشدّاء جمع الشديد: القوي. لاحظ المنجد ص ٣٧٨ مادة (شدّ).

بكل حماس وثبات ومعنوية عالية ليُنجز واجبه الشرعي فإما ان ينصحه أو يواجهه مواجهة اخرى وقد حددت -المواجهة- بشروط معينة لا يستطيع احد تجاوزها والا لأصبح عاصيا -هو- ايضا وتفاقمت المشكلة.

فإنَّ الحاجة تكاد تكون معدومة الى المندفعين من دون ما تعقّل بينما إنّا نحتاج المتوازنين الذين يتحسبون للعواقب ويدرسون ويخططون ليضمنوا النجاح المثمر.

فليس من المقبول -دائماً- المواجهة المسلّحة أو اللاأخلاقية بل على الانسان ان يبدأ أولاً فأولاً فاذا ما استعصت الامور فيلجأ الى الحل الثاني وهكذا يتسلسل لئلا يعطي انطباعا غير صحيح عن الدين واهله بما يجعل البعض ينظر وكأن اهل الدين متعصبون مستميتون يحملون روحا عدوانية ضد الغير وغير مستعدين للمفاهمة بل لغة الخطاب بينهم ومنهم المقاتلة... ان هذا لايخدم الدين فعلى المؤمن ان يدرس الحالة جيدا ثم يُقْدِمْ ليرى كيف نصر الله تعالى له وتأييده لدينه اذا ما كان الانتصار والحمية له سبحانه.

١٦٢-قال عليه السلام :

مَنْ استبدَّ[1] برأيه هلك، ومَنْ شاور[2] الرجال شاركها في عقولها.

أنْ يطلب الانسانُ النصيحةَ من احدٍ، ويحاول ان يتعرف الآراء في امرٍ لا يُعَدُّ نقصاً في عقله أو ضعفاً في رأيه،ولا يؤشر أي مؤشر سلبي ضده،بل على العكس يدل على فطنته وتكامله من خلال تعرّفه على آراء الغير فلا ينفرد باتخاذ القرار ما لم يطّلع على بقية الآراء والمقترحات من أجل الالمام بجوانب الموضوع إلماماً تاماً بحيث لايترك كل ما ينفعه الا إطّلع عليه ولو رأي الانسان العادي البسيط بحسب مقاييس الناس وتصنيفات مراتب المجتمع اذ قد يكون لديه من التجربة والخبرة ما يثري الموضوع بحيث تكون النتيجة محمودة وجيدة وهذا ما يبتغيه كل احد -غالباً-.

بينما اذا انفرد بالامر مستقلاً فانه يدل على ضيق الافق وعدم النضج ونقصان العقل لانه لم يقف حيث ما يجب عليه الوقوف والانصات لصوت العقل الذي يخرج من افواه المحنّكين ذوي التجربة والخبرة.

وقد يتصور البعض أنَّ إطلاعَه الغير على شؤونِه الخاصة يُعَدُّ منقصةً، أو إنّ إدلاء الغير برأيه يُعدُّ تدخلاً وفضولاً،ولذا قد يقابله بالجفاف والجفاء ولعله بذلك يقطع سبيل المعروف فلا يتشجع احدٌ على معاونة غيره برأي أو نصيحة وهذا امر موجود منتشر ولذا كان محط نظر الامام عليه السلام ومحل اهتمامه في هذه الحكمة حيث نبّه الى ضرورة ان يقف الانسان ليتفهم رأي الرجال العقلاء المجربين لانه بذلك يضيف لنفسه معلومات جديدة ما كان ليتعرف عليها لولا المشاورة وطلب إبداء الرأي وتوجيه النصيحة، واما اذا استقل و لم

---

(١) انفرد به مستقلاً. المنجد ص ٢٨ مادة (بَدّ).

(٢) شاوره في الامر: طلب منه المشورة (النصيحة). المنجد ص ٤٠٧ مادة (شار).

يستخبر الامر من صدور الرجال فانه يتورط فيما لايحمد عقباه وتكون النتيجة سلبية ليست لصالحه ويؤشر عليه علامة لا يقبلها لنفسه اكيداً.

وهذا امر يعم الشاب والكهل والشيخ -احيانا- والمرأة والعالم والجاهل والمِهَنِيّ والاستاذ و.. و... من شرائح المجتمع لان لكل واحد من هؤلاء وغيرهم حاجاته المتنوعة التي ليس من الممكن احاطته التامة بكافة جوانبها بما يوضح له الصورة جيداً لكي يمكنه الحكم الاكيد ما لم يَسْتَشِرْ أحداً.

١٦٣-قال (عليه السلام):

مَنْ استقبل وجوه الآراء عَرَفَ مواقع الخطأ.

عندما نعيش اجواء هذه الحكمة لا نبتعد كثيراً عن الاجواء التي عشناها في الحكمة الاسبق اذ انهما يشتركان في قاسمٍ مشترك وهو لزوم تعرّف الآراء وتتبعها قبل البت في أمرٍ مهم لان الاحاطة بالآراء تجعل الانسان قادراً على التمييز بين الصحيح وغيره وبين الصحيح والاصح وهكذا بحيث يفرق بين درجات الاصابة والخطأ وهذا ما كان ليتم لولا سَماع أو استطلاع الآراء وحبذا لو كانت من جميع الاطراف الموالية وغيرها لتكون الاحاطة اتم ومن المؤكد أنّ حصيلة ذلك يعود على الانسان المستطلع للآراء بالفائدة والمصلحة لانه يخطو خطوته المقبلة على ضوء هذه الحُزمة الضوئية التي استجلاها من آراء المجرّبين الحكماء العقلاء.

اذ ليس المقياس في صحة الرأي والحكمة هو التقدم في السن بقدر ما هو في التجربة وقِدَمِ الخوض في معترك الحياة ليتقدم وهو منفتح الآفاق نحو التكامل ونيل الاحسن ولا يتحجر عند حدود الموروث والتقليدي بل يبقى

عندهما ما داما ينبعان من منبع الفضيلة والتكامل كالقرآن والسنة والآداب الشرعية وما الى ذلك مما يصب في مصب الفضيلة والتكامل.

فالدعوة الى عدم المسارعة باتخاذ الموقف والقرار قبل استطلاع الآراء وتقليب النظر بينها ليمكن استنتاج الشيء الاصلح الذي يقوّم الانسان ويحسّن من وضعه، ومن المؤكد انه بهذا هو الغانم فلا ييتئس ويعدها تقليلاً من مستوى طرحه وتحليله للامور بل على العكس لا يتوفر الانسان على مستوى الطرح الجيد، ما لم يلم بآراء غيره لتتفاعل ضمن المصلحة والفائدة.

١٦٤ـقال عليه السلام :

مَنْ اسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون.

قد تقتضي المناسبة ان يشارك الانسانُ في الحديث عن شيء معين وخصوصا اذا كان يتعلق بانسان مثله، وتكون مشاركته تلك مادةً للحديث عنه والانتقاص من قدره والتحدث عنه في المجالس حتى بما ليس فيه مما يمس وضعه الاجتماعي وتحركه في مواقع الحياة، فالافضل ان يضبط الانسان لسانه عواطفه ، تحمساته ،... كي يتجنب النتيجة السلبية اذ الانسان وحده هو الذي يقرر مسيرة الشائعات في حقه فقد تكون مادة خدمة وإعلان مجانية وقد تكون مادة تشهير واساءة بما يجعل الانسان مفتوح العينين والقلب ليحسم الامر إما له أو عليه.

ولكن الامام عليه السلام يؤكد بان الانسان اذا تحدث سواء بالقول أو بالكتابة أو بالقيام بفعل معين عن الغير بالشيء الذي لا يريد شياعه وانتشاره وما فيه تحريش أو امتهان ضد الاخرين فانه يعطي المبرر الكافي لان يطلق الغير لسانه بما فكر فيه وما لم يكن قد فكر فيه تشفياً وانتصاراً للنفس والكرامة.

فالدعوة الى ان لايتحدث الانسان عن غيره الا بمثل ما يحب -هو- ان يتحدثوا عنه، والاّ لأصبحت سوق الكلام والمهاترات الكلامية رائجة يعرض كلٌّ بضاعته ويبرز عضلاته ويكشف عن المزيد من قدراته ليردّ بذلك ما صدر بحقه ولا تنحسم القضية لصالح احد بشكل ايجابي مقبول فالعقل يدعو لان يُعطىْ دوراً كبيراً ليقود المسيرة نحو السلم والحد من المهاترات المضرة بالسمعة والمكانة الاجتماعية.

والاهم من هذا وذاك قوله تعالى ﴿ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد﴾[1] ولا أحسب عاقلاً يرضى لنفسه الوقوف للمسائلة يوم القيامة لاجل شيء كان من الممكن التغاضي عنه وتحاشي الوقوع فيه كي تمر الازمة -ان كانت واقعا- والا فاغلب المواقف المتشنجة من تأليف وحبك ابليس اعاذنا الله تعالى جميعا من شره بما يلزم الانسان ان يكون متأنيا قبل البدأ بالحكم على أحد لئلا ينساق وراء ايماءات ابليس وتسويلاته الوهمية فيخسر الانسان مواقفا واشخاصا.

١٦٥-قال (عليه السلام) :

مِنْ اشرف اعمال الكريم غفلته عما يعلم.

الدعوة الى ان يتغاضى ويتغافل الانسان عن الاساءة، وعن اذى الغير، واحقادهم، ومشاحناتهم، وعيوبهم، ومساويهم ليمكنه التواصل معهم بما قد يجدي نفعاً وان لم يكن فانه يكتسب لنفسه الحسنات بالاغضاء والتحمل، وهو امر ليس بالسهل ولذا اعطاه الامام عليه السلام درجة الاشرفية ليرغب فيه الانسان ويحاوله ولو لمرة ثم ليتعوّده تدريجيا وفيه من الفوائد الاجتماعية والشخصية ايضاً الشيء الكثير لانه اذا التزم كل واحد بان يتغافل عما يعلمه

---

(١) سورة (ق) آية (١٨).

من اساءة ومساوئ فلا تتأجج نار الاحقاد والثار والعداوات المستدامة المتوارثة وخمدت نيران كل تلك الفتن البغيضة ليحل محلها الوئام والصفاء والتحابّ والتواد لتعمرالارض ولتنشأ الاجيال الصاعدة على حالة التصافي والتغاضي عن الاساءة والمساوي ليتعلّموا بذلك دروساً تربوية بشكل منهجي يومي من خلال الاحتكاك بين الافراد وبشكل عملي لا بمجرد طرح نظريات ورفع شعارات جوفاء ولذا لانجد في كثير من الحالات ردوداً مناسبة لها والسبب انها جوفاء لم يقتنع بها رافعوها ومنشؤها.

واحسب اننا جميعا نود ان نوصف بوصف (الكريم) لما تحمله من معانٍ نتشوف اليها ونتشوق لانها تختصر تعاريف عديده لشخصية الفرد مما يعتز بها.

فلا بُدَّ لاجل الحصول على ذلك الوصف ان نتعود الغفلة عما نعلمه من مساوئ الغير وعيوبه وعن اساءته لنا وعلينا لنعيش بدون مشاكل وحزازات مزعجة.

١٦٦–قال عليه السلام:

مَنْ اصلح سريرته [١] اصلح الله علانيته، ومَنْ عمل لدينه كفاه الله امر دنياه، ومَنْ احسن فيما بينه وبين الله كفاه (احسن)[٢] الله ما بينه وبين الناس.

ان الانسان -غالباً- يهتم في دنياه بأن يكون مظهرُه وما يواجه به الناس حسناً فلا يريد ان يُكَوِّنَ عنه انطباع: بأنه سلبي في تعامله، افكاره...

---

(١) ما يكتم - القاموس- ج٢ ص ٤٦ مادة (السر)، وايضا بمعنى النية، لاحظ المنجد ص ٣٢٨ مادة (سر).

(٢) قد رُويتْ في بعض المصادر هكذا (أحسن الله ما بينه وبين ......).

ويهتم ايضا بأن يكون مكفي المعيشة وسائر القضايا الحياتية.

ويهتم بأن يكون بعيداً عن المشاكل والمتاعب التي تحدث من أثر الاحتكاك مع الناس بما يجعله مهموماً، مشغول الفكر لذلك.

هذا كله بحسب الحالة العامة الطبيعية ولايهمنا النادر الشاذ ممن لا يهتم بأيٍّ من هذه الثلاث.

وقد عالج الامام عليه السلام هذه الثلاثة بما يؤمّن للانسان الاعتيادي التوفر عليها وعدم الخوف من انعكاساتها، وذلك:

١-بان يكون سرّه، وما ينطوي عليه، وما يضمره في نفسه صالحاً وايجابياً سواء مع ربِّه أو مع الآخرين، وهذا الاصلاح للسر وحُسن الطوية يضمنان -الى حد كبير- المظهر الجيّد والعلانية المحمودة والسمعة الطيّبة والثناء من الناس و.. و... مما يسعى له الإنسان، والسرّ في ذلك أنه متى كان سلوكه الداخلي إيجابياً فإنه يتصرّف ظاهرياً كذلك لأنه تعوّد على التصرف الحسن ومن الطبيعي أن يكون مأجوراً من الله تعالى، محموداً عند الناس.

٢-بان يعمل للدين ويحافظ على التزاماته الشرعية ولا يفرط بعقيدته وشعائره الدينية المقدسة ليتأمن له الجانب الدنيوي من المعيشة والصحة والامان و.. و... مما يحتاجه وهو ضروري بالنسبة اليه، لأن ﴿ مَنْ يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾(١)

٣-ان يكون متقيا لغضب الله، خائفا من الله، مراقيا لله، يتعامل ويتحرك في جميع مرافق الحياة الخاصة والعامة على قناعة تامة بان الله معه يحصي عليه تصرفاته ويحاسبه عليها ان خيرا فثواب وان شرا فعقاب، ليرتاح

(١) سورة الطلاق آية (٢-٣).

من مطبات الشيطان وما يزينه للانسان من اغواءات ومزالق وعثرات غير مكشوفة.

لانه بذلك يكون قد وصل الى ساحل الامان فتخلّص من الفتن والانحرافات سواء في التعامل السوقي ام البيتي/العائلي ام العاطفي ام الفكري ام... وعليه فيجازيه الله سبحانه بان يكفيه مؤنة وصعوبة احتياجه الى الناس فيذلّل له كل العقبات وتكون حوائجه ميسّرة فلا يهتم لشيء لدى الناس لانه اطاع رب الناس فسيطر عليهم من خلال ذلك.

وقد وردت هذه الفقرة في بعض المصادر (ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس) وعليه فهي ضمان بأن تكون علاقات الإنسان الاجتماعية إيجابية وحسنة ومرضية وجيدة بشرط أن تكون علاقة العبد مع ربّه تعالى حسنة وذلك كما تقدم بيانه من حيث المواظبة على امتثال الأوامر، والكف عن النواهي.وكل هذه الثلاث أمرها بسيط وسهل على كل فرد ليحصل بالمقابل على ما يسعى اليه.

فالدعوة الى الخوف من الله تعالى في السر والعلن، والالتزام التام بالواجبات الشرعية، وبما يرضاه تعالى لتتم له الضمانات الثلاث فلا يخاف بعدها شيئاً.

١٦٧–قال عليه السلام :

مَنْ اطاع التواني[١] ضيّع الحقوق، ومَنْ اطاع الواشي[٢] ضيّع الصديق.

الدعوة الى امرين :

---

(١) توانى في الامر توانياً: لم يُبادر الى ضبطه و لم يهتم به فهو متوانٍ اي غير مهتم ولا محتفل، المصباح المنير ج٢ ص ٩٢٨ مادة (ونى).

(٢) النمّام. المنجد ص ٩٠٣ مادة (وشي).

الأول: ان لا يتعود الانسان التسويف والتماهل بل يهتم بما يناط به ويكلّف بتنفيذه لان البطء في التنفيذ وعدم الاسراع يؤشر سلباً على عدم الاهتمام وعلى اللامبالاة فيكدر الصفاء ويبذر بذرة الشقاق بين الاخوان والاصدقاء والمعارف بما يُفْقِدُ الانسان اشياءً عزيزة عليه فلا تُرعى حقوقه كما انه لم يراعِ حقوق غيره، ويُستهان بأمره كما قد استهان بأمر غيره و.. و... فيعامَل بالمِثْل فتضيع الحقوق خصوصا وان عدم المبادرة لمن يستحقها لمعروف سابق نحوه بما يرتب حقاً ولو اجتماعيا -ان عدم المبادرة- يعني التجاهل الذي لايرضاه احد لنفسه من الآخرين.

فالدعوة الى ان لا يتوانى الانسان في حق غيره لئلا يفقده فيخسره، ومن المعلوم ان التواني من الطبائع المتأصلة عند البعض ولذا كان الاهتمام بان يبتعد عنه الانسان ولا يتعوده.

الثاني: ان يتأنى الانسان قبل إصدار الحكم على احد بمجرد سَماع خبرٍ معين سلباً أو ايجاباً وهذا كقاعدة عامة امر صحيح يقرّه العقل ويجري عليه العقلاء الا انه في الجانب السلبي تكون الحاجة أدعَىٰ لإلتزامه والعمل على طبقه اذ قد يقوم بعض الافراد بدور المخرِّب بين الاشخاص فينقل الاخبار الكاذبة أو المضخَمة والمبالَغ فيها ليتأذى بعضهم من بعض ولتدبَّ القطيعة والهجران بينهم بما يفقدهم التكاتف والتآزر والتحابّ والتصافي والتآخي و.. و... مما كان في سابق العهد وهذا على كافة المستويات يعود بالخسارة على كل الاطراف فلذا من المهم جدا ان يحسب الانسان خطواته في هذا الطريق الذي تكثر عثراته ويكثر الراصدون فيه لمن يريدون الوقيعة يبتغون الفتنة.

ولو لم نلتزم بهذا لخسرنا الكثير من الاهل والاحباب والاصدقاء والمعارف والزملاء... وكفى بهذا مذمة ومنقصة يحس بها الواحد منا في نفسه فينتقد سرعة تصرفه وعدم تثبته.

فالدعوة الى التزام الحذر في حالتين الاولى عدم تضييع الاخوان والمعارف من خلال التماهل في اداء حقوقهم والاخرى عدم التسرع وترتيب الآثار بمجرد الكلام المنقول بل لا بُدَّ من التريث والحزم ومتابعة العقل لا العاطفة ليتجلى الامر بما يجعل الحكم واضحا ومنطقيا . لان هاتين الحالتين من الحالات التي يترصدها الشيطان للانسان ليوقع بينه وبين بقية الاطراف العداوة.

١٦٨ –قال عليه السلام :

مَنْ اطال الامل أساءَ العمل.

بيان لحقيقة مؤكدة وملموسة من قِبل الكثير فمَنْ يطول أمله بالدنيا ومغرياتها وما تَعِدُ به الانسان، فانه سوف ينصرف عن العمل الابقى والعمل الانفع ويتوجه بكُلّه الى حيث المغريات الجذّابة فيترك العمل أو يكون بمستوى متدني بما يؤكد حقيقة الابتعاد عن الآخرة والاقبال على الدنيا.

وقد سبق القول بان الدنيا غير مرفوضة تماما وايضاً غير مقبولة تماما بل بالمقدار النسبي الذي يتساير مع الخط المستقيم الذي حدّده الشرع وأقرته الشرائع السماوية.

اذن فليس معنى الحكمة ان يزهد الانسان في الدنيا ويترك شئون الحياة بالشكل المشروع، بل الحكمة تؤكد على شيء له اهميته البالغة والتي يتناساها البعض ويتغافل عنها فلا ينظّم حياته ولا يبرمج وضعه الحياتي بل يتوجه لجانب على حساب آخر فان التوازن هو المطلوب ومن ثمار ذلك ان لا يطول امل الانسان ولا يدوم تعلّقه بها ولا يتعمق في داخله حبّها لئلا يؤثر سلبا على عمله الذي يقربه الى الله تعالى ويجعله طلق اللسان والمحيا عند المساءلة العسيرة الذي من المؤكد حدوثها يوم القيامة.

فالدعوة الى ان يَّجد الانسان ويجتهد ولا يترك العمل لحساب الدنيا بل يكون عيشه في الدنيا كرحلة مؤقتة ثم ينتقل الى ما بعد ها من مقاطع اخرى، فالدنيا وبعدها القبر وبعده الحساب وبعده المقر النهائي الذي يمكن للانسان معرفته ولو نسبيا من خلال العمل وقابليته في ذلك.

١٦٩–قال (عليه السلام) :

مَنْ أيقن بالخَلَف جادَ بالعطيّة.

ان من المعلوم المؤكد ان النفس الانسانية لا تسمح بالعطاء الا اذا مالت لذلك واقتنعت به أو اذا عاد عليها بعائدة ومنفعة وما عدا ذلك فيكون الالتواء والتملص خشية الدفع ولكن هناك استثناء لهذا الشيء العام وهو أنَّ الذي يعلم اكيداً أنّ ما ينفقه ويعطيه سيعود عليه اضعافا سواء كان بصورة المال أو غير المال مما يكسب الانسان مادياً أو معنوياً ، وقد يكون احيانا كثيرة في امسّ الحاجة الى الحفظ أو الوقاية من الافات والامراض أو الحماية من الاعداء أو تيسير الحوائج أو.. أو... مما يحتاجه الانسان ولا يستغني عنه بينما المال يمكن الاستغناء عنه اذا قضيت الحوائج وتمت اللوازم فلا يجد الانسان العاقل بعد ذلك أية حاجة الى المال لانه وسيلة لا غاية فاذا حصلت الغاية فيكون المال شأنه شأن غيره مما لا يبالي بوجوده الانسانُ لعدم احتياجه اليه.

ومن الحالات التي نحتاج فيها الى استذكار هذه الحكمة:

حالات تدخل في اطار ديني .

واخرى تدخل في اطار اجتماعي،

فالتي تكون دينية فَلِكَيْ يقتنعَ الانسانُ بضرورة تطبيق الاوامر الشرعية في الجانب المالي من الخمس والزكاة والكفارات المترتبة والنذر والوقف،فإنّه إذا سيطرت عليه افكار الحرص والشُّح فلا يمكنه تنفيذ الحكم الواجب التنفيذ بينما

اذا عرف انه سيخلَفُ عليه فانه يتشجع اكثر للعطاء اي لضمانه المكسب المقابل.

والتي تكون اجتماعية فكالصدقات المستحبة والمعونات والمساهمات في المشاريع الخيرية وسائر ما ينفع الانسان ويبقى أجره في الاخرة فاذا لم يدرك هذه الحكمة فلا يمكنه الدخول في هذا المضمار وعندها سيكون المردود السلبي على المجتمع لاحتوائه كافة العناصر الغنية والفقيرة بما يجعل الحالة غير متوازنة: بعضٌ يعاني وطأة الفقر والحاجه، وبعضٌ تتوفر لديه المقومات الكافية لانقاذ اولئك والمساهمة في رفدهم وحل مشاكلهم وعندها لا تكون الكفة متوازنة.

فالدعوة الى الانفاق سواء كان المطلوب شرعا ام المرغوب فيه لعوائد على المنفِق والمنفَقْ عليه، وأنْ لا يُحْجِمَ الانسان عن ذلك لاعتبارات وقضايا لا تعود بالفائدة لا عليه ولا على المجتمع.

وفي الحقيقة تُشَكِّلُ الحكمة في واقعها قانونا ثابتاً تفسر به حالات الاقدام على الدفع والعطاء وكذلك الحالات المعاكسة اذ لو تيقن لدفعَ، لكنه لم يؤمن باصل الفكرة فكان يتصور ان المنتفع بعطائه هو الفقير فقط فاذا كانت لاتربطه مودة مع الفقير حَاوَلَ محاصرته وحجب الفائدة عنه،إلّاأنَّ الانتفاع في الواقع يعم كلا الطرفين وفوق هذا وذاك ففيه رضا الله تعالى وهو الذي ينبغي ان يسعى للحصول عليه العبدُ المطيعُ حقا الذي لا يكتفي برفع الشعارات دون التطبيق.

١٧٠–قال (عليه السلام) :

مَنْ تذكّرَ بُعْدَ السفر اِستعدَّ.

ان الموتَ ومفارقة هذه الحياة الدنيا حقيقةٌ أكيدة وان صعب على الكثير قبولها والمعايشة معها على اساس ذلك، فقد يلجأ البعض الى الانكار أو الخوف وعدم الخوض في كل ما يتعلق بالموت أو.. أو... مما ينسيه ذكر الموت مع انه لا يخدم الانسان بل يهيأ له الفرصة للتناسي والتماهل والتكاسل والابتعاد عن خط الله تعالى فينساق وراء اهوائه وملذاته وما توحيه له افكاره المتشعبة بالمزيد من عدم الانضباط والانفلات فينتج:الاقدام على المعاصي، وعدم التقوى، وعدم الورع عن المحارم وانهيار كل الحواجز عن الحرام بكافة صوره واشكاله.

ولئلا يبقى الانسان طويلا في ذلك السبات[1] كانت هذه الحكمة وبالشكل الذي لايرعب ولا يخوّف بل قد استعمل عليه السلام الكناية والاشارة لمقصوده من خلال التشبيه بحالة معاشة لكل احد وهي السفر الذي يتنوع بطبيعته الى قريب وبعيد، والانسان بحسب طبيعته يستعد للسفر البعيد استعداداً جيّداً ليضمن توفير احتياجاته وعدم قصور شيء عن مطلوبه في السفر.

ومن المشابه لذلك (الموت) فان الانسان يرتحل الى عالَم آخر وينتقل الى حياة اخرى فيها الكثير من المميزات عن هذه الحياة الدنيا وبطبيعة الحال يحتاج ذلك الارتحال والانتقال الى الاستعداد، وتهيئة لوازم، وتحضير مسبق، وكل ذلك ينحصر في العمل الصالح الذي يتجلى من خلال عبادة الله تعالى والالتزام باوامره والابتعاد عن نواهيه، ولا اعني بالاوامر الصلاة والصوم والحج... بل إنّ هذه من أوضحها وألصقها بالحياة الفردية اليومية أو السنوية ولكن ما يشمل

---

(١) النوم أو أوّله. المنجد ص٣١٧ مادة (سبت).

الصدق، الوفاء، الالتزام والانضباط، الامانة، المروة، الاخلاص في العمل، التعايش السلمي من دون ما حقد وضغينة، بر الوالدين، صلة الرحم...، وأيضاً لا أعني بالنواهي الكذب وشرب الخمر والزنا والسرقه... بل ان هذه مما ورد التأكيد على الابتعاد عنها صريحا واكيدا في الكتاب والسنة ولكن ما يشمل خلف الوعد، الخيانة بكل مستوياتها، الشذوذ الجنسي بمختلف اشكاله، الالتواء في المعاملات التجارية والمصرفية مهما تعددت صورها، عقوق الوالدين، قطيعة الرحم، ايذاء الناس، الاضرار بالاخرين ولو كانوا من الحيوانات احيانا، الحقد، العداوة المتأصلة، النميمة، الغيبة، الوشاية، الاعتداء على أعراض الناس. فاذا كان الانسان بمستوى التزام الاوامر والابتعاد عن النواهي كان مستعداً للسفر ومتذكراً له باستمرار لان كلاً من الالتزام والابتعاد يكفي للحيلولة دون المعصية والوقوع في المحذور.

١٧١–قال عليه السلام :

مَنْ ترك قول " لا أدري " أصيبت مقاتله[١].

تنبيه على لزوم الحذر، واخذ الاحتياط الكافي عند الاجابة على الاسئلة، وعدم الانسياق وراء العاطفة أو الاثارة أو الوعود أو التخويف، بل لا بُدَّ من التثبت والتأمل قبل الجواب، اذ لو لم يتأمل قبل الجواب فمن الممكن جداً ان يعثر ويخطيء فيتورط هو أو يورِّط غيره في متاهات ومشاكل.

فالدعوة الى أن لا يجيب الانسان على كل ما يطرح عليه من الاسئلة بل يتعوّد الاجابة على بعض الاسئلة بالنفي وعدم المعرفة والاطلاع، لأن ذلك

---

(١) المَقاتل جمع المَقْتَل: العضو الذي اذا أُصيب لايكاد صاحبه يَسْلَمْ كقطع الرقبه أو الضرب على منطقة القلب أو الرأس أو قطع بعض الأورده والشرايين ونحو ذلك. لاحظ المصباح المنير ج٢ ص٦٧٢، والمنجد ص٦٠٩ مادة (قتل).

كفيل بنجاته وتخليصه من العداوات والخصومات والنهايات المؤسفة،كما انه كفيل بابعاده عن الارتجال والتسرع في الاجوبة بما يكشف عن عدم نضجه الفكري، أو عدم احاطته الثقافية.

وَمَنْ يتسرّع ويتعوّد الاجابة، والافصاح، والكشف على كل ما يعرف فحتماً سيصل في يوم من الايام الى حالةٍ من الندم والاسف على مبادرته الى الجواب لأن (رُبَّ كلمة سلبت نعمة) واوصلت متكلمها الى مصير مجهول أو حالٍ يؤسف عليه كالفقر أو الذل أو الابتعاد عن حالةِ خيرٍ كان فيها...

وهذه الحكمة احوج ما نكون لها نحن المسلمون اذ يحيط بنا المتربصون بنا ويبغون لنا الشر فكثيرا ما يُسْتَدْرَج الواحد منا الى حيث يريد عدوه من خلال كلامه فيحقق بذلك امنية الاعداء والاشرار، ويفتّ عضد الاولياء والمخلصين.

ويمكننا استشفاف عدة محاور تدور حولها هذه الكلمة فنستفيد منها دروسا تربوية تنفعنا في حياتنا العامة و الخاصة.

فمنها: ان الانسان الذي لا يسيطر على لسانه فقد ينطق بكلمة تحسب بحساب الكفر والتجاوز على الذوات المقدسة فتترتب عليه بعض الاثار الشرعية كالحكم بارتداده .

ومنها: ان الانسان اذا لم يضبط لسانه بضابطةٍ تحصي عليه ما ينطق به فسيتحمل اوزاراً واحقاداً وتبعاتٍ اخرى .

ومنها: ان الانسان اذا حلف كاذباً أو وعد كاذباً فسيتعرض للمسائلة والمحاسبة مع العقوبة المناسبة.

ومنها: ان الانسان اذا تكلم عن الناس بما يكرهون وبطريقة جافة فسيتحمل العداوة ان كان حقا، وان كان باطلا فالعداوة والعقوبة فيدخل تحت

عنوان الغيبة والبهتان اللّذين توعّد الله تعالى عليهما بالنار لانهما من الذنوب: قسم الكبائر.

ومنها: ان الانسان اذا ابدى ما يعرفه عن احد فمن المحتمل قويا تعرض ذاك الشخص لضرر في السمعة والشخصية الاجتماعية، أو في البدن أو... فيكون بذلك متسبباً في تحطيم مستقبل أخيه الانسان، أو لحوق الاذى به بمختلف حالاته.

وعلى كل حال فالدعوة تتابع حال الانسان من حيث المنطق فتشير الى ضرورة الموازنة بين النطق والسكوت لئلا تكون الخسارة على بعض الاطراف ومن ثم الندم وقد تتطور الامور الى العقوبة الأُخروية أو العداوة الدنيوية.

١٧٢–قال عليه السلام:

مَنْ جرى في عنان[١] أَمَلِهِ عَثَرَ بأجَلِه.

الدعوة الى ان لا يتمادى الانسان كثيراً في مشاريع المستقبل وطموحات الايام لانه سيصطدم بالموت والرحيل وتوديع هذه القضايا بمجموعها العام المشروع وغيره، والمناسب لوضعه وغير المناسب، بل عليه ان يتعقل الامور وينظر لها بمنظارها المناسب والصحيح لتسلم له النتائج فتكون مما يهيء له فرصةً تقدمٍ مناسبة مع مقياس حياته في كافة المجالات.

فان مشكلة الكثير انه اذا تمكن من المنصب والجاه أو الاموال أو كثره الاولاد والاتباع أو النفوذ والسيطرة في بعض مناحي الحياة، فيتحول الى انسان غير اعتيادي في افكاره وتطلّعاته المستقبلية بما يوضح الصورة في انه مغرور بما أتاه، مخدوع بما لديه، قد غفل عن امكانية تحوّلِهِ الى حالةٍ اخرى، وقد نسي انه بحكم الضيف في هذه الحياة مهما بقي، ولم يلتفت الى انه موجود فيها بارادة

(١) العنان: سير اللجام الذي تُمسكُ به الدابه. القاموس المحيط ج٤ ص٢٤٩.

الله سبحانه فعليه ان يسعى جاهداً لنيل رضاه والعمل بطاعته من دون ما مخالفة أو تغافل عن الاساسيات والتي منها انه سيحاسب يوم القيامة عن اعماله ويجازى حسب ما يستحق من دون ظلم أو حيف.

فالحكمة تحمل معنى كنائياً تعبيرياً عن ذم حالة الاغترار بالدنيا وما تُوهِمُ به الانسان لينساق وراءها ثم تتركه يسعى لاهثاً متلهفاً لا يدري اين يتجه؟ وماذا ينفعه؟ وبماذا يتمسك لينجو مما هو فيه؟

فاللازم اكيداً أنْ لا ينسى الانسان حقيقة(الأجل)الموعود بحلوله للرحيل فعليه ان يتهيأ ويستعد كمَنْ يريد السفر الى مكان اخر فيستعد لذلك جيداً ويلاحظ من وقتٍ لاخر ساعةَ الانطلاق والمغادرة لئلا تفوته فرصة التزوّد وأخذ اللازم الضروري والانسان احق بهذا الاستعداد والتزوّد ليلقى ربه سبحانه وهو صالح العمل، طاهر الثوب، نقي السريرة.

١٧٣–قال (عليه السلام) :

مَنْ حاسب نفسه ربح، ومَنْ غفل عنها خسر، ومَنْ خاف اَمِنْ، ومَنْ اعتبر ابصر، ومَنْ فهم علم.

الدعوة الى اعتماد عدة امور، واعتبارها اشياءً ضرورية اساسية ليتعود الالتزام بها والتعايش معها على اساسٍ من الاطمئنان بجدواها واهميتها وفعّاليتها الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع، وهي :

١– ان يحاسب الانسان نفسه ويعدَّ افعاله واقواله ويحصي ما صدر منه ليتعرف على خطائه وصوابه في كل ذلك فيتحرك في ما بعد على خط الصواب والحكمة ولا يُستجرّ لتلك المواقف فيما بعد.

ولو آمن الانسان فعلاً بأهمية المحاسبة وعملية الاحصاء اليومي وما تنطبع به افعاله واقواله من طابع الانضباط والدقة وعدم التسرع والانفلات –لو

آمن حقا بذلك- لصار يتصرف ويتلفظ بموجب ضوابط والتزامات فلا ينفعل لانه يعرف انه سيندم أو سيُحاسَب على ذلك فيضبط اعصابه، ولا يتسرع في اتخاذ قرار أو موقف معين إلاّ بعد مشاورة وتأمل لانه يدرك انه سيتحمل تبعات القرار والموقف فيتوازن، ولا ينساق وراء مؤثرات المال، العاطفة، الجاه، السياسة والتوجهات الفئوية، التهديد، الوعيد... بل يدرس الحالة المعروضة جيداً فيخطو خطوته المقبلة بكل ثقة وتوازن لينجو من عثرات تلك الخطوة وينبغي ان تدخل في قائمة الحساب والاحصاء اليومي: الافعال بشكليها الايجابي والسلبي وكذلك الحال في الاقوال اذ قد يصدر من الانسان ما يستحق الثواب عليه أو ما يستحق العقاب عليه.

فلا بُدَّ من المواصلة على الخط لو وجد الانسان انه استكثر في يومه من عمل ايجابي كما انه عليه ان يتنبه للخطر والعقوبة" -احيانا- لو كان العمل سلبيا.

والحصيلة الناتجة من عملية الحساب والاحصاء اليومي تكون لصالح الانسان ذاته اذ يتعرف على مواطن القوة والضعف في تصرفاته واقواله فلا يغبن ولا يفاجأ ولا يقف موقف الخاسر الذي لا يمكنه ان ينقذ نفسه فالمحاسبة سواء انتجت ناتجاً يؤشر الى الايجاب والخير أو العكس فانما توضح الحالة للانسان ليستمر أو يتوقف اذن فمن حاسب نفسه فقد ربح النتيجة لصالحه.

وبطبيعة الحال لو غفل الانسان عن نفسه ولم يحاسبها وترك الامور وما يصدر منه من دون ما مراقبة وملاحظة فسوف يخسر ويندم حين لا ينفعه، ويتمنى لو لم يغفل.

٢- ان تكون النفس خائفة مما تلاقي غدا ويتضح ذلك من خلال العمل وفق الضوابط الشرعية والالتزام بها من دون ما تجاوزات لتكون نتيجة الخوف: الأمن والارتياح النفسي يوم تفزع فيه القلوب، وتخاف النفوس،

وتذهل عن كل عزيز، وكفى بذلك الأمن والارتياح مكسباً يستحق التضحية بملاذّ الدنيا المؤقتة لاجله،لأنّ المؤمن حقا لا تُعرف ميزته واهميته إلاّ ذلك اليوم الذي يتبين فيه المتقون من غيرهم.

٣-ان يتّعظ ويأخذ العبرة مما يشاهده ويسمع به فتكون تجربة الغير درساً بليغاً مفيداً للانسان لينمو وينضج حتى لا يقع في نفس الموقف، ومن دون ما تقديم خسائر ولتكن النتيجة انه ابصر طريقه في الحياة من خلال تأثره واعتباره واتعاظه بتجارب الغير، فلم يترك تجارب الغير تمر عليه من دون ما استفادة بل اخذ العبرة منها ليفهم ما عجز عن فهمه وتفهمه من خلال وسائله الخاصة، لذلك فقد جاءته الفرصة للتفهم من دون ما تعب ومشقة.

فالتبصر من خلال الاستفادة من تجارب الغير ينفع في فهم لغة الحياة وتُعلِّم كيفية التخاطب والتعامل معها لينجو من مطبّاتها ومشاكلها القاسية.

٤-من جملة ثمرات المحاسبة وعدم الغفلة أن يفتح منافذ تفكيره جيداً ليستقبل أية معلومة مفيدة قد تنفعه ولو مستقبلاً، فإن محاولة فهم القضايا ومعرفتها وادراكها تؤدي الى العلم بتلك القضايا ووضوحها لديه وانكشاف الخفايا عنده وهو المطلوب غالباً.

وهذه الحكمة لها من التأثير العميق في اصلاح الفرد دنيويا واخرويا وفي كل المجالات الشيء الكثير.

١٧٤-قال (عليه السلام):

مَنْ حذّركَ كمَنْ بشّركَ.

تبلغ الحالة لدى بعض الناس ان لا يعتني بالتحذير والتنبيه بل قد يستهين فيرمي المقابل بالضعف وعدم القابلية على المواجهة و.. و... مما

يكشف عن عدم تقدير الحالة بشكلها الصحيح وعدم تحجيم المشكلة بالمقدار الذي تستحق فلذا تنتج عدم المبالاة، ومظاهر الاستهزاء أو الاستهانة.

بينما نجد ان الامام عليه السلام يدعونا في هذه الحكمة الى ان نهتم بأمر المحذِّر الناصح ونصغي لتحذيره ونصحه كما لو كان قد ساق لنا بشارةً نفرح بها .

لان المحذّر والمبشّر يودُّ كل منهما لنا الخير، ولكلٍ طريقته الخاصة في ذلك فاحدهما ينذر بوقوع خطر وضرورة الابتعاد عنه وتفادي الوقوع فيه مهما أُمكن فلذا بادر الى الانذار المبكر قبل حلول الازمة .

والآخر يخبر بحلول ما نتوقعه أو مجيء غايب ننتظره اوحصول رغبة نتمناها أو...

اذن فهما معا يستحقان التقدير والمحبة والاهتمام والاعتناء والتعامل على قدم المساواة بينهما لانهما اظهرا حرصهما على المصلحة والسلامة وعدم التأذي، أو بلوغ الخبر السار المفرح بما امكنهما، ولكن من الشائع وللاسف عدم تقدير المحذّر والتشاؤم منه على اساس انه استبق الاحداث وتوقع المكروه، إلاّ انه شائع خاطيء بكل تأكيد لان الانسان يحتاج فيما يحتاجه الى من يحذّره ليتوقى ويحتاط لنفسه ويأخذ استعداده الكافي للامر فلا يتورط بكلمة أو فعل لئلا يخسر الحالة والموقف.

فالدعوة اذن الى الاهتمام بشأن التحذير مصدراً وهو المحذِّر، وقضيةً وهي الحالة المرتقَبة المتوَقَعة الحدوث.

١٧٥–قال (عليه السلام) :

من الخُرق[١] المعاجلة قبل الامكان، والاناة[٢] بعد الفرصة.

على الانسان ان يغتنم الفرصة المناسبة لتحقيق اهدافه، فلا يتوانى ولا يتماهل ولا يتأخر عن ذلك لو تم، وهذا يتطلب بطبيعة الحال ان لا يستعجل الامر لئلا يستبق الاحداث،كما عليه ان لا يتأخر عن الانجاز واتخاذ القرارلو تهيئت الظروف وتواتت على شيء مّا لان عدم الاستعداد يؤشر مؤشرا سلبيا على عدم النضج العقلي للانسان وعدم توازن ادراكه للامور وتفاوت المسافة بين عاملَي التنظير والتطبيق. وهذه النتيجة مما يبتعد عنها كل عاقل والحكمة شاملة في مدارها لكل غايات الانسان واهدافه، وفي سائر مسارات الحياة وتشعبات مداراتها الواسعة، وتساير الانسان في كافة المجالات العلمية والعملية ،كفرد وكجزء من المجتمع في علاقاته مع نفسه ،ربه ،افراد مجتمعه، عائلته، زملاء عمله....

اذن فالدعوة الى ان يتوفر الانسان على قدرٍ مقبول من التعقل للامور والتعامل الدقيق مع القضايا بما لا يفوّت عليه الفرصة، فلا يستبق الاحداث ولا يتأخر في الظرف المناسب لان الحالات التي يمكنه فيها تحقيق ما يرغب به قد لا تتكرر دائما فعليه ان يتهيأ لإغتنامها وذلك عن طريق الموازنة والتعرف على مواقع القوة والضعف في ما يُعرض عليه ليقبل أو ليرفض وفق تدبير العقل.

---

(١) الخُرْق والخَرَق والخُرْقَة: الحُمق، قلة العقل أو فساد فيه، سوء التصرف والجهل، ضعف الرأي. المنجد مادة (خرق/ حمق) ص١٧٥ /ص١٥٥.

(٢) الأناة : الانتظار والتمهل. المنجد مادة (أَنِيَ) ص٢٠.

١٧٦-قال عليه السلام :

مَنْ صَارَعَ الحقَ صَرَعَهُ.

تشير الحكمة الى معنى كنائي تعبيري يوحي بشيء من التفصيل وأنّ على الانسان ان لا يستقوي ولا يستعلي على مراكز الحق كيفما كانت وأينما كانت لانه لو تغلب عليها بالقوة البدنية والعضلية، العقلية والتخطيطية فانها حتماً تتغلب عليه عندما لا تنفعه قواه البدنية والعضلية والتخطيطية .

وهي -الحكمة- شاملة ترمز الى كل ما يختصر تعريفه بانه حق فلا يقتصر على جانب دون آخر بل تتصل بشكل مباشر بتصرفات الانسان واقواله وسائر تحركاته وحركاته حتى توجهاته وما يتعاطف به مع فئة أو جهة على حساب الحق فانه يلقى جزاءه المناسب ليحقق معنى ان الحقَ تغلّب عليه.

ومن المؤكد ان ليس المقصود من المصارعة حالة الطرح على الارض بعد مغالبة ومكابرة من كلا الطرفين .بل المقصود التغلب والاستظهار والاستعلاء وتسجيل الموقف وربح القضية والوصولية الى الهدف على حساب الحق....

اذن فالدعوة الى عدم الاستبشار كثيرا لو واتت الفرصة أحداً فتغلّب على الحق واهله فعليه ان لا يغتر ولا يتطاول بذلك بل عليه ان ينتظر القادم ليرى كيف انتصار الحق لذاته ولمنتسبيه والمحسوبين على خطه. ومن المعلوم ان الله تعالى مع الحق وينصره ويدعم مواقفه ويشجع عليه وعلى اتخاذ سبيله ومن اسمائه الحسنى (الحق) وان لم يكن المقصود هنا ذلك بالذات بل ما يكون ضمن خط الاستقامة والصلاح والهدى والرشاد بكل ما فيها من معاني الخير والايجابية بكافة ابعادها في الحياة.

١٧٧–قال (عليه السلام):

مَنْ ضَنَّ (١) بعرضِهِ(٢) فلْيَدَعْ المِـراء(٣).

ان حالة التنازع والتخاصم الكلامي مع الناس له عدة اثار سلبية تسيء لوضع الانسان المتنازِع نفسه، وقد تتجاوز الى اهله وذويه ومَنْ يهتم بشأنه فينبز أو يشتم أو يذكر بسوء لارغام وايذاء المتخاصم المتجادل.

فلذا كانت هذه الحكمة تدعو الى ان يكف الانسان عن المهاترات الكلامية والمجادلة ومحاولة التغلب والتسلط في المواقف لان ذلك يفتح مجالا واسعا للنيل من الكرامة، ويعطي مادة حديث للمتحدثين ليفتشوا في خبايا صدورهم ليجدوا ما يشين أو يعيب أو ما فيه منقصة ولو بحسب تضخم عنوان الشخص فعلاً فينشروا ذلك ويفشوه جزاء لمجادلته وتغلبه وتفوقه، ويكون المبرر الوحيد لَمنْ ينشر ذلك ويحاول الحط من منزلة المجادل اجتماعياً إنما هو الثأر لنفسه والرد لاعتباره والتغطية لفشله و.. و...

وان هذه الحكمة ينفعنا الالتزام بها في سائر مراحل الحياة حتى في المناقشات العلمية التي يفترض فيها الوصول الى الحقيقة فانها لا تخلو من علوق بعض الضغائن في الصدور، ونشوء المشاحنات فيتربص البعض بالبعض الاخر الحالات المناسبة للتهوين والاستهانة، فمن اللازم الابتعاد عن الجدال والنزاع لئلا تنتج نتائجهما فتتكون بذرة الاختلاف والحسد والحقد بما يغيّر مسار الامور ويحولها عن منعطفها الصحيح.

---

(١) ضنَّ بالضاد لا بالظاء: أي بخل.

(٢) العِرْض: ما يصونه الانسان من نفسه أو سلفه أو مَنْ يلزمه أمره أو موضع المدح والذم منه. المنجد مادة (عَرَضَ) ص٤٩٧.

(٣) أي الجدال والنزاع.

١٧٨–قال عليه السلام :

مَنْ ضيّعه الأقرب اُتيح له الأبعد .

تطمينٌ للقلوب المنكسرة من جـرّاء تجاهل الاقـارب وعـدم مبـالاتهم وعدم تقديرهم بما يبني حاجزا نفسيا بين الاقارب يصعب تفتيته والتخلص منه بعد ذلك.

ولذا فالامام عليه السلام يدعو لان لا يعول الانسان كثيرا على بعض الناس الذين يتوقع منهم المساعدة بمختلف اشكالها لان الله تعالى كفيل بان يحقق له امانيه ويبلّغه آماله من دون ما منّة أو مشاكل جانبية.

فاللازم التوكل على الله تعالى والاعتماد على النفس وعدم الاتكال على الاقارب لان ذلك مما يضعف بنية الانسان الاجتماعية فلا ينمو ولا يتقدم في علاقاته ولا يعرف كيفية الخوض في غمار الحياة ولذا كان يتوقع العون ومدّ يد المساعدة من الاقارب، فلو لم يكونوا بمستوى الامل والطموح فلا يضيع بل يهيأ له خالقه الجليل سبحانه مَنْ يقدّم لـه العون ويهيء لـه الاسباب لتحقيق الاهداف من دون ما يصاحبها ما يكون عادة بين الاقارب...

والقريب لا يختص بالرحم النسبي بل كل مَنْ يتوقع منه الانسان النجدة والمعاونة، وكذلك البعيد كل مَنْ لم يتوقعها منه الانسان.

فالدعوة اذن الى عدم الابتئاس وعدم التشاؤم وعدم الاكتراث حين لا يتحفز الاقارب لمساعدة اقاربهم فان الله تعالى يبعث الهمة في نفوس الأباعد فيساعدون في ذلك.ومن المؤكد فإنّ الانسان يهمّه كثيرا انجاز مطلبه وها هو قد انجز وباقصر الطرق من دون متاعب نسبياً فلا داعي اذن للاسف والتلاوم والعتاب... واحسب ان الغالبية العظمى قد تحققت من ذلك الوعد في الحكمة بانفسهم فما من احد منهم إلاّ وقد تعرض لموقف حرج فيجد استجابة البعيد وتخلي القريب .

وإنّ الأخذ بهذه الحكمة وتصديق الإمام (ع) في ضمانه الذي اعطاه لما يخفف من حدّة التوتر والخلافات على صعيد العائلة، الأسرة، المجتمع... لأنه لا يبقىْ أحدٌ ينتظر المساعدة والمعاونة من خصوص القريب بل يعتمد على مسبّب الأسباب تعالى فيهيء له مَنْ يساعده ويعاونه ولو كان بعيداً، فلا يكون مكروباً لو تقاعس عن عونه أقرباؤه بل يتقبّل الأمر على أساس ان ذلك خيرٌ حُرِمَ منه القريب ووُفِقَ له البعيد فيحمد الله على تيسير الأمور.

وأما التغاضي عن هذه الحكمة فانهسبب كافٍ لنشوب الحزازات والتقاعس عن المساهمة في مشاكل الآخرين على أساس المقابلة بالمِثل وهذا ما يكدّر العلاقات الاجتماعية ويجعلها مهلهلة لا تخضع لقانون (العمل تقرباً لله تعالى) الذي يؤجر عليه الإنسان كثيراً.

١٧٩-قال (عليه السلام) :

مَنْ ظَنَّ بك خيراً فصدِّق ظنه.

كثيرا ما يقصد الانسانُ انساناً أخر لانجاز مهمة ولكن لا يجد التلقي المناسب، أو يُجَابَه بالرد غير المناسب أو العنيف احياناً فيرجع منكسراً، خائباً، متألماً، يشعر بمضاضة الفشل والخيبة فيترك ذلك انطباعاً سيئاً في نفسه عن ذلك الرادّ فقد يقوم بدوره ايضاً برّد قاصديه وطالبي مساعدته وبذلك تتضخم الحالة وتنتشر فلا يسعنا حلها إلاّ بعد عناء وجهد.

ومن السلبيات ان يكثر خصوم الرادّ والحاقدون عليه والمناوؤن له فقد لا يجد مَنْ يسعفه عند الحاجة وقد لا يجد مَنْ يهتم بوجوده فيزداد غيظا وحنقا.

وفي كل هذه السلبيات مضاعفات سيئة لا يمكن التغاضي عنها فكان من وسائل العلاج هذه الحكمة التي تدعو الجميع الى التعاون السلمي والتعاضد في سبيل حل المشاكل أو المساعدة في ذلك بقدر الامكان .

وتحث على ان تكون لغة الخطاب والحوار لغة اشاعة الخير، وتكثير منافذه على الحياة، ونشر سبله لدى الآخرين، وعدم الاقتصار على النفس، وعدم الحرص على الانانيات المقيتة، وكان من ذلك الحث انّ مَنْ قصدك لانجاز مهمة وتذليل الصعوبات امامه فلا تخيّب سعيه ولا ترد حاجته ولا ترجعه بالخيبة والانكسار.

كل ذلك حسب الامكان وما يسمح به التكليف الشرعي بمعنى ان لا يتجاوز التعليمات الشرعية النافذة في حق القاصد والمقصود، صاحب الحاجة وقاضيها، لئلا تكون الحسنة سيئة اذ لا يطاع الله تعالى من حيث يعصى.

ومن المؤكد ان لهذه الحكمة مفعولها القوي السريع لو اخذنا بها لانها تقلّل من امكانية حدوث الخصومات والعداوات والاحقاد والاضغان وما الى ذلك مما يبّعد المسافة بين الاخوان المؤمنين وبين افراد المجتمع الواحد الذي يجمعهم الكثير الكثير مما يفرقهم وهو الانسانية والعقيدة والمشاعر والحاجة المتبادلة والتعارفات الاجتماعية الاخرى التي ترسّخ التعارف في النفوس.

١٨٠–قال عليه السلام:

مَنْ عَظَّمَ صغارَ المصائبِ ابتلاه الله بكبارها.

منْ الشائع –المزعج– انتشار حالة التسخط والشكوى من اقل ما يُلِمْ بالانسان ويصادفه في حياته من مصائب في النفوس أو الأولاد أو الاموال او... فلا يصبر ولا يرضى بل يعترض ويجاهر بذلك وقد يعاونه ويؤازره على ذلك اهله وذووه أو بعض المتزلفين الذين لا يعرفون شيئاً في الحياة سوى العيش في الهامش من دون ما تفكير في العواقب، ووعي لما يحدث، بل لا بُدَّ من دراسة الامر جيداً ليكون الرأي مطابقا للحقيقة المعاشة لا مجرد تسجيل موقف مرتجل يستتبع المؤاخذة والمساءلة الاخروية.

وهذا الشيء شائع مما يسبب الكثير الكثير من حالات ديمومة البلاء واحاطة الاخرين به اذ لم يحاولوا الحدّ منه والتقليل من حدوثه وتكرره، حتى لو كان من اسباب عدم الحد وعدم التقليل هو الخوف من تسلط الألسنة الحادّة أو

تشوب العداوات الشخصية، وعليه فتتفشى الظاهرة حتى تكون امراً شائعاً فلا يستغرب اصلا. فمثلا ان اصيب الانسان بفقد عزيز أو خسارة مال أو منصب أو جاه أو ما الى ذلك فانه يتكلم بما يشاء وبما يحلو له وقد يتمرد على الاحكام الشرعية فيترك الصلاة أو الصوم أو الحجاب أو طاعة الوالدين أو الزوج أو.. أو... أو يرتكب محرما قولياً أو فعلياً بما يعني اهتزاز قاعدته الايمانية في نفسه وعدم رسوخها في الداخل ولذا لم يضبط اعصابه ولا عواطفه، وهذا مما يسبب الكثير من الآفات الاجتماعية فلأجل بيان ما ينجم عن ذلك وما يؤثره على الفرد والمجتمع كانت هذه الحكمة المؤكدة بأنَّ مَنْ لم يصبر على اختبارات الخالق تعالى البسيطة الهينة -بحسب تقادير البشر- فسوف يبتلى بما هو أشد.

فاللازم الصبر و التسليم لقضاء الله تعالى والرضا بذلك وعدم الجزع والتسخط والضجر لان ذلك يستجلب المزيد من المصائب، وهذا امر طبيعي فان لم يقبل بالقليل جُرِّبَ معه الكثير ليتحسس اثر القليل .

فالدعوة الى عدم تهويل الامور النازلة بالانسان مهما كانت بل المعايشة معها على اساس الواقع والحقيقة المعاشة لان المبالغة والتضخيم لا ينفعان بشيء اطلاقا بل مما يؤججان كوامن الصدور فتنفلت كلمات وتتكشف تصرفات ما كانت محسوبة له نفسه أو للآخرين فيخسر بعض المواقف والرصيد الاجتماعي -حتما-، مضافا الى ان تلك المواجهة الحادة مع الابتلاءات التي تعني حالة الامتحان والاختبار واستكشاف المخبو والمستور مما يتحتم في احيان كثيرة اظهاره وكشفه لمصلحة العبد ذاته أو بقية العباد -ان تلك المواجهة الحادة...- تعني عدم التسليم لقضاء الله، والاعتراض على حكمه وهذا بحدِّه ذنب يُعاقب عليه احياناً لو استحكم وداوم عليه الانسان بالنار المؤبدة. وهذه الدعوة عامة لكافة الاجناس والفئات والمستويات فلا تخص الرجال الكبار أو ذوي الثقافة والدين أو.. أو... مما يتعلل به احيانا كثيرة وتبرر به تلك التصرفات الحمقاء غير المدروسة التي سرعان ما يشعر نفس الانسان بعدم جدواها فيتراجع عنها بهذه التعللات العليلة.

١٨١–قال عليه السلام :

مَنْ قضى حق مَنْ لا يقضي حقه فقد عَبَدَه.

ينساق البعض وراء العاطفة والانفعالات النفسية الضاغطة الناجمة عن حالة نفسية معينة فيتصرف تصرفاً معيّناً ويستمر على ذلك اتجاه شخص معين ولكن من دون ما مقابل أو تبادل في المواقف .

وهذا مما نصادفه في حياتنا العملية أو نمتحن به فعلا فكانت هذه الحكمة تضيء الدرب وتكشف الحقيقة ليتضح السلوك المناسب وكيفية التعامل الصحيح.

فالامام عليه السلام يدعو الى التوازن وعدم الابتذال الى حد عدم عرفان الطرف الاخر وعدم تقديره فيسخّر طاقات غيره لخدمته من دون ما تبادل ومعاونة في بعض المواقف التي ينبغي فيها تقديم المعونة والقيام ببعض الادوار المعيّنة ، لأن لا أحد يملك أحداً إلاّ الله فانه الذي يجب على الجميع اداء حقوقه وامتثال اوامره والانزجار والابتعاد عن نواهيه شكراً لافضاله وانعامه فلا يتوقع المقابلة المثلية ومع ذلك فهو عزوجل يعلمنا درساً بقوله عز من قائل ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير﴾[1] لئلا تضيع الحقوق، وتُستغل الجهود.

وفي الحقيقة العلمية تعتبر هذه الحكمة من قوانين الحرية ونبذ العبودية والاستعمار والتسلط واستغلال الايدي والعقول لحساب فئة أو شخص لان ذلك يعني التسلّط والسيادة للفئة أو الشخص، كما يعني الذل والعبودية المملوكية لمن يقدّم الخدمات... وهذا ما لا يقبل بحال في حق بني الانسانية لان جهود الانسان الفكرية والعضلية لا يستحق ان تبذل إلاّ لخالقها أو مَنْ يسير

(١) سوره البقره آيه (٢٣٧).

وفق شرعه تعالى ومَنْ عداه فهو الاستبداد والظلم والتجافي عن الانصاف والعدل والمروة ومعاني سمو الذات .

فلا بُدَّ من ان يتدبر الانسان عندما يقدِّم الخدمات ليعرف موقعها ومجالات الاستخدام لئلا يُستعبد من حيث لا يدري.

١٨٢–قال (عليه السلام) :

مَنْ كتم سرّه كانت الخِيَرة[١] بيده.

ان من المشاكل لكثير من افراد المجتمع: مشكلة التسرع في إبداء كل شيء، والتفصيل عن الخصوصيات الخاصة له أو لغيره ثم تتحول الموجة وتتبدل الطريقة في التعامل فيندم على ذلك، ولا يمكنه التغيير أو سحب المعلومات المأخوذة منه مع انها قد تكون مصدر قلق أو ادانة أو تلويث سمعة أو خسارة مادية أو معنوية أو...

فالدعوة الى ان لا يتسرع الانسان في افشاء المعلومات الخاصة والا فَقَدَ السيطرة على تصرفاته الشخصية وخصوصياته الخاصة وهو ما يعني تسيير الآخرين له وصيرورته ألعوبة ودُمية يحرّكها الغير بما يؤشر عن ضعف الشخصية وفقدان الموقع المؤهل للتحكّم والتوجيه[٢] .

وان هذه الحكمة تذكّرنا بما دلّت على حفظ اللسان والسيطرة على الكلام وعدم الانسياق وراء العاطفة أو سائر المؤثرات الاخرى التي تتغلب احيانا فيتحدث الانسان بما شاء من دون ما محاسبة وسيطرة. فيتعرض بالتالي

---

(١) الخِيْرَة والخِيَرة بمعنى الاختيار والأنتقاء.

(٢) وفوق هذا وذاك فاذاعة اسرار الناس وافشاؤها امر مذموم لا يقوم به عاقل يحترم عقله ونفسه، بل يتهزء المغرضون ذوو النوايا السيئة. فلابد من الابتعاد عن ذلك وحفظ كرامة الآخرين ليتضمن موقعا لديهم ايضا يحتاجه الى يوم مّا .

الى فَقْدِ السيطرة تماما فتهتز شخصيته الاجتماعية وربما يصل الامر -احيانا- الى فَقْدِ الشخصية القانونية ايضا لانه عندما يتعود على تسيير الاخرين له من خلال فَقْدِ موقع الاختيار والرد والقبول في موقعهما الخاص فانه يتحلل تدريجياً من التزامات اسوياء الناس وهكذا حتى يؤل امره الى ما لا يرغب فيه احد...

١٨٣-قال عليه السلام :

من كفارات الذنوب العظام: اغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب.

من القضايا التي تمر عادة بكل احد مهما كان مستواه الاجتماعي، الثقافي، المادي... هو تعرّضه للضيق وفقدانه السيطرة على بعض الحالات الخاصة به حتى انه يكون محتاجا لمن ينقذه ولو بطرح الحل أو المساعدة الممكنة لكونه متلهفاً لذلك ومضغوطاً عليه في حالةٍ حرجة تحتِّم عليه القبول بالوضع الراهن وإلاّ لعَايَشَ الاسوأ من البدائل والاحرج من المواقف فيكون مضنوكاً محصوراً حزيناً يستغيث بكل أحد ويطلب المعونة من أيٍ كان، وهذا موقف مما يتعرض لمواجهته الكثير فيمكنه ان يجرّب نفسه ونبلها ومدى حدود الخير فيها ومدى استعداده لتقديم ذلك والمساهمة في انقاذ ملهوف واغاثته بما ينفّس عنه كربته ومحنته.

لتأمين ذلك الموقف الانساني النبيل كانت هذه الحكمة قد اعطت ضماناً بان اغاثة الملهوف واعانته ونصرته مع ما هو فيه من الورطة والمأزق الحرج كفيل بتكفير ومحو الذنوب العظيمة التي يرجو الانسان المذنب لها الرحمة والمغفرة من الله تعالى.

اذن فالدعوة الى ان يعيش كلٌ منا اخوّته وانسانيته مع الاخرين من خلال تقديم المعونة والانقاذ من الموقف الصعب والمساهمة في حل المشكلة أو

تطويقها قدر الامكان بما يحقق معنى الاغاثة، والاعانة، والنصرة، والتنفيس عن المتورط، الملهوف، المكروب، لتكون النتيجة في صالح الجميع فلا يتخلى احد عن احد ولا يتنصل من تقديم ما يمكنه من معونة على اساس عدم التدخل فيما لا يعني، لان الضمان المقدَّم يدفع بكل احد للمساهمه كيما يأخذ دوره المناسب ليفوز بمحو الذنوب، ومَنْ منّا لا يحتاج الى ضمانة اكيدة كهذه وقد صدرت من عبد الله واخي رسول الله وامام المتقين والمغيثين والمساعدين لمَنْ استجار به واستعان بما لديه من مؤهلات للشفاعة والتفريج.

والاغاثة والاعانة والتنفيس قد تأخذ شكل تقديم النصح والمشورة أو تأخذ شكل العون المادي أو المعنوي أو الحماية أو الوساطة أو.. أو... بما يحقق هذا الموقف النبيل الذي يؤكد أواصر الارتباط في المجتمع الواحد الذي ينمو ويترعرع عليها ليكون مجتمعاً آمناً من الدخائل والضغائن والاحقاد والحسابات القديمة قدر الامكان.

١٨٤–قال (عليه السلام) :

منْ كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته.

تحذير من اتباع الهوى الشخصي وما يفرضه على صاحبه من مواقف مرتجلة غير مدروسة قد تصل احياناً الى الحط من قدره الانساني، الاجتماعي...، وقد استعمل عليه السلام هذا الاسلوب الوعظي للتأثير على موقعٍ حساس في النفوس وهو مسألة الكرامة والأنفة والحمية والاعتزاز بالشخصية وما الى ذلك مما يدور في دائرة تكريم النفس واحترامها وعدم بذلها في مواقع ذليله، ليكون من المضمون الاكيد الابتعاد عن سبيل الشهوة التي تتحرك عشوائياً فتُأجج في الانسان مشاعر وخواطر تدفعه للقيام بعملٍ معين يعود عليه بالانتقاص لو شاع بين الآخرين فمثلاً لو اتبع الانسان شهوته

وغريزته ورغبته في الاكل أو الشرب أو الممارسة الجنسية أو الملابس التي يفاخر بها أو المركب الذي يتميز به عن غيره فانه يتعرض لانتقاد لاذع واستغراب وربما استهانة فينعكس سلبياً على منزلته في القلوب وعلى مدى الاستجابة له أو التأثير عندما يتحرك بينهم كفردٍ له وزنه ومستواه الخاص .

اما اذا حاول تذليل النفس وقوْدها لتكون طيّعة مطيعة للعقل والشرع فلا يتورط في مشاكل مع الناس ولا يفقد موقعه أو يخسر منزلته المعينة بينهم.

فالدعوة الى الابتعاد عن سبيل الغريزة والشهوة وما يكون منشأه العاطفة التي لا تتفق مع العقل في اكثر من موقع لأن ذلك يؤثر قوياً على توازن شخصية الانسان في المجتمع.

والملتزم بهذه الحكمة يكون قد عوّد نفسه على طاعة الله تعالى والتزام اوامره واتباعها والابتعاد عن نواهيه وزواجره، وكفى بذلك ربحاً يستحق التضحية والبذل لاجله.

١٨٥ـ قال عليه السلام :

منْ كساه الحياءُ ثوبه لم ير الناس عيبه.

اذا تعود الانسان ان يترك بعض المباحات تعففاً ولئلا يُلام ويُؤنب فانه يكون قد حافظ على نفسه وصانها من ان يطّلع على عيوبها احد لأن الانسان يقع تحت طائلة حالةِ ضعفٍ معين فيتصرف وفق ما تمليه عليه نفسه وعاطفته بمعزلٍ عن عقله وتوجيه الشرع بل يحاول ان يبرر كل ذلك على اساس معقول مشروع، وتكون النتيجة الاطلاع عليها ورؤيته وهو تحت التأثير الخاص الذي غيّر من صورته المتوازنة المحفوظة في النفوس.

فالدعوة الى الحياء وعدم المواجهة الحادة مما يعني عدم المبالاة، والصلف والوقاحة وسوء التدبير مع الآخرين والا فيكتشف الناسُ العيوبَ وهي ما كان

يحرص على سترها أو انكارها اصلا فهو تحذير -من ممارسة الذنوب- بصورة محببة لكل احد اذ لا يوجد -غالبا- مَنْ يرغب بكشف اسراره في الجسم أو الاخلاق أو الحياة العائلية أو الاجتماعية الاخرى...

وإذا أمّنّا جانب الحياء نكون قد احرزنا جانبا مهما يحفظ الناس ويهيء لهم حياة كريمة بدون مشاكل ومزالق وخصومات...

١٨٦-قال (عليه السلام):

مَنْ لم ينجه الصبر اهلكه الجزع.

الدعوة الى الصبر والتسليم لله تعالى والتعامل مع الامر الواقع بدون اعتراض وتسخّط لأن ذلك كفيل لوحده بالقضاء التدريجي على الانسان بينما تكون في الصبر مداواة الجراح والتخفيف من حدّتها وضراوة آلامها النفسية التي لا تنفع في تهدءتها كافة وسائل العلاج النفسية والسريرية والعلاجية الاخرى إلاّ الصبر والمعايشة مع الواقع من دون ماتذكرٍ للماضي ، ومن دون ما لومٍ وندم «لماذا» ولأي سبب و... مما يردده المتورّط والمصاب في بدنه أو ولده أو ماله أو...

فمن لم يرضَ بالصبر علاجاً فليتيقن بان عكسه «الجزع والتسخّط والتألم والاعتراض على ما حصل» كفيلٌ بالإجهاز على البقية الباقية من المقاومة والمصابرة.

اذن فالصبر أولى وأحجى وأنفع لانه يضمن بقاء الانسان وهو ما يسعى ويطمح اليه.

ومن امثال هذه الحكمة نتعلم درساً تربوياً في تعبئة النصيحة بمختلف العبوات المناسبة والحالة المعروضة لنضمن تقديم العلاج النافع في وقت الضرورة

اذ من المعلوم وجود شرائح لا تهزهم الشواهد ولا تنفع معهم المواعظ... فلا بُدَّ من توصيل الحكمة النافعة بمختلف الاساليب.

١٨٧–قال عليه السلام :

مَنْ نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلمُ نفسه ومؤدبُها أحقُ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

ان هذه الحكمة تتضمن ثلاثة أمور تربوية هامة تتكفل بتوضيح أبعاد مسيرة الحياة في كافة جوانبها ومستوياتها، لأن الناس مختلفون في اغراضهم واهدافهم وطموحاتهم بما يعقّد الحالة ويضيّع مفتاح الحل فمن المناسب في مثل هذه الحالة اعطاء الحلول الصحيحة لإنقاذهم من مشاكل يتعرضون لها حتماً وفقاً لاختلاف اهوائهم وطبائعهم .

الامر الاول: ان يطبّق الانسان المرشد مايقوله، فلا يكتفي بترتيل النصائح من دون ان تنعكس آثارها عليه، فاذا أدّب نفسه أمكنه بسهولة تأديب غيره وترويضهم وحثهم على اتباع ما يقول، وأما اذا لم يطبّق ذلك بنفسه لما أمكنه دعوة غيره لأنه الأولى بالتطبيق وذلك لأنه قد تبنى الدعوة اليه فلا بُدَّ أن يكون صحيحاً وإيجابياً وإلاّ لما دعى اليه.

الامر الثاني: ان يكون الانسان عمليا فيما ينظّر من تعاليم وما يطرحه من آراء جادة لخدمة الانسانية ليكون الاقتداء به،والفهم لجدوى ما يطرح من موقع التنفيذ والتجربة الناجحة لا بمجرد نظريات لها نصيب من الاصابة كما هو الحال من الخطأ، فتكون الاستجابة أوفر نصيباً من الرفض.

الامر الثالث: وهو مهم جداً للأخذ بالاولين: ان مَنْ يسيطر على نفسه فيروضها وفق ما يقوله ولا يجعلها بمعزلٍ عن كل ذلك، ولا يضعها في

حصانة خاصة، ولا يهملها تعمل ماتشاء، بل يتابع نفسه بنفسه يكون قد تمكن من انجاز شيء عظيم يستحق الاجلال والاكبار والتقديروالتوقير اكثر من غيره ممن يدعو غيرَه الى شيءٍ وينسىٰ نفسَه،فيصرف جهوده مع الآخرين ولا يصرف بعض ذلك مع نفسه ليعوّدها على محاسن الأخلاق ومكارمها.

فالدعوة الى ان لا يتصدر احدٌ الناسَ إلاّ اذا تمت فيه المواصفات التي تجعله لائقاً بالقيادة والزعامة وإلاّ فيُحْكَم عليه سلفاً بالفشل وعدم النجاح.

وايضا الدعوة الى ان لا يغتر احد بشخصيةٍ معينة من خلال حديث وتصرف بل لا بُدَّ ان يطابق بين ما يقوله للآخرين وما يفعله هو فان كان متوازياً متساوياً عرف صدقه وامانته والا فيحكم عليه بالكذب وعدم المصداقية والواقعية لأن هذا الشيء الذي يدعو الناس اليه ان كان حقاً فلماذا لا يطبقه هو وان لم يكن كذلك فلماذا يورِّط به غيره...

١٨٨–قال (عليه السلام):

مَنْ وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ منْ اساء به الظن.

قد يعيش البعض حالة فراغ فيتصرف تصرفات غير محسوبة العواقب، ومن ذلك ان ينطق بكلام له تفسيره السيء أو المسيء للمتكلم لبعض الظروف الخاصة فيكون الناطق قد حشر نفسه في زاوية الاتهام فيبدأ الاخرون من حواليه بالتعامل معه على اساس الارتياب والشك أو الحذر والتهمه انطلاقاً مما سمعوه منه، فقد تتطور الحالة فتصل الى فرض المقاطعة التامة والعزلة عن الاخرين.

ومن ذلك ايضاً ان يتصرف تصرفاً معيّناً كالنظر أو الوقوف أو الجلوس أو الحركات البدنية أو الاشارات أو بمجرد البقاء في حالةٍ معينة أو مكانٍ خاص...

بما يثير الشكوك من حواليه ويجعله محلاً لسوء الظن به فيكون التعامل معه بما يتناسب وما صدر منه من تصرف ولو كان عن قصدٍ غير مشبوه وبريء ونزيه. فيتقابل طبعاً بالرفض والتشهير وقد يصل الامر الى المقاطعة والنبذ اجتماعياً.

فللتصرفات والاقوال لغتها الخاصة التي تصل الى اذهان الناس بسرعة فائقة بحيث لا يجد الانسان معها فرصة الدفاع وتصحيح المفهوم وتجلية الصورة، فلا بُدَّ ان لا يكتفي الانسان فيما يقول أو يفعل لمجرد حسن النية وبراءة القصد بل لا بُدَّ من حساب النتائج والتفكير بالعواقب لكل ذلك. فيكون عندها تصرفه أو قوله موزوناً الى حد كبير.

فالدعوة الى ان يبتعد الانسان عن كل ما يثير حوله الاسئلة ويجعله في موضع الاتهام والريبة لأن ذلك من وسائل تحطيم الشخصية بشكل ذاتي، وبعيد عن المناوئين والخصوم، ويؤدي ذلك ايضا الى ضعف صف المجتمع الواحد المتماسك بماسكة الانسانية والاسلام وما يعنيه من تفسير تصرفات الغير على الجانب الايجابي قدر الامكان، فان سوء التدبير والتصرف بشكل مريب مثير للشكوك فيهيء الجو لسوء الظن والتفسير بالمفهوم الخاطيء وغير الصحيح وكل ذلك نتيجة سوء تصرف فردي أدى الى زعزعة كيان المجتمع المتماسك اذن فليس الضرر بمقتصر على الفرد ذاته بل يعم مَنْ حواليه ويتعدى فيكون حالة سلبية بين عموم الافراد.

١٨٩-قال (عليه السلام) :

مَنْ يُعْطِ باليد القصيرة يُعْطَ باليد الطويلة.

ان من القضايا التي تدور مع الانسان في كافة مواقعه الحياتية هو الحساب المصلحي والتفكير بمقدار العوائد والمنافع من وراء ما يبذله من جاه، مال، جهود اخرى بحيث يحسب خطواته ويبرمج وضعه الحياتي وفق ذلك الحساب ومن اهم ما يبذله الانسان ويحرص على التأكد من ضمانه لصالحه هو انفاق المال وتوزيعه، مع ان الفرد المسلم يواجه عدداً من التوصيات الدينية والاخلاقية بالدفع للمعوزين، والسخاء في الانفاق على النفس والعيال وسماحة النفس والجود، ودفع الحقوق الشرعية التي تساهم في دعم المحتاجين، مما يجعل الانسان بين حالتين يصعب التقريب بينهما الحالة الطبيعية، والحالة المطلوبة وقد تتغلب -احياناً كثيرة- الحالة الطبيعية كما قد تتغلب الحالة المطلوبة اذا كان الانسان منطلقا من قناعة راسخة بجدوى الامتثال واهميته في حياته الدنيا أو الاخرى.

فكانت هذه الحكمة من بعض ما ورد للحث على تغليب الحالة المطلوبة لأن الامتثال وتحقيق المطلوب يضمنان راحة نفسية في مواقف عديدة دنيوية واخروية فينجح الانسان في التقريب بل ويتفوق احيانا على اخرين ممن ابتعدوا عن الخط الصحيح وممن الهتهم المغريات فانصرفوا اليها ولم يؤمنوا بالغيبيات والوعود الاكيدة التنجيز في موعدها المقرر.

فلأجل ان لا تفوت الفرصة كانت هذه الحكمة من وسائل الاقناع المطروحة للتشجيع على العطاء ولو على اساسٍ مصلحي، نفعي، باعتبار الموازنة بين ما يصرف، وما يرد ويأتي، الذي كان التعبير عنهما باليد وما تعنيه من عطاء وبذل، ووصفها مرة بالقصيرة بما يعني التقنين والصرف بمقدار، ووصفها مرة أخرى بالطويلة بما يعني العطاء غير المحدود الواسع المغني الممدود غير

المحدود، ومن الطبيعي أن تمثل اليد القصيرة يد العبد المرزوق، بينما اليد الطويلة بما تعنيه من سعة وطَول هي رزق الله تعالى لعباده بما لا حد له بل متروك لتقديره عز وجلّ وفق المصالح والحِكَمْ التي لا يدركها العباد.

ومن المؤكد ان المسلمين لو التزموا بمضمون هذه الحكمة فلا يمكن ان تؤثر على احد منهم ومن غيرهم ضائقة مادية أو ازمة اقتصادية مهما كان حجمها لأن الايادي المساندة تدعم باستمرار من كلٍ حسب طاقته. وعندها يقوم بناء المجتمع كأحسن ما يكون. ولكن البعض منهم انصرفوا عن ذلك وظنوا ان الدفع والاعطاء لا يتجاوز المتنفعين أو الوسطاء في الايصال فلذا ضاقت صدورهم وشحّت نفوسهم فلم تطب بدفع حق ولم تسمح بايصاله الى مستحقيه فكانت النتيجة ليست بصالحه ولا بصالح المحتاجين، فكَثُرَ الفقراء وَقلّتْ بركة ما يدخل الاغنياء من اموال ابرز ما تتصف به انها عديمة البركة أو غير موفقة...

﴿حرف النون﴾

١٩٠–قال (عليه السلام) :

الناس اعداء ما جهلوا.

الدعوة لأن يتحلى اهل العلم في كافة حقول المعرفة وبمختلف اشكالها، بالعفو والتعامل الحسن عندما يتعرّضون لبعض المواقف الحساسة من سائر الناس ممن لم يُرزقوا نعمة العلم أو لم يدركوا نصيبهم من الاخلاق الفاضلة التي يتحلى بها الاسوياء من الناس.

فقد تمس بعضُ التصرفات كرامةَ العالِم أو تقلّل من شأنه الاجتماعي أو تساعد على تهوين قدره أو... بما يثير مشاعر الانسان عموما فضلاً عن العالم الذي يشعر بهضم حقه وعدم اعطائه الدور المناسب له فلو تُرِكَ كلٌّ من العالم وذاك المتجاوز على هواه وما تمليه عليه مشاعره الجيّاشة لكان ماكان مما لا تحمد عاقبته فكان لا بُدَّ من تهدئة الحال بما يعطي تفسيراً واقعياً للحالة، لأن الانسان يحمل فيما يحمله من مشاعر ايجابية أو سلبية، ويتصف بما يتصف به من صفات حميدة أو ذميمة بشعور التغاير ، وصفة ضيق النفس ممن يتفوق في مجال معين ، وهذا امر طبيعي لكل احد غاية الامر ان المخلِص لنفسه قبل غيره يسد ذلك الشعور ويعالج تلك الصفة بالمثابرة والمواصلة حتى يصل الى ما وصل اليه غيره، بينما يقوم غيرُ المخلِص الذي لم تسلَم ذاتُه ببعض الاعمال التي تهوّن من قدر العالِم وتقلّل من اهمية العلم على اساس استعراض القدرات المالية، البدنية، النفوذ والسيطرة أو غير ذلك ليعوّض خلوه مما ازدان به غيره . ولكنه وللاسف لا يحصل تعويض لأن من خسر العلم خسر اهم شيء بل واشرف شيء لأن العلم من صفات الله تعالى وقد ورد الترغيب اليه والتنويه بفضل

حامله في الكتاب العزيز[١] والسنة[٢] النبوية الشريفة مضافاً الى قيام دليل العقل بطريقة الحصر والسبر المنطقي بما يسلّط الاضواء على الاتّجاه اليه والتكريم لأهله وتحبيبه.

وقد كان اسلوب المعالجة في هذه الحكمة حكيم ومقبول جداً لأنه يصلح كقاعدة عامة يؤمن ويصدّق بها الجميع لأن من كان عاطلاً عن شيء من الكمالات تتولد لديه عقدة النقص من ذلك فيسمح لنفسه بممارسة كافة ما ينفّس عنه ويتيح له الفرصة بما يخفف عن نفسه، ولإجل أن لا تحول هذه التصرفات السلبية في تحديد مسيرة أهل العلم ولئلا يستغربوا للأمر كانت هذه

---

(١) كما ورد في قوله تعالى ﴿وليعلم الذين اُوتوا العلمَ أنّهُ الحقُ من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإنّ الله لهادِ الذين آمنوا الى صراط مستقيم﴾ الحج(٥٤)، وقوله تعالى ﴿ويرى الذين اُوتوا العلم الذي اُنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد﴾ سبأ(٦)، وقوله تعالى ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربُّك الاكرم الذي علمَ بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم﴾ العلق(١ ـ ٥) وغيرها. وقد ورد في فضل العلماء قوله تعالى ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما اُنزل اليك وما اُنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم أجراً عظيما﴾ النساء(١٦٢)، وقوله تعالى ﴿وتلك الامثال نضربُها للناس وما يعقلها الاّ العالمون﴾ العنكبوت(٤٣)، وقوله تعالى ﴿... قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اُلوا الالباب﴾ الزمر(٦٩) وغيرها.

(٢) كما روي عن رسول الله (ص) أنه قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إنّ الله يُحِبُّ بُغاة أي طلاب العلم) أصول الكافي ج١ (باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه) ح١. وعنه (ص) أيضاً أنه قال: (مَنْ سلكَ طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به، وأنه يستغفر لطالب العلم مَنْ في السماء ومَنْ في الارض حتى الحوت في البحر. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر. وأن العلماء ورثة الانبياء...) أصول الكافي ج١(باب ثواب العلم والمتعلم) ح١ ونحوه في سنن ابن ماجه ج١ ص٨١. وأيضاً روي عنه (ص) أنه قال: (مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُفقهه في الدين) سنن ابن ماجه ج١ ص٨٠ ط دار الفكر. وروي عنه (ص) انه قال: (فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد) سنن ابن ماجه ج١ ص٨١ ط دار الفكر.

الحكمة تبين أن الناس بحسب الطبيعة لا يرغبون فيما هم عاطلون عنه لأنه يكشف عن فراغ ونقص فيتأثرون من ذلك.

وبعد هذه الحكمة:على أهل العلم أن يواصلوا سيرهم العلمي والتعليمي مهما واجهوا من انتقاص أو محاولات أخرى لأن تلك المحاولات لا تحدِّد من حركتهم شيئاً بل هي شيء عادي ولا يعني تقرير هذه الحالة انها إيجابية بل علينا التعايش معها كأمر واقع وإلاّ فهي مرفوضة والإسلام يدعو للعلم والتعلم.

١٩١-قال (عليه السلام) :

نَفَسُ[١] المرء خُطاه[٢] الى أجله.

الدعوة الى ان يتذكر الانسان دائماً أنّ انفاسه وما يستنشقه من هواء وعملية الشهيق والزفير انما هي ممارسة للعد التنازلي في اتجاه الموت وما بعده القبر وما فيه من اهوال وحالات، وما بعده من حساب وجزاء حسب العمل بلا ظلم ولا حيف.

ولذا فعلى الانسان ان لا يفرح كثيراً بممارساته اليومية فانها محسوبة عليه ومعدودة من عمره فعليه باستثمارها وفق المربح والمفيد اخرويا ولا يفرط بفرصةِ خيرٍ مهما كانت قليلة الوقت لأنها تنفع بعد الموت في تحقيق الحساب وتثقيل الميزان بالحسنات.

ولعل المنظور في الحكمة معالجة حالة اجتماعية متداولة شائعة بين الناس من القديم وهي الاغترار بالمؤاتيات الوقتية من المال والصحة والاولاد

---

(١) النَفَسُ جمعه انفاس : نسيم الهواء، ريح يدخل ويخرج من فم الحي ذي الرئة وانفه حال التنفس. المنجد ص ٨٢٦، واقرب الموارد مج٢ مادة (نَفَس) .

(٢) الخطى جمع الخُطْوة: مابين القدمين عند المشي... المسافة. المنجد ص١٨٨ مادة (خطا).

والجاه وطلاقة اللسان وسائر القدرات البدنية التي يتفوق بها البعض على الاخر. وايضا حالة الاغترار بطول العمر والبقاء في الدنيا.

فلأجل التنبيه على ان العمر محدود والعمل محسوب مرصود فلا بُدَّ ان لا يغفل الانسان عن آخرته من خلال تفريطه وتضييعه لعمره في التوافه وصغار الامور البسيطة بل عليه ان يغتنم ذلك للتزود والتهيء للقاء الله تعالى والمسألة الدقيقة عن كل الاعمال يوم القيامة.

فكأن خطوات الانسان وما تعنيه من تحركات وسكنات الانسان وسائر التصرفات انما هي مقربة له نحو الاخرة، مبعدة له عن الدنيا وما فيها من لذائذ ومغريات ومطامع كانت تشدّه اليها وتربطه بها.

فالحقيقة الثابتة هي مفارقة الانسان لدنياه وما فيها ومَنْ فيها وتفرّده في القبر وحالة الحساب فلا بُدَّ له من الاستعداد لذلك جيّداً لئلا يتحير ويخذل من الداخل فيكون قد أعان على نفسه...ولا ينفع الندم.

﴿حرف الواو﴾

١٩٢–قال (عليه السلام) :

الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر باهل الغدر وفاء عند الله.

ان هذه الحكمة تتسم بطابع القانون والمنهج الذي يقوّم حياة الفرد ويصلح المجتمع فإنّ افرادَ المجتمع الواحد،فضلا عن المجتمعات المتعددة القومية واللغة والدين والعقيدة والتوجهات السياسية التنظيمية،مختلفةٌ متعددةٌ تجعل الاختلاف في الطبائع والضمائر أمراً مألوفاً طبيعياً مع انه أمر لا تقره الفطرة السليمة إنْ تجاوز الحد لأن الطبائع والضمائر البشرية تكاد تتفق أو تتوافق على شاكلةٍ واحدة وهي التي يعبر عنها بالفطرة السليمة الطيبة والانسانية وحب الخير الفطري ونحو هذه التسميات التي تؤدي مضمون فكرة واحدة وهي التعامل الايجابي من دون تكلّف أو تصنّع وانما يأتي منسجماً مع القناعة الشخصية بضرورة ذلك التعامل الطيب .

وأما خلاف ذلك فيعبَّر عنه باعوجاج السليقة، والفطرة غير المستقيمة، والانحراف عن الخط الصحيح ونحو هذه التسميات التي تؤدي مضمون فكرة واحدة وهي التعدي عن المرسوم الصحيح والتجاوز الى ما لا يقبله الطبع البشري المتأصل الذي خلقه الله تعالى في نفس كل فرد مهما كان توجهه ومكانه وموقعه في المجتمع.

ومن ذلك الغدر وهو أمر معروف تأباه الطبيعة البشرية السليمة لأنه يعني الخيانة وعدم الوفاء، ويعني التخلي عن المساندة والدعم، ويعني نقض العهد وعدم الاهتمام به بما يجعل شخصية الغادر مقيتةً منبوذةً اجتماعياً يتحاشاه الناس ويبتعدون عنه ولا يقيمون له وزناً بينهم وهذا يشبه ان يكون تطويقاً له ينفع في تحذير الاخرين ممن لم يكتشفوا فيه هذه الخصلة المذمومة، وقد يضطر البعض لممارسته احيانا كوسيلة دفاع وحماية بمعنى ان يقابل الغادر–الذي لا يهتم

بالمواثيق المعتمدة بينه وبين غيره-بنفس الطريقة ليجابَه بنفس السلاح الذي يستخدمه ضد الاخرين.

فالدعوة تحذِّر من أنْ يفي أحد لمن غَدَرَ ونَقَضَ العهد لأن ذلك تشجيع وانماء له وهو ما يتعارض مع التعاليم الشرعية التي تشجب الغدر وتعارضه وتعترض على ممارسيه اشد الاعتراض وتدعوهم الى الايفاء والالتزام فمَنْ يُصِرّ على الوفاء للغادر فهو مثله ازاء التعاليم والمواثيق الشرعية التي تقضي على الانسان الملتزم وتلزمه بأمور وقضايا معينة فمَنْ يخالف يكون غادرا غير وَفيٍ مع ربه وخالقه سبحانه.

كما تبين الحكمة ان الالتزام مع الذي لا يلتزم (الغادر) لا يشكّل حالة سلبية مطلقاً بل هو الوفاء بعينه اذ قد وفى لله تعالى بما اعطاه من ميثاق التدين بشرائعه وتعاليمه الشرعية وكان منها ذم الغدر وكل ما يتصل به.

فالحكمة تدعو الى ان يلتزم كلٌ موقعه المناسب في الحياة العملية لاجل تعميم الالتزام الشرعي والتدين بالاوامر والنواهي الشرعية ولو كان ذلك بصورة عدم الوفاء لمن لا يفي واستعمال نفس الاسلوب توصلا الى ما هو اهم بنظر الشارع الاقدس، وتحقيقاً للعدل.

١٩٣-قال عليه السلام:

الوِلايات(١) مضامير(٢) الرجال.

(١) جمع الولايه بالكسر: السلطان والإمارة. لاحظ مختار الصحاح ص٧٣٧ .

(٢) جمع المِضْمار: غاية الفرس في السباق، الفسحة الواسعة لسباق الخيل وترويضها. المنجد ص٤٥٥ مادة (ضمر). اقول: الملاحظ ان بعض مَنْ عُنِيَ بتفسير هذه المفردة في كلام الامام عليه السلام اقتصر على ذكر (المكان الذي تضمّر فيه الخيل للسباق) مع ان سياق الحكمة لا يظهر منه هذا المعنى المذكور فان التضمير هو بان يربط الفرس ويُكثّر ماؤه وعلفه حتى يسمن ثم يُقلّلان مدة ويُركَض في الميدان =

ان المنصب الذي يحتله الانسان -مهما كان- يكشف عن مقومات شخصيته ومدى تأثره بالتعاليم والمباديء القيّمة أو عدم اهتمامه بذلك أو عدم استيعابه لها اذ لم ينعكس ذلك على سيرته العملية.

فإنّ الانسان اذا كان له سلطان ونفوذ على شيء معين فسيساعد ذلك على ان يُقَيَّم وتكتشف خصاله الذاتية ومؤهلاته الشخصية سواء في ذلك ما يرفعه أو ما يهبط به الى مستوى وضيع، اذ يكون قد وضع للاختبار والتجربة ثم تعلن النتيجة بعد انتهاء مدة سلطانه ونفوذه.

فالدعوة الى ان يستغل مَنْ له نفوذ على شيء نفوذَهُ في صالح الاخرين وعدم التفريط بالامانة والثقة الممنوحة من خلال الترشيح للمنصب أو القبول باشغاله اياه.

وان لا تشغله همومه الوظيفية، المحلية، العائلية... عن القضايا التي تحتل مركز الصدارة والاهمية في قائمة المهام والمسؤوليات التي تناط بمن يشغل المنصب.

وان لا يستغل المنصب للحصول على المال، اشباع الغريزة، فرض الهيمنة، ابراز العضلات، التسلط على الضعفاء، التشفي من الاعداء والخصوم، تقديم الخدمات للاقارب والاحباب ومَنْ ينتفع منهم و.. و... مما لا يدخل ضمن نطاق الصالح العام للمجتمع والذي لا يحتكر ضمن دائرة معينة أو مستويات خاصة.

والولاية بهذا المعنى واسعة شاملة في معناها التعبيري لكل الفئات والمراكز والمناصب التي يتعرض لها الانسان صاحب السلطان فلا يختص الامر بأحدٍ ولا يقتصر على فئة بل يعم الجميع ويشمل الكل ليعيش الجميع ضمن

= فيهزل، ومدة التضمير عند العرب اربعون يوماً لاحظ المنجد ص٤٥٥ وغيره فهو بهذا المعنى غير مقصود له (ع) بل المقصود الزمان والمكان للسباق، فلاحظ.

حالة عدلٍ وانصافٍ ومساواة في الحقوق والواجبات والامتيازات لئلا تبدو هنا وهناك فراغات وفقاعات هيأ لها الجو المشبَّع بالاستبداد والتحكّم والسيطرة.

فالدعوة الى ان يُحْسِنَ صاحب المنصب استخدام سلطته واستعمال صلاحياته واستثمارها لخدمة المجتمع واصلاحه وتقويمه وتوجيهه والدفع به نحو الافضل ونحو التكامل لتظهر فائدة وجود الانسان على الارض، ولئلا يكون كسائر المخلوقات الاخرى التي لا تساوي الانسان في خلافته لله سبحانه على الارض.

﴿حرف الهاء﴾

١٩٤–قال الله :

هلك امرؤٌ لم يعرف قَدْرَه.

لا بد للانسان العاقل المتدين بدين الله تعالى وشرائعه المقدسة ان يتوازن في كافة افعاله واقواله وان لا ينسى انه محاسب مسئو ل عن كل ذلك.

فاذا لم يتوازن ولم يحاسب نفسه ولم يتّبع الخط المستقيم في ذلك وانجرف مع التيار وانحرف مع هواه ولم يعتدل ولم يستقم كما أُمر فانه يندم ويتمنى لو كان قد عرف قدر نفسه وجعلها في الوضع المناسب لكان ابعدها عن ذل المسائلة والمعاقبة، وجنّبها حالة الحرج والبعد عن ساحة رضوان الله تعالى وما اعده للمطيعين الذين لا يميلون مع الرياح العاصفة بل يتحركون بحساب شرعي.

وهذا الامر-اعني عدم معرفة الانسان قدر نفسه-يظهر في مجالات الحياة المختلفة وعند الافراد المختلفين فلا يقتصر على فئة دون اخرى بل هو بلية الغالبية فقد يتورط البعض بيده أو برجله أو بعينه أو بلسانه أو بسمعه أو بسائر

اعضاء بدنه بما يجعله مُداناً محاسباً يُطلب منه تقديم الاجابة والتفسير لقوله أو فعله.

فالدعوة الى ان يعرف الانسان انه مخلوق لله تعالى مملوك له فلا بُدَّ ان لا يخرج عن ذلك الحد ولا يتجاوزه و إلاّ لكان عاصيا متمردا فيستحق العقوبة الرادعة.

١٩٥–قال (عليه السلام):

هلك فيَّ رجلان: محب غالٍ(١)، ومبغض قالٍ(٢).

ان موضوع لزوم موالاة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) من القضايا الثابتة عند المسلمين فقد رووا(٣) في ذلك والحث عليه والحض نحوه روايات بشكل مكثف ومتواتر عن النبي الاعظم(ص) الذي لا ينطق عن الهوى ان هو إلاّ وحي يوحى،فيتّبع ما يوحىٰ اليه،فلا تحركه في مواقفه العاطفة،ولا تميل به الرحم والقرابة وانما هو الصادق فيما يبلّغ ويقول، الامين على الاحكام والانفس والاموال،فانه رسول الله وخاتم الانبياء صلى الله عليه واله وسلم.

وتتحقق الموالاة بالمتابعة والمحبة والسير على النهج وذات الخط وعدم الحياد عنه أو المناهضه له أو العمل ضده أو البراءة أو المخالفة في كافة مناحي الفكر والعمل.

ومن منطلق التسليم بذلك وفرضه كفرع من فروع الدين الاسلامي كانت هذه الحكمة تدعو الى عدم التفريط بالترك والإعراض، وعدم الافراط

---

(١) من الغلو غلا في الامر: جاوز فيه الحد. مختار الصحاح ص٤٨٠.

(٢) من القِلى والقَلاء وهو البغض. مختار الصحاح ص٥٥٠.

(٣) لمزيد الاطلاع يحسن مراجعه كتاب المراجعات والفصول المهمه للامام شرف الدين(قده) فانهما يعرضان الروايات خصوصاً من طريق العامة بشكل موثّق ومفصّل، كما يمكن مراجعة سائر المصادر في مبحث الإمامة.

بالمغالاة وتصور حالات اخرى لا تضيف اليه شيئاً بل تجعل معتقدُها خارجاً عن الملة والدين، وقد عبّرعليه السلام عمَنْ تَركَ واعَرضَ وعَانَدَ: بالمبغض القالي.

كما عبّر عن الموالي المفرط: بالمحب الغالي المتطرف المتجاوز الحد الصحيح، وفي الواقع ان المحب الغالي والمبغض القالي كلاهما قد ترك وتطرف وتجاوز الحد الصحيح فيهلك لأنه قد خالف الله ورسوله فيكون مصيره النار.

فالدعوة الى الابتعاد عن خط الموالاة والمغالاة بحيث يتجاوز الحد الطبيعي والمعقول لشخصية الامام (ع).

كما تدعو الى الابتعاد عن خط المعارضة والمقاطعة بشكل مستمر وعلى طول الخط، لأن كليهما يعنيان عدم التدين وعدم الواقعية في التعامل مع الاخرين وانما تحت تأثير المحبة المفرطة أو العصبية المقيتة فلا يكون ممتثلاً للاوامر الشرعيه فيهلك.

١٩٦–قال عليه السلام:

الهم نصف الهرم.

ان هذه الحكمة تختصر بكلماتها الثلاث جميع عبارات الشكوى والتألم كما تختزن وتختزل جميع عبارات المواساة ووسائل التسلية والتهدئة المعهودة، فانها تشخص العلة وتشير الى السبب وتحدد الحالة بما يعطي علاجاً يمكن اي احد الاستفادة منه بشرط الابتعاد عن الهم.

وللهم اسباب كثيرة تؤدي الى ان يضعف الانسان ويبلغ اقصى الكِبَر فيكون بلغ مرحلة الهرم بكل ما تعنيه من مؤشرات على العجز والشيخوخة وعوارض ذلك المرضية التي يتفاداها الانسان بشكل طبيعي تشبثاً منه بالحياة، ومدة بقاء اطول وادوم.

فالدعوة لأن يبتعد الانسان عن الهم والحزن وما يعكر عليه صفو الحياة ليهنأ بحياة بعيدة عن شبح الهرم وما يعنيه من ضعف في الهمة والجسد والقوى العقلية والبدنية وبداية العد التنازلي نحو الموت.

وقد يتوجه احد باعتراض: بأنّ الهم يلازم الانسان احيانا كثيرة فكيف يمكن الابتعاد عنه وتفادي العيش معه...

فيكون الجواب: بأنّ الحكمة قد شخصت الداء ووضعت الدواء، وليس من مهمتها التطبيق على الحالات وازاحة الهموم لينجح الدواء، لأن شأن جملة من التشخيصات ان يعارضها استدامة الداء وعدم القدرة على التغلب عليه وهو أمر آخر فلا يكون نقضاً أو محلاً للايراد.

﴿حرف الياء﴾

١٩٧-قال (عليه السلام) :

يا ابن ادم: اذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وانت تعصيه فاحذره.

اسلوب فذ من اساليب الوعظ والارشاد الى الابتعاد عن المعاصي وعدم التورط فيها وذلك لأن من المعلوم ان الله تعالى خالق السموات والارض وجميع ما في الكون من عجائب وغرائب، وهو قادر لا يعجزه شيء والانسان من جملة مخلوقاته فلا يخرج عن طوعه وارادته، فاذا كان الانسان عاصيا والله يواليه بالنعم ويتابعه بها ولم يقطع عنه فيضه ولم يحبس عنه رحمته فهل يعني عجزا ؟ أو ضعفا؟ أو خوفا؟ أو خروجا عن القدرة والقوة ؟ أو.. أو...

ومن المؤكد أن يكون الجواب بالنفي وانه لا يعني شيئاً من هذه ابداً، فيبقى الجواب: ان الله تعالى يقابل اساءات العبد بالاحسان المتواصل تكرماً وتفضلاً وإنعاماً وتلطفاً وتتمةً كما بدأه قبل ذلك منذ لم يكن الانسان شيئا

مذكوراً الى ان صوّره وصيّره ويبعثه بعد الموت ليحاسبه فهي سلسلة تفضّلات وقائمة انعامات لا تحصى ولا تحصر...

فعندئذ يجب على الانسان ان يحذر من العقوبة ويخاف من السطوة ويتنبه لنزول البلاء عليه من حيث يشعر أو لا يشعر في بدنه، اولاده، زوجته، ابويه، اخوته، بقية عائلته، امواله، منصبه، جاهه...

فالدعوة الى ان يتنبه الانسان الذي يرتكب المعاصي الى نفسه ويرتدع لأن الله قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء مهما كان عظيماً،فعدمُ اخذِهِ بالبلاء وعدمُ تعجيل العقوبة وترك العبد مع هواه انما هو استدراج واستمهال لتكمل اوراق اداناته فيأخذه بالعقوبة اخذ عزيز مقتدر.

١٩٨-قال عليه السلام:

يا ابن ادم: كن وصي نفسك في مالك واعمل فيه ما تؤثر[١] ان يُعملَ فيه مِنْ بعدك.

الاعم الاغلب من الناس تود إدامة الخير والمثوبة لانفسهم فيما بعد الموت، وهو امر مشروع طبيعي ربما ينشأ من حب الذات وتغلب الأنا إلاّ انه يمكن جعله تحت مظلة شرعية وهي الروايات الحاثة على فعل الخير وادامته لما بعد الوفاة حفظاً لحقوق المنتفعين، ونفعاً للراغبين سواء الاموات أو ذويهم الاحياء ممن يحبون لهم الخير فيشمل جميعَ الاطرافِ الاجرُ والثوابُ وهذا شأن كرم الخالق وسعة رحمته سبحانه،

إلاّ انه لا بُدّ للانسان ان لا يعوِّل على الاخرين ولا يعتمد على اولاده أو اقاربه فان لهم شغلهم ومشاغلهم الصارفة لهم عن ذلك بالمرة أو بشكل مؤقت وجزئي فلا يصل الثواب بالمقدار المتوقع والمطلوب.

---

(١) أي تحب وتريد.

فلا بُدَّ ان يبادر الانسان الى عمل الخير بنفسه بل ويحرص على ذلك كأنه موكل من قبل غيره في ذلك اذ عادةً ما يحرص الانسان على تأدية الامانة والخروج من العهدة بالشكل المطلوب وبأسرع فرصة ممكنة. فلا بُدَّ للانسان ان يتخذ زمام المبادرة ويتقدم نحو الخير ويسعى اليه في كافة مجالاته ومختلف اشكاله ليضمن لنفسه رصيداً اخروياً يتزود منه عند الحاجة والذي لا يمكن تقديرها لأنها تظهر تدريجيا عند المسائلة والحساب، فلا بُدَّ من تأمين غطاء خيري كافٍ له على مختلف الاحتمالات، ولا يكون ذلك إلاّ بالمثابرة على العمل الصالح والسعي الخيري .

ولّما كان الغالب في تمشية الامور والتوصل الى القضايا المرادة عن طريق المال كان التركيز عليه في الحكمة ولأنه كثيراً ما يحرص عليه الانسان ويحاول ان لا يفرط في وجوده مهما امكن اذ قد تسخو نفسه بالسعي وجاهياً ومعنوياً ولاتسخو مادياً ونقدياً.

فكان لا بُدَّ من معالجة الظاهرة بشكل جادٍ حازم فكانت الحكمة تدعو الى ان يقدم الانسان لآخرته بنفسه ولا ينتظر من غيره ذلك لأن الشيء المضمون والمؤكد هو ما يعمله هو بينما ما يعمله غيره من الاولاد والاهل والمعارف والاصدقاء فهو غير مضمون ولا يخرج عن كونه توقعاً وتصوراً ولا بُدَّ للانسان ان يكون عملياً في تصرفاته اكثر من ذلك.

١٩٩–قال عليه السلام:

يا ابن ادم: لا تحمل همَّ يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد أتاك فانه إنْ يك من عمرك يأتِ الله فيه برزقك.

كثيراً ما يتحسب الانسان لمستقبله ويحاول ضمانه من الناحية المادية وتأمين احتياجاته وتغطية مصروفاته ونفقاته بل يدّخر -احياناً- مالاً ونحوه ضماناً للمستقبل.

وهذا شيء طبيعي ولا بأس به إلاّ أنَّ الاهتمام الزائد بذلك يؤثر سلباً على جوانب أخرى في حياة الفرد المسلم وقد يؤشر أحياناً على عدم الثقة بالله وعدم التوكل عليه وعدم الاعتماد على تدبيره مضافاً الى ضعف التدابير المتخذة مهما كانت قوية ومتينة.

لأن البقاء في الحياة انما هو بإشاءة الخالق تعالى، وانما يحتاج الانسان الى كل تلك الضمانات والاحتياجات فيما لو بقي حياً، اذن لا بُدَّ من الاهتمام بالحاضر وعدم المبالغة في الاهتمام بالمستقبل لأن ذلك مصدر همّ نفسي وقلق لا مبرر له سوى التعجّل والجشع وعدم القناعة بالحاضر وعدم الاتعاظ بحال الماضين وهذا كله ما لا يُحمد أمره ولا يقرّه العقل والطبع السليم.

فالدعوة الى ان لا يضيف الانسان على نفسه مصادر الهموم ولا يعدد منافذه بل يواجه الحالة الحاضرة وقد تكفّل له بالمستقبل الآتي مَنْ هو أملك وأقدر منه للمستقبل وعليه وهو الله الخالق تعالى.

ومَنْ لم يتعايشِ مع هذه الحكمة فمصيره الى نفس المصير مع اضافة التعب وتجميع الاموال للاخرين من الورثة أو غيرهم وتحمل الهمّ النفسي والتعب الجسدي وهو ما لا يريده عاقل...

٢٠٠-قال عليه السلام :

يا بن آدم: ما كسبت فوق قوتك فانت فيه خازن لغيرك.

ان هذه الحكمة جاءت امتداداً لسابقتها وتعبيراً آخر عن ذات المضمون وهو الحث على القناعة والدعوة الى الاهتمام بالحاضر وعدم المبالغة في الاهتمام بالآتي القادم لأنه من موارد الإجهاد الفكري والعضلي من دون فائدة معقولة وعملية.

وهو تدبير للغير وحفظ وتهيئة لشئو ن الورثة أو غيرهم -كالمحتالين احياناً- واحسب ان لا أحد يرضى بان يكون مستخدَماً لغيره من دون ما أجر أو جزاء.

وعملية الخزن والتجميع للغير -من الورثة أو غيرهم- انما تتم كذلك اذ لا يقدر الورثة فضلاً عن غيرهم الحالةَ التي جمعت فيها الاموال وما كابده جامعها وما قاساه من المصاعب والمشاق حتى تكونت الثروة أو مجرد المجموعة التقديرية أو العقارات أو سائر ما يدّخره الانسان على اساس انه لا بُدَّ من ان يتركوا شيئا لأبنائهم كما ترك اباؤهم.

فان المسألة تكون وقتئذ في اثبات صحة فعل الاباء ؟! ثم جعل ذلك سُنةً تقتدى وتُتبع.

ومن الاثار الحميدة للالتزام بهذه الحكمة أو سابقتها ان الكل يأخذ فرصته المناسبة في الحياة ولايكون احدٌ علىٰ حساب أحدٍ فإنّ احتكار فرص عملٍ لشخصٍ أو مؤسسةٍ معينةٍ مما يُخل بأخذ اشخاصٍ آخرين لفرصهم في الحياة العملية التي يحتاج الجميع الى التعايش فيها والسعي وراء القوت وسائر المستلزمات الضرورية والكمالية.

فلو تدبّرنا هذه الحكمة لكففنا انفسنا عن الادّخار والجمع والخزن فوق مايُقدر لحياة طبيعية للانسان الاعتيادي....

٢٠١-قال عليه السلام :

ينزل الصبر على قدر المصيبة، ومَنْ ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط عمله.

قد يظن البعض ممن يبتلى بفقد عزيز أو مال أو منصب ان مصيبته فادحة لا تحتمل ولا يمكن تجاوز المحنة ولا العيش بعدها و.. و... مما يكثر ترديده في مثل هذه الحالة بما يؤجج نار الحزن ويضخم الامر فيعطي فرصةً للشيطان فيعبث بالانسان المتوازن فيفقد صوابه ويختل توازنه الفكري أو الفعلي.

وهذا أمر كثير الحدوث فكان لا بُدَّ من طرح شيء ينفع في تحجيم المشكلة وتقليص تكررها فكانت هذه الحكمة تبيّن ان الصبر هبة الله تعالى لعباده المبتلين ينقذ به حالتهم ويدبِّر به وضعهم الراهن. ومن الطبيعي ان تكون تلك الهبة وما فيها من علاج ووسيلة انقاذ وافية بالمطلوب مؤدية للغرض المقصود ولذا قد عبّر عليه السلام بان الصبر يكون بمستوى حجم المصيبة النازلة فتكون قوة التحمل عند المبتلى بمستوى يؤهله لتجاوز المحنة وعبور الازمة. وليس بمعنى ان الله يلجأه الى شيء أو يتحكم به قهراً من دون إرادة بل بما اودعه عنده من عقل جعله قادرا على الايمان ومواجهة القضايا والتعامل معها وفق الحالة الثابتة.

كما بينّت الحكمةُ امراً مهماً آخر وهو ان الاعتراض وعدم التلقي الايجابي للمصيبة انما يقلّل من فرصة الاجر والثواب ويحوّل القضية لغير صالح المصاب والمبتلى لأنه اعترض ولم يقبل بقضاء الله تعالى وإرادته الحكيمة فيستحق المجازاة بالحرمان من الاجر الموعود به.

ومن الشائع هو ضرب الفخذ أو خدش الوجه أو اللطم اوشق الثياب أو الخروج بحالة مزرية اجتماعياً أو بدون حجاب بالنسبة للمرأة أو تطويل

الشعر -احيانا- أو غير ذلك مما تتعارف ممارسته في مختلف البلدان والاماكن احتجاجاً واعتراضاً على ما حدث من مصاب، وهذا كله بلا موجب لما تقدم بيانه.

فالدعوة الى ان يتلقى الانسان مصابه بالعزيز أو المال أو اي شيء مهم آخر بالصبر ولا يظن انه لا يقدر على ذلك لأن قوته الايمانية وطريقة تفكيره المستقيمة تؤهلانه للمقاومة والثبات.

كما تدعو الحكمة الى ترك العادة الجاهلية المقيتة المتمثلة بضرب الفخذ فانه يعني عدم التسليم بقضاء الله وعدم الرضا بما أراد وهما من موادّ العقوبة في الآخرة.

٢٠٢-قال (عليه السلام) :

يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم.

تجيش النفس احياناً عندما تتذكر حالات الظلم والتجاوز الذي لحق بها من الآخرين،وقد تثأر للانتقام والنيل من المعتدي، وقد تتطور الحالة الى احقاد تبقى في الاعقاب،وعندها تتضخم المشكلة و تتجذر فلا تكون سهلة التناسي أو التسامح أو التغاضي والتحالم فلأجل ذلك كله ونحوه كانت الحكمة تدعو الى أمرين مهمين يخصان الطرفين : الظالم و المظلوم،أما الظالم فتهديد بالعقوبة والنهاية الأليمة من خلال بيان ان غصته يومئذ وهو يوم القيامة لا يمكن تجرّعها ولا مفر، ولا يوجد مَنْ يتوسط لرفع العقوبة أو تخفيفها لانها بإشراف حاكم عادل لايحيف ولا يقبل بالظلم والتعدي.

واما المظلوم فتهدئة للخواطر وتطييب للنفوس ومداواة للجروح التي تركها الظالم في نفس المظلوم وذلك من خلال بيان ان الظالم سيلقى جزاءه من الذي هو أقوى وأعز، ولايفوته أحد، ومَنْ قد تكفل بنصرة المظلوم فهو تطمين

بعدم ذهاب الحق، ووعد بان الغصة المؤقتة تتحول الى دائمة على المعتدي الظالم وفي ذلك تخفيفٌ للآلام وتقليلٌ من فرص وقوع الجريمة أو حدوث الانتهاكات الاخرى التي يلجأ اليها المظلومون المعتدى عليهم وما يستتبع ذلك من تعديات وتجاوزات قد تلحق حتى الابرياء وهو ما لايرضاه عقل أو شرع.

فالدعوة الى ان يكف الظالم عن ظلمه، وان يأمن المظلوم فهو في رعاية الله تعالى وتحت حكمه العادل.

ومن المؤكد ان الظلم يختلف باختلاف الحالات والاشخاص المعتدين والمعتدى عليهم فلا يأخذ شكلاً واحداً كالقتل ونحوه بل له عدة اشكال يجمعها تجاوز الحق،وعدم الانصاف لصاحب الحق،والجور،والتعدي ولذا كان لزاماً على الجميع في مختلف مواقع المسؤلية في الحياة بدأ من البيت والعائلة والى ارفع المستويات الإدارية -كان لزاماً- التحفظ من الوقوع في -مطبّات- الظلم أو الجور على أحد في قولٍ أو فعل، بالمباشرة أو بالتسبيب لذلك، بشكل جدي أو هزلي يؤدي لذلك مع القصد اليه.

* * * * * * * * * * * * * * *

وفي الختام أود أن أشير الى نقطة مهمة أرجو أن يتنبه لها القارئ الكريم وهي: أن هذه الحِكَم وسواها مما ينسب للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تشير بوضوح للآيات القرآنية الكريمة التي تتفق معها في ذات المضمون والمعنى، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على استقاء الإمام عليه السلام من مَعين القرآن، وصَدَقَ القائل في كلام الإمام عليه السلام أنه: فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، وهو أيضاً كما قال الآخر: كالأخ الصغير للقرآن، فهو من ثمراته ومن الدلائل الواضحة على عظمة القرآن فيمكن التعبير

عن تلكم المعاني المرادة في القرآن بمختلف الألفاظ ومن أحسنها ما يرد في كلام النبي الأعظم (ص) وكلام الإمام علي (ع) وهذا واضح لمن تأمل ودقق.

والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا فيض رحمته،وجميل عنايته،وفضل تسديده فأسأله تعالى دوام ذلك،وأن يأخذ بأيدينا جميعا لما فيه خيرنا في ديننا ودنيانا،وأن يجعلنا من العاملين بالقرآن والسنّة النبوية ووصايا أمير المؤمنين (ع) لنضمن صلاح الحال، وان يتقبل هذا العمل بلطفه وكرمه. واتمنى ان اكون قد ساعدتُ القاريء الكريم على استخلاص ما ينفعه في حياته العامة والخاصة ،كما اتمنى أن نصل معاً الى فهمٍ صحيح أو مقبول لهذه الكلمات الحَكَمية الحكيمة فلست أدّعي شيئاً سوى أني حاولت هذه المحاولة تقرّباً لله تعالى، وولاءً لأمير المؤمنين (ع) وأداء لواجب حق الإخوان والأخوات لئلا يقولوا ﴿إنّا كنا عن هذا غافلين﴾[1] وغاية المُنى أن نكون جميعاً مرضيين لديه تعالى،والله الموفق، عليه توكلت،واليه انيب،وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة الاعراف، آية (١٧٢).

المصادر

١- اساس البلاغة : جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري / ط دار صادر بيروت سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٢- اصول الكافي : محمد بن يعقوب الكليني / المطبعة الاسلامية طهران سنة ١٣٨٨م.

٣- اقرب الموارد : سعيد الخوري الشرتوني.

٤- الامام علي نبراس ومتراس : سليمان كتاني -ط٢ مطبعة الازهر- بغداد سنة ١٩٦٧م.

٥- تأويل مختلف الحديث : لابن قتيبه / ط دار الكتاب العربي بيروت.

٦- تحت راية الحق : الشيخ عبد الله السبيتي / ط٢ باكت چي طهران سنة ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م .

٧- الترغيب والترهيب : زكي الدين عبد العظيم المنذري . ط٣ دار احياء التراث العربي بيروت سنه ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٨- التعريفات : الجرجاني . دار الشؤ ن الثقافية العامة - بغداد.

٩- تفسير الفخر الرازى - ط٢ دار الكتب العلمية - طهران.

١٠- التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية . ط٢ . دار العلم للملايين . بيروت سنة ١٩٧٨ م

١١- تفسير النسفي - ط دار احياء الكتب العربية - مصر .

١٢- التوحيد : الشيخ الصدوق / منشورات المكتبة الحيدرية النجف سنة ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م.

١٣- جامع الترمذي . دار الكتاب العربي بيروت .

١٤- الجعفريات : المطبوع مع كتاب قرب الاسناد للحميري / المطبعة الإسلامية - طهران سنة ١٣٧٠هـ.

١٥- جمهرة اللغة : لابن دريد - اوفسيت دار صادر بيروت.

١٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : السيوطي منشورات المكتبة الاسلامية طهران.

١٧- ديوان السماوي (الشيخ عبد الحميد) ط١ دار الاندلس بيروت سنة ١٣٩١هـ.

١٨- الراعي والرعية : توفيق الفكيكي. ط٢ منشورات مكتبة المعارف بغداد سنة ١٩٦٢م.

١٩- الروضة المختارة : صالح علي الصالح . ط١ مؤسسة النعمان بيروت سنة ١٩٧٩م.

٢٠- شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد المعتزلي ط دار احياء التراث العربي بيروت. و ط دار احياء الكتب العربية - مصر سنه ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

٢١- صحيح البخاري : مطبعة محمد علي صبيح / مصر.

٢٢- صحيح مسلم : مطبعة محمد علي صبيح /مصر.

٢٣- الطب محراب الايمان : د.خالص جلبي. مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧ م .

٢٤- العين : الفراهيدي. منشورات دار الرشيد للنشر- بغداد ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٥- الغدير: الشيخ عبد الحسين الاميني. ط ٣ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م.

٢٦- فضائل الخمسة من الصحاح الستة : السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي. منشورات دار الكتب الاسلامية - النجف ١٣٨٤هـ.

٢٧- الفهرس الموضعي لآيات القران الكريم : محمد مصطفى محمد : ط ٢ / الخلود/ بغداد سنه ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٨- في خُطى علي : نصري سلهب - ط١ دار الكتاب اللبناني - سنة ١٩٧٣م .

٢٩- في ظلال نهج البلاغة : الشيخ محمد جواد مغنية -ط١ / دار العلم للملايين بيروت سنه ١٩٧٣م.

٣٠- القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - عالم الكتب / دار الفكر بيروت.

٣١- قرة العيون : الفيض الكاشاني كتابفروشي اسلامية طهران.

٣٢- كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب : محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي .ط٢ منشورات المكتبة الحيدرية - نجف سنه ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

٣٣- ما هو نهج البلاغة : السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني - ط٢ مطبعة النعمان / النجف سنه ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.

٣٤- مجمع الامثال : الميداني -ط مصر سنة ١٣٥٢ ق.

٣٥- مجمع البحرين : الشيخ فخر الدين الطريحي منشورات دار الاحياء للكتب الاسلامية - النجف.

٣٦- مجمع البيان : الطبرسي - دار احياء التراث العربي بيروت سنة ١٣٧٩هـ.
٣٧- المحاسن : البرقي - منشورات المكتبة الحيدرية / النجف سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٣٨- مختار الصحاح : الرازي ط١ . دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧م.
٣٩- مصادر نهج البلاغة واسانيده : السيد عبد الزهراء الخطيب . ط٢ مؤسسة الاعلمي بيروت سنة ١٣٩٥هـ.
٤٠- المصباح المنير : الفيومي . ط٨ المطبعة الاميرية بولاق سنة ١٩٣٩م.
٤١- المعجزة الخالدة : السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني.ط٢ مطبوعات مكتبة الجوادين العامة / الكاظمية.
٤٢- معجم المصطلحات العلمية والفنية : يوسف خياط -دار لسان العرب بيروت.
٤٣- المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي - دار احياء التراث العربي - بيروت .
٤٤- المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني - مطبعة البابي الحلبي - مصر سنة ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.
٤٥- مقدمة كتاب الامام علي صوت العدالة لجورج جرداق : بقلم ميخائيل نعيمة . منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٧٠م.

٤٦- مقدمة كتاب النصائح الكافية لمن يتولي معاوية للسيد محمد بن عقيل : بقلم السيد محمد رضا الخرسان -ط٣ منشورات المكتبة الحيدرية - النجف. سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٤٧- ملحمة عيد الغدير : بولس سلامه . مطبعة النسر بيروت سنة ١٩٤٩م.

٤٨- المناقب : الخوارزمي . منشورات المكتبة الحيدرية -النجف سنة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٤٩- المنجد في اللغة : لويس معلوف ط٢١ دار المشرق بيروت.

٥٠- من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصدوق / ط٤ مطبعة النجف - النجف سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

٥١- مواهب الرحمن في تفسير القرآن. السيد عبد الأعلى السبزواري / ط١ مطبعة الآداب النجف سنة ١٩٨٩م.

٥٢- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية :السيد محمد بن عقيل الحسيني .ط٣ منشورات المكتبة الحيدرية - النجف سنة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٥٣- النهاية : ابن الاثير ط٤ مؤسسة اسماعيليان قم.

٥٤- نهج البلاغة : الشريف الرضي شرح الشيخ محمد عبده : ط دار التعارف للمطبوعات تحقيق د.صبحي الصالح ط١ دار الكتاب اللبناني - بيروت سنة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٥٥- وسائل الشيعة : الشيخ محمد بن محمد الحر العاملي ط٤ دار احياء التراث العربي بيروت سنة ١٣٩١هـ .

الفهرس

الصفحة	الموضـــــــــــوع
١-٥	المقدمة ....
٦-٣٣	الفصل الأول: ملامح عن:تأريخ نهج البلاغة ومؤلفه ومَنْ كان كلامه مادة نهج البلاغة. ....
٣٤	الفصل الثاني:أضواء على المختار من حكم الإمام علي(ع). ....
٣٥	**((حرف الألف))**
٣٥	١- إتقوا ....
٣٥	٢- أحبب ....
٣٦	٣- إحذروا ....
٣٨	٤- إحذر ....
٣٩	٥- أحسنوا..
٤٠	٦- احصد..
٤٠	٧- إذا احتشم..
٤١	٨- إذا أرذلَ..
٤٢	٩- إذا ازدحم..
٤٣	١٠- إذا أملقتم ....
٤٥	١١- إذا تمّ ....
٤٦	١٢- إذا حُييت ....

الموضـــــــوع	الصفحة
١٣ – إذا قدرت	٤٨
١٤ – إذا وصلت	٤٩
١٥ – إذا هبت	٥٠
١٦ – إذكروا	٥١
١٧ – إزجر	٥٢
١٨ – أزرى	٥٣
١٩ – إزهد	٥٥
٢٠ – الاستغناء	٥٦
٢١ – استنزلوا	٥٨
٢٢ – اشد	٥٩
٢٣ – إضاعة	٦١
٢٤ – اعتصموا	٦٢
٢٥ – ألاعجاب	٦٣
٢٦ – أعجز	٦٦
٢٧ – اعقلوا	٦٨
٢٨ – اغض	٦٩
٢٩ – أفضل الأعمال	٧٠
٣٠ – أفضل الزهد	٧١
٣١ – افعلوا	٧٣
٣٢ – أقل	٧٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
٣٣- أقيلوا	٧٥
٣٤- أكبر	٧٧
٣٥- الأمر قريب	٧٨
٣٦- إمشِ	٧٩
٣٧- إن للقلوب إقبالاً	٨٠
٣٨- إن للقلوب شهوة	٨٢
٣٩- إن الله افترض	٨٣
٤٠- إن الله سبحانه فرض	٨٤
٤١- ان الحق	٨٦
٤٢- ان اعظم	٨٧
٤٣- إن مع كل إنسان	٨٨
٤٤- أوضعُ العلم	٨٩
٤٥- أول عوض الحليم	٩١
٤٦- أهل الدنيا	٩٢
٤٧- الإيمان	٩٣
((حرف الباء))	٩٥
٤٨- بئس الزاد	٩٥
٤٩- البخل جامع	٩٥

الموضـــــــوع	الصفحة
٥٠– البخل عار	٩٧
٥١– بقية السيف	١٠٢
٥٢– بكثرة الصمت	١٠٣
((حرف التاء))	١٠٦
٥٣– تبذل الامور	١٠٦
٥٤– ترك الذنب	١٠٧
٥٥– التقى	١٠٨
٥٦– تكلّموا	١٠٩
٥٧– تنزل المعونة	١١٠
٥٨– التوحيد	١١١
((حرف الثاء))	١١٢
٥٩– ثمرة التفريط	١١٢
٦٠– الثناء	١١٣
((حرف الجيم))	١١٤
٦١– الجود	١١٤
((حرف الحاء))	١١٩
٦٢– الحَجَرُ	١١٩
٦٣– الحِدّة	١٢٠
٦٤– الحذر الحذر	١٢١

الموضـــــــوع	الصفحة
٦٥- الحكمة ضالة	١٢٢
٦٦- الحلم	١٢٤
((حرف الخاء))	١٢٤
٦٧- خالطوا	١٢٤
٦٨- خذ من الدنيا	١٢٥
((حرف الدال))	١٢٧
٦٩- الداعي بلا عمل	١٢٧
٧٠- الدنيا دار ممر	١٢٨
((حرف الراء))	١٢٩
٧١- رأي الشيخ	١٢٩
٧٢- الراضي بفعل قوم	١٣٠
٧٣- رُبَّ قول	١٣١
٧٤- رُبَّ مستقبلٍ	١٣٢
٧٥- رُدّوا الحجر	١٣٣
٧٦- الرزق رزقان	١٣٣
٧٧- رسولك ترجمان	١٣٦
٧٨- الركون الى الدنيا	١٣٧
((حرف الزاي))	١٣٩
٧٩- زُهدك في	١٣٩

الصفحة	الموضـــــوع
١٤٠	**((حرف السين))**
١٤٠	٨٠- السخاء ما كان ....
١٤١	٨١- سوسوا إيمانكم ....
١٤٤	**((حرف الشين))**
١٤٤	٨٢- شاركوا الذي ....
١٤٦	٨٣- شتّان ما بين عملين ....
١٤٧	٨٤- شرُّ الاخوان ....
١٤٨	٨٥- الشفيع جناح ....
١٤٩	**((حرف الصاد))**
١٤٩	٨٦- صاحب السلطان ....
١٥٢	٨٧- الصبر صبران ....
١٥٤	٨٨- صحة الجسد من ....
١٥٤	٨٩- صدر العاقل ....
١٥٦	٩٠- الصدقة دواء ....
١٥٨	**((حرف الطاء))**
١٥٨	٩١- الطمع ....
١٥٩	٩٢- طوبى لمن ذكر المعاد ....
١٦١	٩٣- طوبى لمن ذل ....

الموضـــــــوع	الصفحة
((**حرف العين**))	١٦٥
٩٤– عاتب أخاك	١٦٥
٩٥– عجب المرء	١٦٦
٩٦– عجبت للبخيل	١٦٧
٩٧– عجبت لمن يقنط	١٧٠
٩٨– عرفت الله	١٧٢
٩٩– عِظَمُ الخالق	١٧٣
١٠٠– العفاف	١٧٤
١٠١– العلم علمان	١٧٦
١٠٢– العلم مقرون	١٧٦
((**حرف الغين**))	١٧٨
١٠٣– الغنى والفقر	١٧٨
١٠٤– الغيبة	١٧٩
١٠٥– غيرة المرأة	١٨٠
((**حرف الفاء**))	١٨٤
١٠٦– فاعل الخير	١٨٤
١٠٧– فوت الحاجة	١٨٥
١٠٨– في تقلّب	١٨٧
((**حرف القاف**))	١٨٨
١٠٩– قدر الرجل على	١٨٨

الموضـــــوع	الصفحة
١١٠- قُرنت الهيبة	١٩٠
١١١- القناعة	١٩٢
١١٢- قيمة كل	١٩٣
((حرف الكاف))	١٩٤
١١٣- كفى بالاجل..................................	١٩٤
١١٤- كفى بالقناعة	١٩٥
١١٥- كفاك أدباً	١٩٦
١١٦- الكلام في وثاقك	١٩٨
١١٧- كل معاجَل	٢٠٠
١١٨- كل مقتصَر	٢٠٠
١١٩- كم من أكلة	٢٠٢
١٢٠- كم من مستدرَج	٢٠٣
١٢١- كن سمحاً	٢٠٥
١٢٢- كن في الفتنة	٢٠٧
((حرف اللام))	٢٠٨
١٢٣- لا تجعلَن ذرب	٢٠٨
١٢٤- لا تجعلوا علمكم	٢١٠
١٢٥- لا تسأل عما لم يكن	٢١١
١٢٦- لا تستح من اعطاء	٢١٣
١٢٧- لا تصحب المائق	٢١٤

الموضــــــوع	الصفحة
١٢٨- لا تظنن بكلمة	٢١٥
١٢٩- لا تقل ما لا تعلم	٢١٧
١٣٠- لا طاعة لمخلوق	٢١٨
١٣١- لا غنى كالعقل	٢١٩
١٣٢- لا قربة بالنوافل	٢٢٢
١٣٣- لا يترك الناس	٢٢٤
١٣٤- لا يزهدنَّك في المعــروف	٢٢٦
١٣٥- لا يستقيم قضاء الحوائج	٢٢٨
١٣٦- لا يصدق إيمان عبدٍ	٢٢٩
١٣٧- لا يُعدم الصبور الظفر	٢٣١
١٣٨- لا يقل عمل مع التقوى	٢٣١
١٣٩- لا يقيم أمر الله	٢٣٣
١٤٠- لا يكون الصديق صديقاً	٢٣٥
١٤١- لا ينبغي للعبد أن يثق	٢٣٧
١٤٢- اللّجاجة	٢٣٩
١٤٣- اللسان	٢٤١
١٤٤- للظالم	٢٤٢
١٤٥- لكل امرئ	٢٤٤
١٤٦- لم يذهب من مَالِكَ	٢٤٥

الصفحة	الموضــــــوع
٢٤٦	١٤٧- لو رأى العبد ....
٢٤٧	١٤٨- لو لم يتوعد ....
٢٤٨	١٤٩- ليس بلدٌ ....
٢٥٠	١٥٠- ليس من العدل ....
٢٥١	**((حرف الميم))**
٢٥١	١٥١- ماء وجهك ....
٢٥٢	١٥٢- ما أخذ الله على ....
٢٥٤	١٥٣- ما أضمر أحد شيئاً ....
٢٥٥	١٥٤- ما ظفر مَنْ ظفر ....
٢٥٧	١٥٥-ما المبتلى ....
٢٥٨	١٥٦- المرء مخبوء ....
٢٥٩	١٥٧- مسكين ابن آدم ....
٢٦١	١٥٨- مقارب الناس في ....
٢٦٢	١٥٩- مَنْ أبطأ به ....
٢٦٤	١٦٠- مَنْ اتجر بغير فقهٍ ....
٢٦٧	١٦١- مَنْ أحدَّ سنان ....
٢٦٩	١٦٢- مَنْ استبد برأيه ....
٢٧٠	١٦٣- مَنْ استقبل وجوه الآراء........................
٢٧١	١٦٤- مَنْ أسرع الى الناس ....
٢٧٢	١٦٥- مِنْ أشرف اعمال........................

الموضـــــــوع	الصفحة
١٦٦– من أصلح سريرته	٢٧٣
١٦٧– من أطاع التواني	٢٧٥
١٦٨–مَنْ أطال الأمل	٢٧٧
١٦٩– من أيقن بالخَلَف	٢٧٨
١٧٠– مَنْ تذكر بُعد السفر........................	٢٨٠
١٧١– مَنْ ترك قول لا أدري	٢٨١
١٧٢– مَنْ جرى في عنان	٢٨٣
١٧٣– مَنْ حاسب نفسه	٢٨٤
١٧٤– مَنْ حذّرك	٢٨٦
١٧٥– مِن الخُرق المعاجلة	٢٨٨
١٧٦– مَنْ صارع الحق	٢٨٩
١٧٧– مَنْ ضنّ بعرضه	٢٩٠
١٧٨– مَنْ ضيّعه الاقرب	٢٩١
١٧٩– مَنْ ظنَّ بك خيراً	٢٩٢
١٨٠– مَنْ عظّم صغار المصائب	٢٩٣
١٨١– مَنْ قضى حق مَنْ	٢٩٥
١٨٢– مَنْ كتم سرّه	٢٩٦
١٨٣– مِنْ كفارات الذنوب	٢٩٧
١٨٤– مَنْ كرمت عليه نفسه	٢٩٨
١٨٥– مَنْ كساه الحياء	٢٩٩

الصفحة	الموضوع
٣٠٠	١٨٦ – مَنْ لم ينجه الصبر ....
٣٠١	١٨٧ – مَنْ نصب نفسه للناس ....
٣٠٢	١٨٨ – مَنْ وضع نفسه ....
٣٠٤	١٨٩ – مَنْ يعطِ باليد القصيرة ....
٣٠٦	((حرف النون))
٣٠٦	١٩٠ – الناس أعداء ....
٣٠٨	١٩١ – نَفَسُ المرء ....
٣١٠	((حرف الواو))
٣١٠	١٩٢ – الوفاء لأهل الغدر ....
٣١١	١٩٣ – الولايات مضامير ....
٣١٣	((حرف الهاء))
٣١٣	١٩٤ – هلك امرؤ لم يعرف ....
٣١٤	١٩٥ – هلك فيَّ رجلان ....
٣١٥	١٩٦ – الهم نصف ....
٣١٦	((حرف الياء))
٣١٦	١٩٧ – يا ابن آدم إذا رأيت ربك ....
٣١٧	١٩٨ – يا ابن آدم كن وصي نفسك ....
٣١٩	١٩٩ – يا ابن آدم لا تحمل همَّ ....
٣٢٠	٢٠٠ – يا ابن آدم ما كسبت ....

الموضوع	الصفحة
٢٠١- ينزل الصبر على قدر	٣٢١
٢٠٢- يوم المظلوم	٣٢٢
الخاتمة	٣٢٣
المصادر	٣٢٥

الروضة الحيدرية
١٠٤٣٠
١١/٥/١١